
مبادئ
المعارف
الاجتماعية السياسية
ما هي
الماركسية-اللينينية؟
بوزويف، غورودنوف
المكتبة التقدمية
Karl Marx
F. Engels

بوزويف ،غورودنوف

ما هي الماركسية - اللينينية؟

دار التقدم
موسكو

ترجمة الياس شاهين

مبادئ المعارف الاجتماعية السياسية

Бузуев В., Городнов В.
ЧТО ТАКОЕ МАРКСИЗМ-ЛЕНИНИЗМ?
На арабском языке

طبع فى الاتحاد السوفييتى

Б $\frac{0104000000-366}{014(01)-87}$ 204-87

الى القارئ

بقى قليل من الوقت لحلول اليوم الذى تدخل فيه البشرية القرن الجديد ، الحادى والعشرين . وامام الشعوب تنفتح آفاق عريضة من التقدم الاجتماعى والاقتصادى والوطنى .

ان القرن الحالى سيدخل التاريخ بوصفه مرحلة من التحويلات الثورية الفائقة العظمة التى غيرت سيماء العالم تغييرا جذريا . وقد كان انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا سنة ١٩١٧ حدثا تاريخيا عالميا دشن عهد الاشتراكية . وفى الاتحاد السوفييتى ادى بناء المجتمع

الاشتراكى الى جعل انسان العمل ، للمرة الاولى فى التاريخ ، سيد البلاد الحقيقى ، وصانع مصيره بنشاط ووعى . ومع الاتحاد السوفييتى تسير عشرات من البلدان والشعوب الاخرى فى طريق بناء المجتمع الجديد ، العادل .

وامام ابصار جيلنا انهار نظام الامبريالية الاستعمارى المخزى ، وخرجت شعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية الى طريق عريض ، الى طريق التطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى المستقل ، واحرزت الحركة العمالية العالمية نجاحات مرموقة فى النضال ضد سيادة الرأسمال الاحتكارى .

وجميع هذه التغيرات التاريخية اثبتت صحة اعظم مذهب فى العهد المعاصر عنينا به مذهب الماركسية—اللينينية . وقوته التى لا ينضب لها معين تتلخص فى القدرة على التطور والاغتناء الدائم . وكل جيل جديد من الناس يجد فى هذا المذهب اجوبة عن القضايا التى تشغل البال .

ان كل امرئ ، كل شعب ، هو صانع سعادته ، ورفاهيته ، صانع العدالة والحياة الآمنة . وفى الوقت الحاضر ، ليس ثمة مسألة اكثر حيوية واهمية من تأمين اول حق للانسان ، الحق فى الحياة فى ظل السلام والحرية .

وعن هذه المسائل وغيرها من مسائل تطور الشعوب الاجتماعى والاقتصادى ، تجيب المكتبة الشعبية «مبادئ المعارف الاجتماعية السياسية» التى اعدتها دار «التقدم» .

تتألف هذه المكتبة من عشرين كتابا . وهى تشمل مواضيع مهمة جدا لاجل فهم تطور العالم فى زمننا من الناحية التاريخية والاجتماعية ؛ وتعرض المسائل الاساسية فى النظرية الماركسية اللينينية ؛ وهى مكتوبة باسلوب مبسط سهل المنال . وفهم هذه الكتب لا يتطلب اعدادا علميا خاصا ؛ وهى معدة بحيث يتوصل القراء من تلقاء انفسهم الى فهم القضايا الراهنة والقوانين الموضوعية التى تتطور بموجبها العملية الثورية العالمية ، وحياة الشعوب ، وحياة كل انسان .

تبدأ المكتبة «بمنتخبات فى العلوم الاجتماعية» تتألف من نصوص من مؤلفات ماركس وانجلس ولينين الاساسية . ثم تأتى كتب مكتوبة باسلوب جذاب : «ما هى الماركسية-اللينينية ؟» ، «ما هى الفلسفة ؟» ، «ما هو الاقتصاد السياسى ؟» ، «ما هى الاشتراكية ؟» ، «ما هى الرأسمالية ؟» ، «ما هى الدولة ؟» ، «ما هو الحزب ؟» ، والخ . . وتنتهى المكتبة بمؤلف اسمه «ما هى المنظومة الاشتراكية العالمية ؟» ويعطى تحليلا تاريخيا ونظريا عن كيفية نشوء وتطور نظام الاشتراكية العالمى ، ويعرض الطراز الجديد من العلاقات بين الشعوب والدول ، اى العلاقات القائمة على مبادئ الاممية الاشتراكية ، والاخوة ، والتعاون ، واحترام الاستقلال والسيادة ، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية .

ونصوص كل كتاب مزودة بمعاجم المصطلحات الاساسية . وهذه المعاجم موضوعة بحيث يستوعب القارئ المضمون بسهولة وينتقل الى دراسة مسائل اشد تعقدا من مسائل العهد المعاصر .

وبما ان المكتبة معدة للذين يهتمون بقضايا التطور الاجتماعى ومصائر شعوبهم ومصائر البشرية جمعاء ، فان مكتبة «مبادئ المعارف الاجتماعية السياسية» تصدر بلغات عديدة . وبدءا من سنة ١٩٨٥ ، تصدر الكتب بالعربية والانجليزية والاسبانية والفرنسية والبرتغالية والايطالية واليونانية والبنغالية والهندية والتاميلى والسواحيلى ، والامهارية ، والملغاشية وغيرها من لغات شعوب العالم .

اشترك فى التأليف كبار العلماء والاختصاصيين . ولا ريب فى ان القراء الحسنى النية سيستقبلون الكتب من سلسلة «مبادئ المعارف الاجتماعية السياسية» باهتمام .

الاكاديمى فى اكاديمية العلوم
فى الاتحاد السوفييتى
فكتور افاناسييف

المقدمة

على امتداد قرون وقرون بحث الناس عن السبل الى الحرية والعدالة والحياة السعيدة للجميع . واكثر العقول اشراقا ونبلا ، وقد رأت حولها آلام الشعب وحرماناته ، ومذلته وحرمانه من الحقوق ، لم تستطع ان تقبل بالاوضاع الاجتماعية القائمة ، واستنهضت الجماهير المستثمرة الى النضال السافر ضد الطغاة والاغنياء .

ومن اجل الحرية والعدالة ، ومن اجل سعادة الشعب ، انشئت كثرة من المذاهب ، وعرضت مختلف المثل العليا الاجتماعية ، ومختلف السبل والوسائل لتحقيقها . ولكن ايا

منها لم يضع فى يد البشرية بوصلة من شأنها ان تدل اهل العمل على السبيل الوحيد القويم الى مجتمع يسود فيه العمل والسلام والحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية .

واعتمادا على كل تجربة تطور المجتمع وافكاره ، بنى كارل ماركس (١٨١٨ — ١٨٨٣) وفريدريك انجلس (١٨٢٠ — ١٨٩٥) فى اواسط القرن التاسع عشر نظرية علمية ثورية جديدة . وهذه النظرية كان فلاديمير ايليتش لينين (١٨٧٠ — ١٩٢٤) مواصلها العظيم .

ومن كنية ماركس ولينين ، ولد اسم المذهب : الماركسية-اللينينية .

فما هى الماركسية-اللينينية ؟

الفصل الاول

نشوء الماركسية ومراحل تطورها

الماركسية—اللينينية عبارة عن نظام علمى متكامل من النظرات الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وهى عقيدة الطبقة العاملة العالمية المدعوة الى تجديد العالم على اسس الاشتراكية والشيوعية . انها علم معرفة العالم ، علم تحويله تحويلا ثوريا ، علم قوانين تطور المجتمع والطبيعة والتفكير البشرى .

ولتفهم هذا العلم العظيم ، لا يصح الضن بالوقت والجهد . وان من يتحلى بالصبر وبالرغبة العارمة فى معرفة الحقيقة ، يشعر الزاما بالمتعة الخلاقة العميقة من

هذا ، ويتمتع بفرح اولى الاكتشافات الروحية . وقد شبه ماركس عملية المعرفة بالصعود الى ذروة عالية ، واعطى نصيحة طيبة : «ليس فى العلم طريق كبيرة عريضة ، ولا يمكن ان يبلغ قممه المشعة الا من لا يخشى التعب ويصعد بجهد في دروبه الحجرية» * .

الاشتراكية الطوباوية

الاحلام عن الشيوعية . من قرن الى قرن ، تناقل الناس الاحلام والاساطير عن الحياة السعيدة ، عن مجتمع المواطنين الاحرار والمتساوين فى الحقوق ، حيث جميع الناس يكدحون بالقدر نفسه ، ويتأمن لهم كليا المأكل والملبس والمسكن .

من اعماق القرن السادس عشر والسابع عشر ، وصلت الينا الافكار المشرقة التى تقدم بها

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، الطبعة الروسية ، المجلد ٢٣ ، ص ٢٥ .

الانكليزى توماس مور (١٤٧٨ — ١٥٣٥) والايطالى تومازو كامبانيللا (١٥٦٨ — ١٦٣٩) . فقد رسما لوحة جذابة عن مجتمع عادل لا وجود فيه للملكية الخاصة ، وللاستثمار ، والجميع ملزمون فيه بالعمل . وسلطا سياط النقد اللاذع على الاغنياء ، على الكسالى . وقال مور بغضب : «ربّ شخص احمق عنيد ليس له من العقل اكثر مما للجذمور ، ووقح بقدر ما هو غنى ، عنده فى العبودية كثيرون من الناس الاذكياء والصالحين» . وقد رأى سبب هذا الوضع فى الملكية الخاصة ، فى اللامساواة بين الناس فى الحقوق .

كتب توماس مور كتابا اسمه «الكتاب الذهبى ، النافع بقدر ما هو مسلّ ، عن افضل بنيان للدولة وعن الجزيرة الجديدة اوطوبيا» (utopie اوطوبيا — «الطوباوية» — كلمة يونانية تعنى مكانا لا وجود له . او—لا ، طوبيا— مكان) . وقد اصبح اسم جزيرة اوطوبيا اسم نكرة . ولهذا يسمى اولئك الذين دعوا الى افكار الاشتراكية ولكنهم لم يعرفوا السبل الى

الاشتراكيــة بالاشتراكيين–الطوباويين .
ويحكى توماس مور فى كتابه عن الدولة المدهشة «اوطوبيا» . فلا وجود فيها للملكية الخاصة ، والملكية عامة ، والجميع ملزمون هناك بالعمل . وثمار العمل تعود الى المجتمع وتتوزع من المستودعات الاجتماعية حسب الحاجة ومجانا . كل شيء يخص الجميع . ذلك هو شعار الدولة الطوباوية .

وعكس الاشتراكى–الطوباوى الآخر توما‌زو كامبانيللا فى كتابه «مدينة الشمس» حلمه عن المجتمع المقبل . ان «دولة الشمس» انما هى اتحاد الناس الاحرار المتفائلين ، اتحاد الكادحين . العمل بنظرهم ليس اشغالا شاقة وعذابات ، بل نشاط مستطاب وجذاب ، متسم بالفخر والمجد . واسم المدينة الرمزى نفسه ينطوى على كثير من الشعر والموسيقى . وكل حى فى المدينة يميل الى الشمس . الشمس انما هى النور والسرور . واشعة الشمس تعرب عن مثل الشيوعية .

كان لافكار توماس مور وتومازو كامبانيللا تأثير كبير فى نشوء النظرات الاجتماعية السياسية

عند الجيل التالى من الاشتراكيين–الطوباويين — الفرنسيين كلود هنرى سان سيمون (١٧٦٠ — ١٨٢٥) ، وشارل فوريه (١٧٧٢ — ١٨٣٧) ، الانجليزى روبرت اوين (١٧٧١ — ١٨٥٨) . لقد انتقدوا النظام الاجتماعى القائم على الملكية الخاصة انتقادا جريئا وعرضوا جملة من الافكار العبقرية عن المجتمع الشيوعى المقبل . ولكنهم اعتقدوا بسذاجة انه يمكن بناء النظام الاجتماعى المثالى ما ان يطلع الناس على وصفه . وقد حسبوا انه يمكن تحويل المجتمع ، لا فى النضال ، بل فى نشر الافكار التنويرية .

يتميز هنرى سان سيمون وشارل فوريه بانتقاد المجتمع البرجوازى انتقادا حادا ، وبوصف عيوبه . وقد خلص شارل فوريه الى القول ان المجتمع البرجوازى عابر مثل التشكيلات التاريخية التى سبقته ، وانه سيضطر الى اخلاء المكان لاجل النظام الاجتماعى المتناسق المقبل .

ولكن احلام الاشتراكيين–الطوباويين كانت غير قابلة للتحقيق . فان سان سيمون ، مثلا ، قد وجّه افكاره لترقية المجتمع الى ملوك اوروبا

آملا فى ان يحققوا احلامه . ونشر فوريه فى الجرائد اعلانات بدعوات الى الاغنياء ، لكى يتبرعوا بالاموال لبناء المجتمع الجديد . وكل يوم ، نحو الساعة الثانية عشرة ظهرا ، كان يندفع الى البيت آملا فى ان يأتى الزاما اصحاب الملايين بالتبرعات الاولى فى الوقت الذى عينه . ولكن الاغنياء لم يلبوا النداء . فان الاشتراكيين-الطوباويين لم يفهموا ان المضطهدين لا يتنازلون طوعا واختيارا عن سلطتهم وثرواتهم وامتيازاتهم .

ان نشاط روبرت اوين لم يقتصر على بناء مثل المجتمع المقبل العليا ، بل انعكس كذلك فى الممارسة والتطبيق . ففى فبركة كان احد اصحابها ، اقدم على اختبار جرئ ، فقد قصّر يوم العمل ، وزاد اجور العمال ، وانشأ للاطفال روضة . وفى سنة ١٨٢٤ سافر الى اميركا لكى ينظم هناك مشاعة عمل شيوعية . ولكن سرعان ما انحلت هذه المشاعة . فان افكار الاشتراكيين-الطوباويين الرائعة لم تصمد فى وجه الواقع الصارم ، فى وجه حياة المجتمع الرأسمالى الفعلية .

لماذا كانت افكار وتخمينات الاشتراكيين-

الطوباويين العباقرة غير واقعية ؟ لانهم لم يستطيعوا ان يوضحوا جوهر العبودية المأجورة ، وان يكتشفوا قوانين التطور الاجتماعى وضرورة خوض النضال الطبقى ولم يستطيعوا ان يفهموا دور البروليتاريا التاريخى . فان العمال لم يكونوا بنظرهم سوى طبقة معذبة ومحرومة ، وليس قوة ثورية عظيمة للغاية بمقدورها ان تدك النظام الرأسمالى وتبنى المجتمع الشيوعى .

ولكن البروليتاريا لم تكن آنذاك ، والحق يقال ، على درجة كافية من التنظيم . كانت الطبقة العاملة تعانى من البؤس والعوز ، الا ان الظروف والشروط لم تكن متوفرة لكى تدرك بنفسها وضعها بالذات ودورها الاجتماعى العظيم . ومن جراء ذلك على وجه الضبط لم تكن نظرات سان سيمون وفوريه واوين علمية بل كانت طوباوية . وقد كتب لهم وحكم عليهم بان يكونوا حالمين منفردين نبلاء لم يكن بوسع افكارهم ان تستحوذ على الجماهير وان تصبح قوة مادية رهيبة لاجل تحويل العالم على اسس الاشتراكية .

ولكن فضل الاشتراكيين-الطوباويين التاريخى كان خارق العظمة رغم عدم نضج افكارهم . فقد فضحوا عيوب الرأسمالية ونددوا بها ، وطرحوا للمرة الاولى فى التاريخ مسألة ضرورة الاستعاضة عن الرأسمالية بالمجتمع الاشتراكى . ان سان سيمون وفوريه واوين كانوا ، رغم كل خيالية وطوباوية مذاهبهم ، كما قال انجلس ، من عداد اعظم عقول البشرية ، وكانوا السباقين بصورة عبقرية الى رسم الكثير من سمات المجتمع المقبل .

ان الافكار والتخمينات التى تقدم بها الاشتراكيون-الطوباويون بصدد المجتمع الشيوعى المقبل قد عللها ماركس وانجلس ولينين فيما بعد تعليلا علميا .

مؤسسا الماركسية

المقدمات التاريخية لظهور الماركسية . ان ظهور الماركسية قد مهد له كل مجرى التقدم التاريخى ، وقبل كل شىء ، تطور الرأسمالية وتفاقم تناقضاتها التناحرية ، وتعاظم نضج

البروليتاريا السياسى ، واشتداد نضالها ضد البرجوازية اكثر فاكثر .

من جراء اولى الثورات البرجوازية فى هولندا (القرن السادس عشر) وانجلترا (القرن السابع عشر) وفرنسا (اواخر القرن الثامن عشر) انتصرت الرأسمالية على الاقطاعية ، وانهارت اوضاع القنانة ، ودكت عروش الملوك المستبدين ، وهبت الجماهير الشعبية الواسعة الى النضال ضد الظلم ، مبينة قوتها للطبقات السائدة .

وشرعت البروليتاريا تخوض نضالا ضاريا وتتقدم بالمطالب الاقتصادية (زيادة الاجور ، تقصير يوم العمل) ، كما شرعت تناضل من اجل الحريات السياسية . فان العمال والحرفيين الذين انتفضوا فى مدينة ليون الفرنسية (سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٣٤) ، مثلا ، قد طالبوا باعلان الجمهورية فضلا عن تحسين ظروف الحياة . والحركة الشارتية العمالية التى قامت فى الثلاثينيات وفى الاربعينيات من القرن الماضى فى انجلترا (من الكلمة الانجليزية charter — تشارتر — الشرعة ، الميثاق) لم تطرح على

المكشوف اهدافا اقتصادية وحسب ، بل طرحت كذلك اهدافا سياسية . ولقد كانت الشارتية اول حركة واسعة ، جماهيرية فعلا ، متشكلة سياسيا ، ثورية بروليتارية .

وكانت انتفاضة الحاكة فى سيليزيا (المانيا ، سنة ١٨٤٤) عبارة عن نضال كبير شنته الطبقة العاملة . فان هذه الانتفاضة كانت بداية نضال البروليتاريا الالمانية ضد الاوضاع البرجوازية ، وكان لها تأثير كبير فى نشاط البروليتاريا الاوروبية ونضالاتها الثورية .

كان نضال البروليتاريا الطبقى ضد البرجوازية بلا هوادة المقدمة الاجتماعية والاقتصادية الرئيسية لظهور الماركسية . وقد اكتسبت الحركة العمالية فى اواسط القرن التاسع عشر نطاقا واسعا . وارتفعت تدريجيا من الشكل الادنى ، الاقتصادى للنضال الى شكله الاعلى — الشكل السياسى . واخذت الطبقة العاملة تتزايد عدديا كما اخذت تدرك انه لا يكفى ان تتقدم بالمطالب الاقتصادية فقط من مختلف اصحاب المصانع . فقد علمت الحياة العمال ان جهاز الدولة البرجوازية يدعم

الرأسماليين بكل قوته ، وانه لا يمكن احراز النجاح فى النضال ضد الرأسماليين دون النضال فى سبيل الحقوق السياسية . ولقد فتشت الطبقة العاملة فى المذاهب الاشتراكية فى ذلك الزمن عن اجوبة عن المسائل التى تشغل بالها . ولكن الاشتراكية الطوباوية السابقة للماركسية كانت عاجزة عن اعطاء اجوبة صحيحة .

وقد غدت الماركسية — اللينينية علما حقيقيا عن المجتمع وتطوره .

كارل ماركس مؤسس الماركسية . كان كارل ماركس وفريدريك انجلس عالمين عبقريين وثوريين عظيمين . وكانا يعرفان العلوم الاجتماعية والطبيعية معرفة عميقة ، وكانا يتتبعان على الدوام احدث الاكتشافات العلمية ووقائع الحيـــــاة الاجتماعية ، ويحللانها ويعممانها بصورة خلاقة . وقد درسا الحركة العمالية فى العالم اجمع ولاسيما فى بلدان اوروبا وآسيا واميركا باهتمام خاص .

وفى ذلك ساعدتهما معرفتهما لعدد عديد من اللغات . فقد كان كارل ماركس يقرأ ويتكلم

بالفرنسية والانجليزية والاسبانية ، وكان يعرف اللغة اللاتينية واللغة اليونانية . وكان فريدريك انجلس يملك ناصية ٢٠ لغة . وقد درس ماركس وانجلس وحوّرا بعين نقادة خير ما ابدعته العبقرية البشرية وبذلك احدثا انقلابا ثوريا في العلم ، وبنيا نظرية علمية متناسقة لتحويل العالم وكشفا قوانين تطور التاريخ البشرى .

ولد كارل ماركس في مدينة ترير (اقليم الرين في بروسيا) في ٥ ايار (مايو) ١٨١٨ في عائلة محام . كان والده ، هنريخ ماركس ، من ذوى التحصيل العام والمهنى العالى ، وقد حاول ان يربى اولاده بروح الافكار الطليعية التى تقدم بها فولتير وروسو وليسينغ والاشتراكيون — الطوباويون .

في سنة ١٨٣٠ انتسب كارل ماركس الى مدرسة ترير الثانوية ، ولكن عالمه الروحى تكون بصورة مستقلة ، بقراءة الكتب في التاريخ والفلسفة والادب . وفي باكر العمر اخذ ماركس يمعن الفكر في تكريس حياته للنضال من اجل سعادة الشعب ، من اجل العدالة . وهذه

التأملات والامزجة انعكست فى انشائه فى دورة التخرج من المدرسة الثانوية «تأملات فتى فى اختيار المهنة» . ولقد صاغ ماركس ، على عتبة سبيله المستقل فى الحياة ، فكرة صارت من حيث الجوهر شعار حياته ، هى فكرة العمل من اجل البشرية . ولقد ادرك ان هذا السبيل ليس مزروعا بالزهور ، بل بالاشواك ، ولكنه ادرك ان الاشواك لن تخيفه . وفهم كل ثقل مسؤولية اختياره العظيمة : «اذا كنا قد اخترنا مهنة نستطيع فى اطارها ان نعمل من اجل البشرية اكثر ما نستطيع ، فاننا لن ننوء تحت عبئها . . .» * .

فى سنوات الدراسة الطلابية (فى جامعة بون ثم فى جامعة برلين) ، درس كارل ماركس التاريخ والادب والفلسفة والحقوق دراسة معمقة . وفى سنة ١٨٤١ دافع بنجاح عن اطروحة الشهادة ، مقدما البرهان عن معارف عميقة وعقل عالى التطور . ومن الطريف والمفيد ان

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٤٠ ، ص ٧

نسوق فى هذا الصدد قول احد اصدقاء ماركس فى سنوات الشباب ، عنينا به موزيس هسّ . فقد كتب هس فى رسالة الى احد اصدقائه : «. . كن مستعدا للتعرف على فيلسوف عظيم جدا ، ولربما الفيلسوف الحقيقى الوحيد بين الفلاسفة العائشين حاليا . . . الدكتور ماركس — وهذا هو اسم معبودى — لا يزال شابا فى مقتبل عهد الشباب (بالكد يبلغ عمره اكثر من ٢٤ سنة) ؛ انه سيسدد الضربة الاخيرة الى الدين القروسطى والسياسة القروسطية ؛ وفيه تجتمع الجدّية الفلسفية البالغة العمق مع الفكاهة البالغة الدقة ؛ تصور روسو وفولتير وهولباخ وليسينغ وهينه وهيغل مجموعين فى شخص واحد ؛ واقول مجموعين وليس مخلوطين ميكانيكيا ، فيتوفر لك تصور عن الدكتور ماركس» .

ومنذ سنة ١٨٤٢ اخذ ماركس يشارك فى تحرير «الجريدة الرينانية» ثم صار رئيس تحريرها . وقد غدت الجريدة منبرا فضح منه بحدة وحماسة النظم البروسية اللاانسانية وسيادة الاقطاعيين ، وتعسف الموظفين البيروقراطيين ، والامتيازات

المراتبية ، ومضايقات المراقبة على الصحف ، ودافع عن الجماهير الكادحة المظلومة ، الامر الذى استثار غضب السلطات البروسية ، فأغلقت الجريدة فى اوائل سنة ١٨٤٣ . واذ ذاك قرر ماركس ان يغادر المانيا .

بدأ ماركس المرحلة الجديدة من حياته مع زوجته جينى فون وستفالن ، وفيها اكتسب رفيقة مخلصة فى حياته كلها . فهى لم تشاطر زوجها مصيره واعماله ونضاله وحسب ، كما قال انجلس ، بل اشتركت هى ايضا فيها بقدر بالغ جدا من الوعى وبحماسة نارية جدا .

فى خريف ١٨٤٣ استقر كارل ماركس فى باريس وأسس فيها مجلة «الحولية الالمانية الفرنسية» . وفى هذه المجلة نشر مقالته «مساهمة فى انتقاد فلسفة الحق عند هيغل . المقدمة» ؛ وفيها علل للمرة الاولى الفكرة العبقرية القائلة ان البروليتاريا هى تلك القوة الفعلية القادرة على العمل الثورى الفعال ، وان البروليتاريا هى حلقة الوصل بين النظرية والتطبيق ، بين الفلسفة والحياة اى ، بتعبير آخر ، ان البروليتاريا مدعوة الى ان تطبق

عمليا الافكار عن المجتمع الخالى من الاستثمار.

كيف سيكون المجتمع الجديد ؟ ردا على هذا السؤال وصف ماركس فى «المخطوطات الاقتصادية الفلسفية سنة ١٨٤٤» الشيوعية بانها مجتمع النزعة الانسانية الحقيقية ، المكتملة ، التى تؤمن لجميع اعضائه امكانية التطور من جميع النواحى . وقد خطا ماركس خطوة حاسمة الى الامام ووجد الهدف الحقيقى من النضال ، وهو النضال من اجل مثل الشيوعية ، كما وجد تلك القوة المادية القادرة على تحقيق هذه المثل العليا ، — اى الطبقة العاملة .

وهكذا توصل ماركس فى السادسة والعشرين من عمره الى نظرة جديدة ، علمية حقا الى العالم ، الى حياة المجتمع . وقد امكن هذا فى حاصل عمل ابداعى هائل . فقد استوعب ماركس وحوَّر بعين نقادة كل تراث الثقافة الاوروبية فى مضمار الفلسفة وسائر ميادين الفكر الاجتماعى .

لم تظهر الماركسية بوصفها ادراكا وتعميما لمنجزات البشر الروحية وحسب ، بل ظهرت

كذلك بوصفها تعبيرا عن الميول الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المعنية فى تطور المجتمع البرجوازى ، المجتمع العابر تاريخيا ، المحكوم عليه بالزوال .

انتقل ماركس نهائيا الى الشيوعية فى سنة ١٨٤٤ . فمنذ ذلك الوقت بالذات بدأ تطور العقيدة الشيوعية العلمية ، بدأ تطور الماركسية . ولكن كان لا بدّ من نشاط عملاق فى ميدان البحث العلمى وميدان الثورة لاجل تطوير نظرية ماركس فى جميع الاتجاهات . وهذا النشاط العملاق قام به ماركس مع انجلس . ففى سنة ١٨٤٤ تقابل ماركس للمرة الاولى مع انجلس فى باريس . ومذ ذاك بدأت صداقتهما الودية ، وبدأ نشاطهما الثورى المشترك ، المتوتر . وفى ربيع سنة ١٨٤٧ انضم ماركس الى جمعية «عصبة الشيوعيين» . وكتب مع انجلس البيان الشهير ، «بيان الحزب الشيوعى» ، البرنامج الاول لحزب الطبقة العاملة الثورى . وفى سنة ١٨٤٩ اضطر ماركس الى الانتقال الى لندن حيث عاش حتى وفاته .

كانت ظروف حياة ماركس فى المهجر خارقة المشقة . ولولا المساعدة المادية التى قدمها له انجلس ، لكان هلك تحت وطأة الفقر والعوز . وكانت الامور تبلغ احيانا الى حد ان ماركس لم يكن يخرج من بيته لأن البسته كانت مرهونة فى اللومبارد (المرهن) وقد كتب الى انجلس فى رسالة بتاريخ ٨ ايلول (سبتمبر) ١٨٥٢ : «زوجتى مريضة ، جينيخن (الابنة) مريضة . . . لم استطع ولا استطيع ان استدعى طبيبا لانه لا نقود عندى للدواء . فى غضون ٨ — ١٠ ايام ، تغذت عائلتى بالخبز والبطاطا ، واليوم من المشكوك فيه ايضا ان اتمكن من الحصول حتى على هذا» .

ولكن ، رغم العوز والفاقة ، عكف ماركس بحزم وعزم على النشاط العلمى والثورى . فقد عمل طوال اربعين سنة على كتابة «رأس المال» . ولاعداد هذا المؤلف كتب ٣٠ — ٣٥ مجلدا من المسودات . وقد قال ماركس نفسه ان «رأس المال» كان ارهب قنبلة أطلقت ذات يوم الى رأس البرجوازى . ففى «رأس المال»

بالضبط ، تجسد مذهب ماركس بأكمل نحو . وفيه برزت الماركسية اداة جبارة لمعرفة العالم معرفة علمية لاجل تحويله بالسبيل الثورى . وفى «رأس المال» بالذات حظيت الاشتراكية بتعليل اقتصادى موثوق .

ان تركة ماركس العلمية خارقة الكبر والعظمة . فقد كتب عشرات الكتب والكراريس من «رأس المال» المتعدد المجلدات حتى الاعمال الصغيرة نسبيا ، وآلاف المقالات والرسائل ووثائق الحركة العمالية . وفى اكمل طبعة لمؤلفات ماركس وانجلس الموجودة حاليا (الطبعة الروسية) من ٥٠ مجلدا (٥٤ كتابا) تعود الى ماركس اغلبية المؤلفات الواردة فيها .

فى ١٤ آذار (مارس) ١٨٨٣ توفى ماركس ودفن فى مقبرة هايغت فى لندن . وقد قال انجلس بصدد وفاة ماركس : «ان البشرية قد هبطت بقدر رأس واحد ، علما بانه اهم رأس بين جميع الرؤوس التى كانت تملكها فى زمننا» * .

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٣٥ ، ص ٣٨٦ .

فريدريك انجلس صديق ماركس ورفيقه فى الفكر والكفاح . ولد فريدريك انجلس فى ٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٨٢٠ فى مدينة بارمن (المانيا) . كان والده صناعيا . فى سنة ١٨٣٧ بدأ انجلس يمارس الاعمال التجارية نزولا على اصرار والده . ولكنه لم يبد جهدا خاصا فى حقل التجارة ، بل حاول ان يجد الوقت للتحصيل العلمى الذاتى ، لدراسة العلوم الاجتماعية والادب واللغات . ومارس الرياضة كثيرا ، وركوب الخيل ؛ وكان بارعا فى المسايفة والسباحة ، والخ . .

وقد تتبع انجلس باهتمام كبير تطور افكار الاشتراكية الطوباوية ، وخلص الى القول ان الشيوعية وحدها دون غيرها تستطيع ان تحل القضايا الاجتماعية الملحة حلا كاملا .

فى اواسط تشرين الثانى (نوفمبر) ١٨٤٢ ، سافر انجلس الى مدينة مانشستر (انجلترا) لاجل الممارسة التجارية فى مصنع للغزل كان والده شريكا فيه . وآنذاك كانت انجلترا ارقى بلد صناعى فى العالم . وفيها كانت كذلك الحركة

العمالية الأكثر تطورا . وكانت بروليتاريا انجلترا قد شعرت بقوتها ، وكانت نضالاتها تكتسب طابعا منظما وجماهيريا . وقد درس انجلس الحياة السياسية ووضع الطبقة العاملة فى انجلترا . وزار احياء العمال وتحادث مع البروليتاريين ، ورأى كدحهم المرهق وظروف حياتهم الرهيبة ، وتعرف على زعماء الحركة العمالية ، ودرس المعطيات الاحصائية والوثائقية عن عمل العمال ومعيشتهم .

وبعد فترة وجيزة ارسل انجلس الى «الجريدة الرينانية» التى كان ماركس فى ذلك الوقت رئيس تحريرها ، بضعة مقالات عن وضع الطبقة العاملة ، فنشرتها الجريدة فى الحال . ولاجل اصدار «الحولية الالمانية الفرنسية» التى اسسها ماركس ، ارسل انجلس من انجلترا بضعة مقالات بينها «مسودة لانتقاد الاقتصاد السياسى» . وقد وصف ماركس هذا العمل بانه نبذة عبقرية عن الاقتصاد السياسى البروليتارى . فقد كان هذا العمل يتضمن تحليلا للظاهرات والتناقضات الاساسية فى الرأسمالية من مواقع البروليتاريا

الثورية ، وانتقادا لآراء ممثلى الاقتصاد السياسى البرجوازى ، المدافعين السافرين عن الرأسمال .

كذلك قدر ماركس تقديرا ارفع مؤلفا آخر بدأ انجلس يكتبه فى انجلترا ولكنه انجزه بعد حقبة من الوقت ، فى سنة ١٨٤٥ ، والمقصود هنا كتاب «وضع الطبقة العاملة فى انجلترا» . وفى هذا الكتاب رسم انجلس لوحة صادقة عن بلايا الطبقة العاملة ؛ وكان فى الوقت نفسه أول من بيّن ان البروليتاريا ليست طبقة متألمة وحسب ، بل ايضا طبقة يدفعها وضعها الاقتصادى الشاق الى النضال فى سبيل تحررها عن طريق اسقاط النظام الرأسمالى . وقد كتب انجلس فى مؤلفه هذا : «امام العالم اجمع أتهم البرجوازية الانجليزية باعمال القتل والنهب بالجملة وبغير ذلك من الجرائم . . . ولكنه غنى عن البيان انى حين انخز الكيس ، انما اقصد الحمار ، اى البرجوازية الالمانية . انى اقول لها بما يكفى من الوضوح انها سيئة مثل البرجوازية الانجليزية ، ولكنها ليست مثلها من حيث الجرأة والانسجام

والتفنن فى النهب والسلب» * .

فى سنتى ١٨٤٥ و١٨٤٦ كتب ماركس وانجلس معا «الايديولوجية الالمانية» . وفيها قدما للمرة الاولى فى التاريخ عرضا مسهبا لاهم مبادئ الشيوعية العلمية ، وصاغا فكرة تعاقب التشكيلات الاجتماعية بصورة قانونية محتمة ، وبرهنا حتمية زوال الرأسمالية ، وبيّنا ان عملية التطور الاجتماعى ترتكز على تطور القوى المنتجة وعلاقات الانتاج .

فى سنة ١٨٤٧ اعدّ انجلس مشروع برنامج عصبة الشيوعيين «مبادئ الشيوعية» . وهذه المبادئ قامت فى اساس «بيان الحزب الشيوعى» الذى كتبه ماركس وانجلس معا (سنة ١٨٤٨) والذى برزت فيه الماركسية بوصفها عقيدة متكاملة للبروليتاريا .

كتب انجلس عددا كبيرا من البحوث العلمية ، من اكبرها «ضد دوهرينغ» حيث عرض بصورة خلاقة اقسام الماركسية المكونة الثلاثة —

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٧ ، ص ١٠ .

الفلسفة المادية ، الاقتصاد السياسى ، الشيوعية العلمية . وبعد وفاة ماركس اعدّ واصدر المجلدين الثانى والثالث من «رأس المال» وهذان المجلدان هما من اعمال ماركس وانجلس المشتركة .

كان انجلس ، صديق ماركس ورفيقه العظيم فى الفكر والكفاح ، يعتبر ان الفضل الاكبر فى بناء النظرية الثورية يعود الى ماركس بالذات . وقد كتب فى مؤلفه «لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية» : «اجيز لنفسى هنا ايضاحا شخصيا واحدا . لقد اشاروا حديثا غير مرة الى اسهامى فى وضع هذه النظرية . ولهذا ، ارانى مضطرا هنا الى قول بضع كلمات لتوضيح هذه المسألة . فانا لا استطيع ان انكر اننى اشتركت بصورة مستقلة الى حد ما ، قبل واثناء تعاونى خلال اربعين سنة مع ماركس ، سواء فى تثبيت اسس النظرية التى نتكلم عنها ام فى وضعها على الاخص . ولكن الجزء الاكبر من الافكار الاساسية الموجهة وخاصة فى الميدان الاقتصادى والتاريخى ، ولاسيما فيما يتعلق بصياغتها الواضحة النهائية ، انما هى جميعها ترجع الى ماركس . وما اسهمت

به انا ، كان بامكان ماركس ان يفعله بكل سهولة بدوني — ربما باستثناء ميدانين او ثلاثة من الميادين الخاصة . ولكن ما فعله ماركس ، ما كان في مستطاعي انا ان اقوم به ابدا . ان ماركس كان اعلى منا جميعا ، وكان يرى ابعد واوسع واسرع منا جميعا . ان ماركس كان عبقريا ؛ اما نحن فكنا ، على اكثر تقدير موهوبين . ولولاه لكانت نظريتنا بعيدة جدا عما هي عليه اليوم ، ولهذا تحمل اسمه بجدارة» * .

توفي انجلس في ٥ آب (اغسطس) ١٨٩٥ .

كرس كارل ماركس وفريدريك انجلس كل حياتهما للحركة العمالية العالمية . وارسيا بمؤلفاتهما النظرية ونشاطهما العملي المباشر بداية مرحلة جديدة في الحركة الثورية للبروليتاريا . ومن اعظم مآثر ماركس وانجلس امام الطبقة العاملة انهما بنيا نظرية علمية ثورية عوضا عن الاحلام العقيمة .

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٢١ ، ص ٣٠٠ — ٣٠١ .

الشيوعية ليست طوباوية بل علم . خلص ماركس وانجلس ، بنتيجة نشاطهما العلمى والثورى ، الى القول ان الشيوعية ليست اكتشافا من باب الصدفة حققه فرد عبقرى بمفرده ، بل نتيجة محتمة لتطور المجتمع البشرى . وبذلك حولا الاشتراكية من طوباوية الى علم .

قال لينين : «ليس عند ماركس ولو قطرة من الطوباوية بمعنى انه اختلق ، تخيل مجتمعا «جديدا»» * .

لقد حاول ماركس وانجلس ان يحللا قضايا الماضى والحاضر والمستقبل كماديين ديالكتيكيين . وقد بحث المسألة التالية : لماذا تحدث التغيرات فى الحياة الاجتماعية ، كيف وفى اى اتجاه يتطور المجتمع . وبيّنا ان الجماهير الكادحة التى تصنع جميع الخيرات المادية هى التى تصنع التاريخ ، وان نضال اهل العمل ضد المستثمرين هو القوة المحركة لتطور جميع المجتمعات الطبقية

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، المجلد ٣٣ ، ص ٤٨ .

(المجتمع العبودى ، المجتمع الاقطاعـــى ، المجتمع الرأسمالى) . وبدراسة النظام الرأسمالى كشف مؤسسا الماركسية تناقضاته الجذرية . كذلك درسا بدقة وامعان كيف تنشأ فى اطار الرأسمالية بالذات الشروط المادية لانحلالها وزوالها . وقد رأيا فى البروليتاريا القوة القادرة على تدمير النظام القديم ، وعللا علميا دورها فى بناء المجتمع الاشتراكى .

لماذا البروليتاريا بالذات تقوم بدور حفارة قبر الرأسمالية وبانية المجتمع الاشتراكى ؟

اولا ، البروليتاريا فى المجتمع البرجوازى غير مرتبطة باية ملكية ، فهى لا تملك شيئا ، عدا ايديها العاملة . وعبء الملكية الخاصة لا يرهقها ولا يكبح مطامحها ومساعيها الثورية ، ولهذا لا تخسر شيئا فى الثورة غير قيودها .

ثانيا ، تتعرض البروليتاريا للاستثمار القاسى . والبرجوازية تحصل على جميع الثروات الاساسية من نهب البروليتاريا . ووضع الطبقة العاملة هذا يجعلها المناضل الاشد حزما وعزما مـــــن اجل الاشتراكية .

ثالثا ، ترتبط الطبقة العاملة بالانتاج الآلى ، اى بالانتاج الاكثر تقدما والانتاج الذى يتطور بلا انقطاع . ومع نمو الانتاج الرأسمالى تتنامى وتقوى حتما البروليتاريا ، القوة المنتجة الرئيسية فى المجتمع .

رابعا ، ان تطور الانتاج الرأسمالى يؤدى موضوعيا الى تراص الطبقة العاملة فى جيش ثورى واحد يواجه البرجوازية . والطبقة العاملة هى القوة السياسية الاوفر تنظيما فى العهد المعاصر ، وهى متسلحة بالنظرية الثورية الاكثر تقدما ، وهى تسير بقيادة الاحزاب الشيوعية والعمالية .

وللمرة الاولى فى التاريخ ، اوضح ماركس وانجلس ان المجتمع الجديد ليس اختلاق حالمين ، بل الهدف النهائى والنتيجة الضرورية لتطور القوى المنتجة وعلاقات الانتاج فى ظل الرأسمالية . وقد اصبح «بيان الحزب الشيوعى» وثيقة برنامجية للثوريين فى جميع البلدان . ففيه عرض مؤسسا الماركسية لمحة عبقرية عن الافكار والمبادئ الاساسية فى نظريتهما ، وعن الموضوعات الاساسية فى الاشتراكية العلمية وفى

السياسة الثورية للبروليتاريا . وفيه أرسيا اسس المذهب الماركسى عن الحزب الذى تكتسب البروليتاريا الاستقلال السياسى والقوة بالاتحاد والتراص حوله . وينتهى «بيان الحزب الشيوعى» بالكلمات النبوئية : «فلترتعش الطبقات الحاكمة امام الثورة الشيوعية . فليس للبروليتاريا ما تفقده فيها سوى قيودها واغلالها ، وتربح من ورائها عالما باسره .

«يا عمال العالم ، اتحدوا !» *

وفى «البيان» برزت الماركسية للمرة الاولى بوصفها برنامجا متناسقا ومتجانسا لتحويل العالم . قال لينين : «ان هذا الكتاب يعرض بوضوح ودقة عبقريين المفهوم الجديد عن العالم ، يعرض المادية المتماسكة التى تشمل ايضا ميدان الحياة الاجتماعية ، والديالكتيك ، بوصفه العلم الاوسع والاعمق للتطور ، ونظرية النضال الطبقى والدور الثورى الذى تضطلع به فى التاريخ العالمى

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٧ ، ص ١٠ .

البروليتاريا ، خالقة المجتمع الجديد ، المجتمع الشيوعى» * .

ارسى «بيان الحزب الشيوعى» بداية الحركة الثورية العظيمة من اجل تحويل العالم على اسس الاشتراكية . وقد قال لينين «ان هذا الكتيب يساوى المجلدات الضخمة : فروحه ما تزال حتى ايامنا ، تنفذ الى مجموع البروليتاريا المنظمة المناضلة ، فى العالم المتمدن ، وتحركها» ** .

فيم تنعكس بصورة ملموسة عملية تطبيق افكار «البيان» فى زمننا ؟

— قبل كل شىء فى بناء مجتمع جديد فى بلدان الاشتراكية ، وفى تحسين جميع جوانبه ؛ فى توطد الاسرة الاشتراكية العالمية وكل من البلدان الاشتراكية الشقيقة من جميع النواحى وفى تطورهما الناجح .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٦ ، ص ٤٨ .

** لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢ ، ص ١٠ .

— فى التشدد حيال الاستثمار والاضطهاد ، فى النضال المتفانى ضد الامبريالية ، وضد الحرب ، ومن اجل السلام بين الشعوب ؛ فى النضال من اجل تحقيق الاهداف الطبقية الجذرية للبروليتاريا فى المنطقة غير الاشتراكية من العالم وفى الدفاع عن مصالحها الحيوية ؛ فى النضال من اجل التحرر الوطنى للشعوب ، من اجل توطيد وتطوير مكاسبها الثورية .

— فى الاخلاص الراسخ للاممية البروليتارية ، وفى النضال الدائب من اجل وحدة الصفوف الشيوعية ، من اجل تراص جميع القوى المناهضة للامبريالية فى العهد المعاصر .

— فى التشدد حيال اى من ظاهرات الايديولوجية المعادية للاشتراكية — الايديولوجية البرجوازية ، ايديولوجية التعصب القومى ، الايديولوجية الاصلاحية ، الايديولوجية التحريفية ، فى النضال من اجل نقاوة الماركسية—اللينينية ، من اجل تطبيقها وتطويرها بصورة خلاقة .

الانقلاب الثورى فى النظرات الى الطبيعة

والمجتمع . لقد أعدّ الماركسية تطور التاريخ البشرى كله تطورا مديدا وعسيرا ، وتطور العلم فى جميع الاجيال السابقة وقد غدت الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ، والاقتصاد السياسى الانجليزى ، والفلسفة الطوباوية المصادر النظرية للماركسية .

كان هيغل (١٧٧٠ — ١٨٣١) وفورباخ (١٨٠٤ — ١٨٧٢) ممثلين بارزين للفلسفة الكلاسيكية الالمانية . فقد علل هيغل المذهب الفلسفى عن التطور — الديالكتيك . ولكن محدودية الديالكتيك الهيغلى كانت تكمن فى أساسه المثالى . فقد تناول تطور عالم غير واقعى ، غير فعلى ، تطور فكرة مطلقة هى ، كما زعم هيغل ، اساس العالم وسببه النهائى . اما فورباخ ، فقد برهن ، على العكس ، انه يمكن تفسير الطبيعة من ذاتها ، دون اللجوء الى التصورات الصوفية . ولكن مادية فورباخ كانت مادية ميتافيزيائية تنكر التطور ولا تعترف الا بالتغيرات الكمية . فان فورباخ لم يفهم اهمية الديالكتيك الهيغلى البالغة ، ولم يستطع ان يطبقه على الطبيعة وعلى تاريخ المجتمع . ولكن

ديالكتيك هيغل ومادية فورباخ كانا نقطة الانطلاق لاجل بناء الفلسفة الماركسية .

وفى ميدان الاقتصاد السياسى كان الاقتصاديان الانجليزيان آدم سميث (١٧٢٣ — ١٧٩٠) ودافيد ريكاردو (١٧٧٢ — ١٨٢٣) سلفى الماركسية . وقد بيّنا ان العمل هو مصدر جميع ثروات المجتمع واعدّا بالتالى التربة لبناء الاقتصاد السياسى العلمى .

ان الاشتراكيين-الطوباويين العظام فى القرن التاسع عشر سان سيمون وفوريه واوين قد انتقدوا النظام الرأسمالى انتقادا حادا ورسموا سمات المجتمع المقبل الاساسية . ولكنهم لم يستطيعوا الاشارة الى السبل الفعلية لبلوغه .

ان الماركسية هى الوريثة الشرعية لخير ما ابدعته البشرية فى القرن التاسع عشر بشخص الفلسفة الالمانية والاقتصاد السياسى الانجليزى والاشتراكية الطوباوية . ولم يكن ماركس وانجلس مجرد مواصلين لتراث اسلافهما النظريين ، بل حوّراه بعين نقادة وبنيا مذهبا جديدا يعرب عن المصالح الجذرية للطبقة الاكثر تقدما وثورية — البروليتاريا . وقد قاما بثورة حقيقية فى تاريخ

تحرير الشغيلة الاجتماعى ، الامر الذى انعكس فيما يلى .

اولا ، فى النضال ضد المثالية ، ذاد ماركس وانجلس عن المادية الفلسفية وطوراها ، واغنيا هذه المادية بالديالكتيك اى بالمذهب الاكمل والاوسع عن تطور العالم الموجود بصورة موضوعية وعن معرفته . وبذلك بنيا الديالكتيك المادى الذى ذلل محدودية المادية الميتافيزيائية وتميز بصورة جذرية عن الديالكتيك الهيغلى القائم على المثالية . وقد سحبا المادية والديالكتيك على الحياة الاجتماعية وبنيا المادية التاريخية .

ثانيا ، بالاعتماد على افكار سميث وريكاردو وغيرهما من ممثلى الاقتصاد السياسى البرجوازى الكلاسيكى ، كشف مؤسسا الماركسية سر القيمة الزائدة التى يستأثر بها الرأسماليون . ونشأ الاقتصاد السياسى الماركسى . ومع تفسير قوانين المجتمع الرأسمالى الاقتصادية ، خلص هذا الاقتصاد الى القول بالضرورة التاريخية القاضية بتصفية الملكية الخاصة والاستعاضة عنها بالملكية

الاجتماعية ، العامة .

وقد درس ماركس وانجلس قضايا الاقتصاد السياسى وحللا الواقع فى الوقت نفسه تحليلا فلسفيا . ولقد دلت ماديتهما الفلسفية الطبقة العاملة على الطريق الى التحرر الروحى ، بينما نظريتهما الاقتصادية التى تشكل نظرية القيمة الزائدة حجر الزاوية فيها ابانت وضع الطبقة العاملة الفعلى فى ظل الرأسمالية .

ثالثا ، اعطى مؤسسا الماركسية فهما علميا للنضال الطبقى . وقد عللا دور الجماهير الشعبية الحاسم فى التاريخ ، والرسالة التاريخية العالمية التى تؤديها الطبقة العاملة فى القضاء على الرأسمالية وفى بناء النظام الاشتراكى وتوطيده .

رابعا ، بتعليل الفهم المادى للتاريخ وتطبيقه على معرفة المجتمع البرجوازى المعاصر ، كشف ماركس وانجلس القوانين الموضوعية للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وبذلك سلحا الحركة العمالية ببرنامج للنشاط الثورى ، لستراتيجية وتكتيك النضال الطبقى ، وبنيا الاشتراكية العلمية .

ان مذهب ماركس لكلى الجبروت لانـــه

صحيح . وفى هذا بالذات يكمن الينبوع الاعظم لقوته وتأثيره .

ان ماركس وانجلس ليسا مفكرين عبقريين وحسب ، بل ايضا ثوريان عظيمان للغاية ، زعيمان للبروليتاريا العالمية . وقد استرشدا بالموضوعة التى صاغها ماركس : «ان الفلاسفة لم يفعلوا غير ان **فسروا** العالم باشكال مختلفة ولكن المهمة تتقوم فى **تغييره**» * ولقضية تغيير العالم تغييرا ثوريا كرسا كل حياتهما وكل قوة عقلهما الخارق .

أسس ماركس وانجلس اول منظمة سياسية فى التاريخ للبروليتاريا الثورية هى عصبة الشيوعيين . وفى سنة ١٨٦٤ اسسا جمعية الشغيلة العالمية التى دخلت التاريخ باسم الاممية الاولى . كانت مهمة الاممية الاولى تتلخص قبل كل شىء فى الاسهام فى انشاء الاحزاب البروليتارية الجماهيرية فى مختلف البلدان ، وفى تربية الجماهير الكادحة بروح النظرية الثورية . وقد كتب ماركس وثيقتى

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٣ ، ص ٤ .

الاممية البرنامجيتين الاساسيتين — البيان التأسيسى والنظام الداخلى ؛ وفيهما اشير الى ان تحرير الطبقة العاملة يجب ان يكون من صنع الطبقة العاملة نفسها وان مهمتها الاساسية هى الظفر بالسلطة السياسية وبناء الاشتراكية . قال لينين : «ان الاممية الاولى (١٨٦٤ — ١٨٧٢) كانت قد ارست اسس تنظيم العمال على نطاق عالمى بغية تحضير هجومهم الثورى على الرأسمال . . . ارست اسس النضال البروليتارى ، العالمى فى سبيل الاشتراكية» * .

وهكذا كان ماركس وانجلس رائدى الحركة الشيوعية العالمية . لقد كانا مفكرين ثوريين يستمدان الوحى والالهام من نضال الطبقة العاملة .

اللينينية مرحلة جديدة فى تطور الماركسية

لينين — المواصل العظيم لقضية ماركس

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٣ .

وانجلس . وجدت الماركسية مواصلة وتطويرا خلاقا فى مؤلفات الابن العظيم للشعب الروسى فلاديمير ايليتش لينين (١٨٧٠ — ١٩٢٤) وفى نشاطه الثورى .

على تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين دخلت الرأسمالية مرحلتها الاخيرة ، المرحلة الامبريالية ، وتحولت من رأسمالية صاعدة الى رأسمالية طفيلية ، ومتعفنة ومحتضرة . وفى هذه المرحلة صارت بروليتاريا روسيا طليعة الحركة العمالية العالمية . وفى روسيا كانت القيصرية وبقايا الاقطاعية تجمد تطور البلاد الاجتماعى والاقتصادى . وكانت التناقضات الاجتماعية فى روسيا قد بلغت حدة خارقة . وكانت الطبقة العاملة تناضل ضد الرأسماليين ، وكان الفلاحون يناضلون ضد الملاكين العقاريين ، وكانت شعوب الاطراف القومية تناضل ضد نير مزدوج — ضد الحكم المطلق القيصرى وضد ظالميها من ابنائها . وكانت حركة العمال وحركة الفلاحين وحركة التحرر الوطنى ، باكمال وتقوية بعضها بعضا تقرّب انهيار النظام البرجوازى الاقطاعى فى

روسيا . وبالنتيجة اخذت روسيا تصبح اكثر فاكثر اضعف حلقة فى سلسلة الرأسمالية العالمية . وبرز لينين مواصلا لقضية ماركس وانجلس وصارت روسيا موطن اللينينية .

ولد فلاديمير ايليتش لينين (اوليانوف) فى ٢٢ نيسان (ابريل) ١٨٧٠ فى مدينة سيمبيرسك (اوليانوفسك حاليا) . وكان والداه ينتميان الى فئة المثقفين الروس التقدميين . وكان والده منحدرا من الشرائح الفقيرة . وبفضل الكدح الدائب والكفاءات البارزة ، تسنى له ان يتخرج من الجامعة بنجاح ويصبح معلما ، ثم مفتشا للمدارس الشعبية فى محافظة سيمبيرسك .

وكانت ام لينين ، المتحلية بمواهب كبيرة ، تعرف بضع لغات اجنبية ، وكانت تمارس الموسيقى بولع وهواية ، وتطالع كثيرا . كانت نحيلة المنظر ولكنها كانت تتميز بقدر بالغ من الشجاعة والتفانى والصلابة . وغير مرة تجلت هذه الصفات فى سنوات المحن الفائقة الشدة التى كانت من نصيب عائلة اوليانوف . ففى سنة ١٨٨٦ فقدت زوجها ، وبعد سنة فقدت

ابنها البكر السكندر الذى أُعدم شنقا لاشتراكه فى اعداد اغتيال القيصر . وفيما بعد ، تحملت بشجاعة ومرارا عديدة اعتقال ابنائها لقيامهم بالنشاط الثورى .

امضى لينين شبابه فى اجواء نظام من القمع الضارى كان يسود روسيا فى ذلك الوقت . كانت تلك مرحلة الرجعية الوحشية المنفلتة .

فى اواسط الثمانينات من القرن التاسع عشر شرع الفتى لينين يدرس على نفسه نظريـــــة ماركس–انجلس بدأب وانتظام . وفى صيف ١٨٨٥ اخذ للمرة الاولى فى يده كتاب ماركس «رأس المال» ، الذى جلبه اخوه الاكبر من بطرسبورغ . وفى شتاء ١٨٨٨ لخص بالتفصيل هذا المؤلف ، ودرس غير ذلك من مؤلفات ماركس وانجلس دراسة معمقة .

بدأ لينين نشاطه الثورى حين كان طالبا فى جامعة قازان فى السابعة عشرة من عمره . وفى سنتى ١٨٩٢ و١٨٩٣ ترأس الحلقات الماركسية فى مدينة سامارا ، ودرس الماركسية بعمق ، ثم ترأس الحلقات الماركسية فى بطرسبورغ

المتحدة فى «اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» ، وقام بنشاط دعائى وتنظيمى فى صفوف بروليتاريا العاصمة .

ومن اعظم مآثر لينين ، انه أسس فى عام ١٨٩٨ حزبا من طراز جديد ، هو حزب العمال الاشتراكى–الديموقراطى فى روسيا . وقد دشن تأسيسه مرحلة جديدة فى الحركة العمالية فى روسيا وفى العالم . وللمرة الاولى تأمنت للبروليتاريا منظمة بمقدورها فى الظروف التاريخية الجديدة ان تقود بنجاح نضالها من اجل التحـرر الاجتماعى .

استفاد لينين من الماركسية بصورة خلاقة فى نشاطه وكان دائما داعية متحمسا ومقتنعا لها . وقد عرض حتى فى اولى مؤلفاته موقفا خلاقا من نظرية ماركس الثورية . ففى عمله «من هم «اصدقاء الشعب» وكيف يحاربون الاشتراكيين–الديموقراطيين» (سنة ١٨٩٤) درس بعمق وصحة عمليات تطور الرأسمالية الجارية فى روسيا والتى كانت تتجلى فيها القوانين العامة لاسلوب الانتاج الرأسمالى ؛ وانتقد الاخطاء النظرية التى اقترفها

الشعبيون ، انصار دلك الحكم المطلق فى روسيا بالثورة الفلاحية .

فى اواخر سنة ١٨٩٦ اعتقلت السلطات القيصرية لينين ونفته الى سيبيريا ، الى قرية شوشنسكويه . والى شوشنسكويه وصلت ناديجدا قسطنطينوفنا كروبسكايا المنفية هى ايضا . وكان فلاديمير لينين قد تعرف عليها فى سنة ١٨٩٤ فى حلقة ماركسية بمدينة بطرسبورغ . وصارت ناديجدا كروبسكايا زوجة لينين وصديقته الوفية ، ورفيقته فى الفكر والكفاح .

فى المنفى انجز لينين مؤلفه الكبير «تطور الرأسمالية فى روسيا» (سنة ١٨٩٩) . وبالاعتماد على مجموعة ضخمة جدا من الوقائع ، وبالاستفادة من المعطيات الاحصائية التى درسها من جميع النواحى ، وتحقق بكل عناية من صحتها ، وصنفها وحللها بنفسه ، بيّن فى هذا المؤلف انحلال المشاعة ، وتمايز الفلاحين الى شغيلة مأجورين وبرجوازية ريفية ، ونشوء سوق لعامة روسيا ؛ وبحث بالتفصيل تطور الصناعة الآلية الكبيرة فى روسيا واظهر اتسام الانتاج

الصناعى بالطابع الرأسمالى ، وسلط النور على دور البروليتاريا واهميتها المتعاظمة .

علل لينين الدور التاريخى لبروليتاريا روسيا بوصفها مناضلا دؤوبا ضد القيصرية والرأسمالية ، بوصفها زعيم الثورة الاشتراكية المقبلة . وكتب يقول : «وعندما يستوعب ممثلو هذه الطبقة المتقدمون افكار الاشتراكية العلمية ، وفكرة الدور التاريخى الذى يعود للعامل الروسى ، وعندما تنتشر هذه الافكار على نطاق واسع ، وتؤسس بين العمال منظمات متينة ، من شأنها ان تحول حرب العمال الاقتصادية المتفرقة الحالية الى نضال طبقى واع ، ـ حينذاك يهب **العامل** الروسى على رأس جميع العناصر الديموقراطية ، ويدك الحكم المطلق ويقود **البروليتاريا الروسية** (جنبا الى جنب مع بروليتاريا **جميع البلدان**) **فى الطريق المباشر للنضال السياسى السافر نحو الثورة الشيوعية الظافرة**» * .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد الاول ، ص ٣١١ ـ ٣١٢ .

للمرة الاولى فى التاريخ ، صاغ لينين بكل عمق فكرة التحالف الثورى بين العمال والفلاحين . وقد رأى فى هذا التحالف القوة القادرة لا على تكنيس القيصرية وحسب ، بل ايضا على بناء المجتمع الاشتراكى المقبل .

فور انتهاء مدة النفى ، عمد لينين على توحيد القوى الثورية فى البلاد على مبادئ الماركسية ، النظرية منها والسياسية والتنظيمية . ولكنه اضطر فى صيف ١٩٠٠ ، بسبب من الملاحقات البوليسية ، الى السفر الى الخارج . وعنده فى الخارج كانت تتلاقى جميع خيوط قيادة النضال الثورى الذى كانت تخوضه بروليتاريا روسيا .

وعلى الدوام علق لينين اهمية خاصة على الحزب البروليتارى ، الحزب الجديد الطراز ، القادر على ترؤس نضال الجماهير الكادحة الثورى ، الحزب المدعو الى قيادة بناء المجتمع الاشتراكى . ولكن الحزب الثورى لا يمكن ان يتواجد بدون نظرية ثورية تجسد ايديولوجية البروليتاريا ، الوثيقة الارتباط بممارسة الحياة ذاتها . ولهذا الاستنتاج

علاقة مباشرة بالحزب الثورى ، كل حزب ثورى ، بصورة مستقلة عن ظروف عمله ومكانه وزمانه . ان النظرية الطليعية ، الثورية بالنسبة لحزب الشيوعيين انما هى قبل كل شيء واكثر من كل شيء دليل للعمل .

فى النضال من اجل انشاء حزب ثورى حقا ، يشغل مكانا مهما مؤلفا لينين «ما العمل ؟» (سنة ١٩٠٢) و«خطوة الى الامام ، خطوتان الى الوراء» (سنة ١٩٠٤) . وفى مؤلف «ما العمل ؟» يفضح لينين الاتجاه الانتهازى فى الاشتراكية-الديموقراطية . فوراء ستار الجمل والتعابير الديماغوجية عن «حرية النقد» ، نظر الانتهازيون نظرة مهادنة وغير ناقدة ، الى انتشار الافكار البرجوازية . وهذا الموقف ادى حتما الى تحويل الاشتراكية-الديموقراطية من حزب ثورى الى حزب اصلاحى .

وفى كتاب «خطوة الى الامام ، خطوتان الى الوراء» لفت لينين الانتباه الى بنية الحزب النوعية ، الى التقيد الدقيق بقواعد الحياة الحزبية ، الى توطيد وحدة الحزب ولحمته وانضباطه على

الدوام . وقد قال : «ليس للبروليتاريا سلاح في نضالها في سبيل الحكم سوى التنظيم . . . فان البروليتاريا تستطيع ان تصير — وستصير حتما — قوة لا تقهر ، لسبب وحيد ، هو ان اتحادها الفكري القائم على مبادئ الماركسية موطد ومرصوص بالوحدة المادية للمنظمة التي تحشد الملايين من الشغيلة في جيش الطبقة العاملة . وبوجه هذا الجيش ، لن تتمكن من الصمود لا سلطة الحكم المطلق الروسي المتداعية ولا سلطة الرأسمال العالمي الآخذة بالتداعي» * .

في اوج الثورة الديموقراطية الشعبية الاولى ، في خريف سنة ١٩٠٥ ، عاد لينين الى بطرسبورغ . وآنذاك كانت مسائل الكفاح الثوري الاساسية تشغل مكان الصدارة من اهتمامه .

ففي تموز (يوليو) ١٩٠٥ صدر في جينيف كتاب لينين «خطتا الاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الديموقراطية» ؛ وفيه اعطى تعليلا نظريا

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٨ ، ص ٤٠٣ — ٤٠٤ .

للخطة الستراتيجية والخط التكتيكى للطبقة العاملة فى الثورة . وقد أكد لينين ، فيما أكد : «**ينبغى على البروليتاريا ان تقوم بالانقلاب الديموقراطى الى النهاية ، بان تضم اليها جماهير الفلاحين ، لسحق مقاومة الاوتوقراطية بالقوة وشل تذبذب البرجوازية . وينبغى على البروليتاريا ان تقوم بالانقلاب الاشتراكى بان تضم اليها جماهير العناصر نصف البروليتارية من السكان ، لسحق مقاومة البرجوازية بالقوة وشل تذبذب الفلاحين والبرجوازية الصغيرة**» * .

منيت الثورة الروسية الاولى بالهزيمة . وبقرار من مركز الحزب ، غادر لينين روسيا فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٧ . وبدأت هجرته الثانية — عشر سنوات «جهنمية» عاشها بعيدا عن الوطن .

فى نيسان (ابريل) ١٩٠٨ صدرت مقالة لينين «الماركسية والتحريفية» وفيها كشف جوهر التحريفية الفكرى بوصفها ناشرة للايديولوجيـــة

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١١ ، ص ٩٠ .

البرجوازية . فبحجة «تصحيح» مذهب ماركس و«اعادة النظر» فيه ، حاول المحرفون ان يفرغوا الماركسية من مضمونها الطبقى ، و«ينبذوا» النضال الطبقى ، ويرفضوا ديكتاتورية البروليتاريا وفكرة الاشتراكية بالذات ، ويصرفوا الحركة العمالية الى طريق الاصلاحية والتوافق مع البرجوازية .

فى سنتى ١٩١٢ و١٩١٣ ، كتب لينين اكثر من ٥٠ عملا فى المسألة القومية ؛ وفيها طور النظرية الماركسية بشأن الامم وحركات التحرر الوطنى فى عهد الامبريالية ، وصاغ المبادئ الجذرية للبرنامج القومى للحزب — المساواة التامة فى الحقوق بين الامم ، حق الامم فى تقرير مصيرها ، وغير ذلك .

وجاء مؤلف لينين «الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية» (سنة ١٩١٦) درجة جديدة فى تطوير الماركسية ؛ وفيه ابان جوهر الامبريالية الاقتصادى وتناقضاتها وحتمية زوالها ، وخلص الى القول ان الامبريالية هى عشية الثورة الاشتراكية . ان هذا المؤلف هو مواصلة مباشرة وتطوير خلاق للموضوعات الاساسية فى مؤلف ماركس «رأس

المال» . كذلك حلل لينين الامبريالية تحليلا علميا فى عدد آخر من اعماله اللاحقة . وعلى اساس دراسة وتعميم مجموعة ضخمة من الوقائع ومن المواد النظرية اكتشف لينين قانون تطـور الرأسمالية فى عهد الامبريالية بغير انتظام وبقفزات ، واستخلص استنتاجا علميا فى غاية الاهمية مفاده انه يمكن للثورة الاشتراكية ان تنتصر بادئ بدء فى عدد قليل من البلدان الرأسمالية او حتى فى بلد رأسمالى بمفرده . ان اهمية هذا الاستنتاج خارقة بالنسبة للحركة الثورية العالمية جمعاء .

فى زمن الحرب العالمية الاولى ، عارض لينين الحروب الاغتصابية الامبريالية بحزم وعزم ، وبدأب ومثابرة . واستخلص استنتاجا مهما مفاده انه لا يمكن وضع حد للحرب الامبريالية الا عن طريق دعم وتطوير الافعال الثورية التى تقوم بها الجماهير الشعبية ، الا عن طريق توطيد الوحدة البروليتارية الاممية .

بعد دك القيصرية فى روسيا نتيجة للثورة البرجوازية الديموقراطية فى شباط (فبراير) ١٩١٧ عاد لينين الى الوطن فى ٣ نيسان (ابريل) .

وانتهت هجرته الاضطرارية الثانية . وقد كان مؤلف لينين «الدولة والثورة» (ايلول — سبتمبر — ١٩١٧) قسطا بالغا فى تطوير الماركسية . ففى هذا المؤلف عرض مذهبا متناسقا عن موقف البروليتاريا من الدولة البرجوازية فى سياق الثورة الاشتراكية ، وعن دولة ديكتاتورية البروليتاريا ، واعطى تحليلا نظريا عميقا عن الاسس الاقتصادية لاضمحلال الدولة فى ظل الشيوعية .

وقد جاء التعريف العلمى الذى اعطاه لينين عن سبل بناء الاشتراكية والشيوعية بمثابة تتويج لابداعه النظرى . فقد كشف قوانين مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية وسماتها الاساسية ؛ وبذلك عمق مذهب ماركس وانجلس عن المجتمع الجديد وطوره تطويرا خلاقا ، واغنى الماركسية بصياغة مبادئ تنظيم الجماهير فى سياق بناء هذا المجتمع عمليا .

وبالضبط تحت قيادة لينين والحزب الذى انشأه لينين ، قام شغيلة روسيا فى سنة ١٩١٧ بثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، واطاحوا بحكم المستثمرين ، ودشنوا عهدا جديدا فى تاريخ البشرية .

ان حياة لينين مأثرة كلها . فقد قضاها فى النشاط الفكرى الخلاق والعمل الثورى الذى لا يعرف الكلل ، فى معمعان المعارك الفكرية والسياسية . وقد جسد فى شخصه ابرز سمات الثورى البروليتارى : العقل الجبار ، الارادة التى تقهر كل شيء ، الحقد المقدس على العبودية والاضطهاد ، الحماسة الثورية ، الاممية المنسجمة ، الايمان غير المحدود فى الجماهير وقواها الخلاقة ، العبقرية التنظيمية الهائلة . وقد اسمى مذهب لينين ، قسطه فى النظرية الثورية ، باسم اللينينية .

ووفقا للظروف التاريخية الجديدة ، طور لينين واكثر تراث معلميه العظيمين النظرى ، واغنى جميع الاقسام المكونة للماركسية — الفلسفة ، والاقتصاد السياسى ، والشيوعية العلمية . وقد ناضل بهمة وحزم ضد محاولات تحويل مذهب ماركس وانجلس الى عقيدة جامدة ميتة . وقد كتب : «فنحن لا نعتبر ابدا نظرية ماركس شيئا كاملا لا يجوز المساس به ، بل اننا مقتنعون ، على العكس ، بانها لم تفعل غير

ان وضعت حجر الزاوية لذلك العلم الذى يترتب على الاشتراكيين ان يدفعوه الى الابعد فى جميع الاتجاهات ، اذا شاؤوا ألا يتأخروا عن موكب الحياة» * .

ان اللينينية انما هى ماركسية عهد الامبريالية والثورات البروليتارية وانهيار النظام الاستعمارى ، عهد انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية ، عهد انتصار الاشتراكية والشيوعية على الصعيد العالمى . وان قسط لينين فى النظرية الثورية لعلى درجة من العظمة بحيث انها اسميت فيما بعد بالماركسية–اللينينية . ان الماركسية–اللينينية هى المذهب الاممى للبروليتاريا فى العالم اجمع .

ومن هنا ينجم ان الماركسية–اللينينية هى نظام علمى من النظرات الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تشكل عقيدة الطبقة العاملة ، علم معرفة العالم وتحويله تحويلا ثوريا ، علم قوانين تطور الطبيعة والمجتمع والتفكير البشرى ،

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤ ، ص ١٨٤

علم قوانين تطور النضال الثورى الذى تخوضه الطبقة العاملة وجميع الشغيلة من اجل اسقاط الرأسمالية ، من اجل بناء المجتمع الاشتراكى والشيوعى .

ان الماركسية-اللينينية انما هى نظرية حية الى الابد ، طريقة جبارة لتفهم خبرة نضال الجماهير ونشاطها البناء تفهما خلاقا ، ومرشد لا غنى عنه للعمل . وسر ثبات الماركسية-اللينينية وحيويتها الخالدة يكمن فى واقع ان مذهب ماركس وانجلس ولينين وطرائقه ومبادئه ومثله العليا قريبة ومفهومة من ملايين وملايين الناس . وكل جيل جديد من الناس يجد فى هذا المذهب اجوبة واضحة عن المسائل التى تشغل باله . وهذا المذهب ينير امام البشرية الطريق الى المستقبل ويحمل السلام والتقدم الى شعوب الارض قاطبة .

الفصل الثانى

الاسس الفلسفية للماركسية–اللينينية

على اساس تعميم نضال البروليتاريا الطبقى صاغ ماركس وانجلس فلسفة جديدة مبدئيا هى المادية الديالكتيكية والتاريخية . وقد لقيت الفلسفة الماركسية فى مؤلفات لينين تطويرا لها مرتبطا بتحليل العهد التاريخى الجديد . وبما ان فلسفة الماركسية–اللينينية مذهب خلاق ، فانها تتطور بلا انقطاع على اساس تعميم التجربة التاريخية العالمية ومنجزات العلوم الطبيعية والاجتماعية . والمادية الديالكتيكية والتاريخية هى الاساس الفلسفى لمذهب ماركس وانجلس ولينين ، علم اعم قوانين الطبيعة والمجتمع والتفكير .

المسألة الاساسية في الفلسفة . كلمة «الفلسفة» philosophie من أصل يوناني قديم . وهي مؤلفة من كلمتين : phileo — أحب و sophia — الحكمة . والفلسفة بالمعنى الحرفي هي حب الحكمة .

نشأت الفلسفة في سحيق الازمنة ، حين بدأ الناس التفكير في كيفية نشؤ العالم المحيط بهم وبنيانه ، وفي المكان الذي يشغله الانسان في هذا العالم .

وعند دراسة العالم الذي يحيط بالانسان دراسة دقيقة ، نلاحظ ان جميع اشيائه ، إمّا مادية ، وامّا مثالية فكرية ، روحية . ومن قديم الزمان شرع الناس ينقسمون الى ماديين ومثاليين . وعلى امتداد القرون نشب ولا يزال ينشب بينهم صراع ضار بصدد المسألة الاساسية في الفلسفة . ان المسألة الاساسية في الفلسفة هي مسألة علاقة الفكر بالكائن ، بالوجود ، علاقة الروحي بالمادي .

يعتبر الماديون ان **المادة هي الاولى وان الوعي هو الثاني ومشتق من المادة** ؛ وان

العالم الذى يحيط بالانسان لم يخلقه الله ، وليس مولودا من عقل ما او روح ما ، وان وعى الناس يعكس اشياء موضوعية موجودة بصورة مستقلة عن هذا الوعى .

يزعم المثاليون ان الروح (العقل ، النفس ، وما الى ذلك) كان موجودا قبل الطبيعة وانه هو خالقها . وقد اختلفت آراء المثاليين فى مسألة معرفة اى وعى «يخلق» العالم . يعتبر المثاليون الذاتيون ان اشياء وظاهرات العالم الخارجى يخلقها وعى انسان بمفرده ، ذات . «العالم كله مجمل احساساتى» . فى هذا تنحصر فكرة المثالية الذاتية . اما المثاليون الموضوعيون ، فانهم يزعمون ان العالم المادى انما هو نتاج عقل عالمى ما ، موجود فى مكان ما خارج وعى الانسان .

للمسألة الاساسية فى الفلسفة جانبان . اذا كان حل المسألة يعود الى جانبها الاول ، وهو : ما هو الاول ، المادة ام الوعى ، فان الجانب الثانى يعطى الجواب عن المسألة — هل تمكن معرفة العالم ، هل بمقدور الانسان

ان يتسرب الى اسرار الطبيعة ويكشف قوانينها . يؤكد الماديون انه **تمكن معرفة العالم** . الا ان بعض المثاليين الذى اسموا «بالاغنوصيين» agnostiques (من اليونانية القديمة a = لا ، و «غنوصيس» gnosis — معرفة) (اللاعرفانيين) ينكرون امكانية معرفة العالم . ويزعم المثاليون الذاتيون ان المرء لا يستطيع ان يعرف الا افكاره وانفعالاته . ويعتبر المثاليون الموضوعيون انه لا يمكن معرفة الا «الروح العالمى» ، «الفكرة» الصوفية ، والخ . .

ان مسألة علاقة الفكر بالكائن ، بالوجود ، وامكانية معرفة العالم هى المسألة الاساسية فى الفلسفة لأنه وفقا للجواب عنها تُحَل جميع المسائل الفلسفية الاخرى — طابع قوانين تطور العالم المحيط ، سبل معرفته ، والخ . . مثلا . اذا كان الوعى ، الروح ، الفكرة ، هو الاول ، فان النظام الاستثمارى القائم ثابت وخالد ، ويستحيل تغييره ، لأن الله خلقه . امّا اذا كانت المادة هى الاولى ، فان الناس انفسهم يستطيعون ان يقضوا على

النظام الذى يكرهونه ويبنوا مجتمعا جديدا لا وجود فيه للمستثمرين .

ان المثالية تعبر عن مصالح القوى الاجتماعية الرجعية فى المجتمع ، بينما تعبر المادية عن مصالح القوى الثورية التقدمية .

١ — المادية الديالكتيكية

المادة . خواصها واشكال وجودها

مفهوم المادة والحركة . كيف تحل الفلسفة الماركسية اللينينية المسألة الاساسية فى الفلسفة ؟ انها تنطلق من ان العالم الخارجى المحيط بنا موجود موضوعيا ، بصورة مستقلة عن وعينا . انه عالم مادى .

فى حينه لم يكن الناس يعرفون ، مثلا ، ظاهرتى الاشعة ما دون الحمراء وما فوق الصوت . ولكن هذا لا يعنى ان هاتين الظاهرتين لم تكونا موجودتين . كانتا موجودتين ولكن الانسان لم يكن يعرفهما . وبموجب هذه العلامة

على وجه الضبط ، علامة الموضوعية ، علامة الاستقلال عن وعى الذات–الانسان ، توحد الفلسفة الماركسية اللينينية جميع الاشياء والظاهرات المختلفة فى مفهوم واحد هو المادة .

كيف يمكن اكتشاف المادة ؟ تتجلى مادية اشياء العالم الخارجى فى كونها تؤثر فى اعضاء حواسنا ، وتنعكس فى الاحساسات . يقينا ان ليس كل شيء تمكن رؤيته او يمكن لمسه ، جسّه : فمن المستحيل ان يلمس المرء باليد الموجة اللاسلكية او الحقل المغناطيسى. ولكن يكتشفونهما بواسطة الاجهزة . والمادة ، ايا كان الشكل غير العادى الذى تتخذه ، تحمل فى آخر المطاف على معرفتها بواسطة الاحساسات .

«المادة» ، مفهوم واسع . لا يمكن تشبيه المادة بانواع ملموسة ما من انواعها (مثلا ، الشيء ، الحقل ، والخ . .) . المادة انما هى كل تنوع العالم ، مجمل الاشياء والظاهرات ، وخواصها وعلاقاتها ، اى الواقع الموضوعى المعطى لنا فى الاحساس .

بالاعتماد على معطيات العلم حول عدم تجانس المادة البنيوى وحول عدم نضوب معينها ، عَرّف لينين مفهوم المادة الفلسفى المعمم على النحو التالى : «ان المادة مقولة فلسفية للاشارة الى الواقع الموضوعى الذى يُعطَى للانسان فى احساساته والذى تستنسخه ، تصوره ، تعكسه احساساتنا ، وهو موجود بصورة مستقلة عنها» * .

ان التعريف اللينينى للمادة لا يشمل المواضيع التى يعرفها الانسان وحسب ، بل يشمل كذلك المواضيع التى قد يكتشفها العلم فى المستقبل . فان الناس ، اذ يتسربون الى رحاب الكون او يدرسون العمليات الجارية فى داخل النواة ، سيكتشفون انواعا جديدة للمادة . ولكن ايا كانت الخواص الجديدة التى ستتميز بها المادة ، يبق من الواقع ان المادة توجد كحقيقة موضوعية ، كواقع موضوعى مستقل عن وعينا .

---

* لينين . المؤلفات ، المجلد ١٨ ، ص ١٣١ .

ان العالم الذى يحيط بنا انما هو عالم مادى واحد . جميع الاشياء والعمليات والظاهرات ليست سوى تجليات ، اشكال للمادة . ويقدم تطور العلم وكل نشاط الانسان العملى البرهان المقنع على وحدة العالم المادية . ويثبت علم الفلك ، والفيزياء ، والكيمياء تجانس القوام الفيزيائى الكيماوى للاجسام الارضية والاجرام السماوية ، والقوانين الواحدة لحركتها . وتعلل البيولوجيا وعلم التناسل وحدة بنية وعمل العضويات الحية . وتؤكد الفيزيولوجيا الاساس المادى للنفسية .

ان مفهوم المادة بوصفها واقعا موضوعيا يشمل المادة مع جميع خواصها واشكال حركتها ، وقوانين وجودها ، والخ . .

تتميز المادة بخاصة لازبة قوامها انها لا توجد الا فى حركة . وهى «تشمل جميع التغيرات والعمليات الجارية فى الكون ، ابتداء من التنقل البسيط وانتهاء بالتفكير» * . لنتصور

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٠ ، ص ٣٩١ .

انه حدث فجأة امر غير ممكن وان جميع العمليات فى الكون قد توقفت ؛ فان هذا سيعنى زوال العالم نفسه كليا .

ان الحركة مفهومة على انها التغير عموما ، على انها عملية التجدد السرمدية — انما هى خاصة جذرية من خواص المادة ، اسلوب لوجودها . ففى جميع المواضيع المادية تجرى حركة الدقائق الاولية ، الذرات ، الجزيئات . وكل موضوع يتفاعل مع البيئة المحيطة ، وهذا التفاعل ينطوى على حركة من هذا النوع او ذاك . كل جسم ، راقد بالنسبة للارض ، يتحرك معها حول الشمس ، ومع الشمس بالنسبة لسائر نجوم المجرة ؛ والمجرة تتحرك بالنسبة لسائر الانظمة النجمية ، والخ . . لا وجود للهدوء المطلق ، والتوازن ، وانعدام الحركة . كل هدوء وتوازن نسبيان .

حدد العلم الاشكال التالية للحركة : الميكانيكية (التنقل فى المكان) ؛ الفيزيائية (الكهرمغناطيسية ، الجاذبية ، الحرارة ، الصوت ، تغيرات الحالات التركيبية للاشياء ، وغير ذلك) ؛

الكيماوية (تحول ذرات وجزيئات الاشياء) ؛ البيولوجية (الايض فى العضويات الحية) ؛ الاجتماعية (التغيرات الاجتماعية ، وكذلك عمليات التفكير) . وفى الآونة الاخيرة ، اكتشفت كثرة من الاشكال الجديدة لحركة المادة — حركة الدقائق الاولية وتحولها ، العمليات داخل الذرة وداخل النواة ، وغير ذلك .

اذن ، ان الحركة انما هى خاصة عامة للمادة ، اسلوب وجودها . ولا يمكن ان توجد فى العالم مادة بدون حركة ، كما لا يمكن ان توجد حركة بدون مادة .

المكان والزمان — شكلا وجود المادة .

تجرى حركة المادة فى المكان والزمان . ولا توجد ولا يمكن ان توجد المادة بدون الزمان والمكان . فماذا يعنى هذان المفهومان الفلسفيان ؟

يوجد الزمان والمكان موضوعيا وبصورة مستقلة عن الوعى . ان المفهوم الفلسفى «المكان» انما هو شكل لوجود المادة يعرب عن امتدادها ، عن مكانها وموقعها المحدد بين سائر اشياء

العالم المادى .

ان مفهوم «الزمان» هو شكل لوجود المادة يصف مدة وجود جميع المواضيع وتتابع تبدل حالاتها .

وهذا يعنى ، بتعبير آخر ، ان الوجود فى المكان يعنى الوجود بشكل وقوع شىء قرب الآخر ؛ وان الوجود فى الزمان يعنى الوجود فى شكل تتابع شىء بعد آخر .

ان المادة والمكان والزمان مترابطة بوثوق فيما بينها ، مع انها تتواجد موضوعيا ، بصورة مستقلة عن الوعى . فكما ان المادة لا يمكن ان توجد خارج الزمان والمكان ، كذلك لا يمكن للزمان والمكان بدورهما ان يوجدا بدون المادة . ان المكان والزمان مترابطان ، لا مع المادة وحسب ، بل ايضا احدهما مع الآخر . كتب لينين : «فليس ثمة فى العالم اى شىء غير المادة المتحركة ، والمادة المتحركة لا تستطيع ان تتحرك الا فى المكان والزمان» * .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٨ ، ص ١٨١

ان كل خبرة البشرية تدل على انه لا توجد اشياء وعمليات وظاهرات ابدية . وحتى الاجرام السماوية الموجودة منذ مليارات السنين ، لها بداية ونهاية ، وهي تنبثق وتهلك . أما المادة بمفهومها الفلسفى فأبدية فى الزمن . ذلك ان الاشياء ، اذ تهلك او تتدمر ، لا تزول بلا اثر ، بل تتحول الى اشياء وظاهرات اخرى . فان انحلال جزيئات شىء ما ، مثلا ، يعنى ظهور جزيئات اشياء اخرى ، ومحل اجيال وحتى انواع من العضويات الحية تحل اجيال وانواع اخرى ؛ وانطفاء النجوم لا يعنى انه لم يبق من مادتها اى شىء . ان العلم ، مع اكتشافه لقوانين البقاء ، يؤكد ان المادة ، اذ تطرأ عليها شتى التغيرات ، لا تتحول ابدا الى «لا شىء» ولا تنبثق من «لا شىء» . المادة سرمدية ، لم تُخلق ، ولا تزول . وقد كانت موجودة فى كل مكان وزمان ، وسوف توجد فى كل مكان وزمان .

ان المادة ليست سرمدية فى الزمان وحسب ، بل هى ايضا لا محدودة فى المكان .

واكتشافات العلوم الطبيعية توسع بلا انقطاع الحدود المكانية للعالم الذى نعرفه . ان المراقب العصرية تتيح رؤية النجوم الواقعة على بعد بضعة مليارات من السنين الضوئية . ومعجلات الدقائق الاولية تتيح دراسة مسافات صغيرة الى حد انه يستحيل تمييزها حتى فى المجهر الالكترونى . لا حدود للعالم المادى .

الوعى خاصة المادة العالية التنظيم .

يملك الانسان الوعى اى القدرة على التفكير والشعور والاحساس ، على ان تكون له نظراته وتصوراته ، والخ . . وينهض السؤال : ما هى طبيعة هذه الظاهرة ، واين هو منبعها ، وكيف تتحدد علاقة الوعى بالمادة ؟

بدأ الانسان يمعن الفكر منذ سحيق الازمنة فى سر وعيه . وقد بحث الناس عن الجواب عن المسألة التالية : كيف تلد المادة غير الحية فى درجة معينة من تطورها المادة الحية ، وكيف تلد المادة الحية الوعى .

لقد أثبت العلم المعاصر ان الوعى هو

نتيجة تطور مديد للمادة . ان المادة ، الطبيعة ، كانت توجد على الدوام . ولكى يظهر انسان مالك للوعى ، قادر على التفكير ، اقتضى الامر ملايين السنين .

لقد نشأ الوعى نتيجة لتطور المادة وهو يرتبط بها بعرى لا انفصام لها ، وما من احد تواجد يوما مع احساسات ومفاهيم انبثقت من تلقاء ذاتها ، بصورة مستقلة عن المادة . ان الوعى لا يوجد الا حيث يوجد دماغ الانسان ، اى عضو التفكير . وهذا يعنى ، بتعبير آخر ، ان الوعى ليس خاصة اية مادة ، بل خاصة المادة العالية التنظيم فقط . ان الوعى مرتبط بنشاط الدماغ البشرى ، بنمط الحياة البشرى الصرف ، الاجتماعى .

ان الوعى لا يفترض وجود الدماغ وحسب ، بل يفترض كذلك وجود مواضيع مادية تؤثر فى الدماغ وتنعكس فيه . وهو لا ينشأ الا بفضل التأثير الذى يمارسه العالم المادى من الخارج فى الدماغ بواسطة اعضاء الحواس . واعضاء الحواس ، انما هى «اجهزة» تقوم

بالعكس ، باعلام الجسم عن التغيرات فى البيئة المحيطة او فى داخل الجسم نفسه . والاشارات الواصلة الى الدماغ من اعضاء الحواس (البصر ، السمع ، الشم ، الطعم ، اللمس) تحمل المعلومات عن خواص الاشياء ، وصلاتها وعلاقاتها . ان التهيج الناجم عن هذا التأثير او ذاك فى اعضاء الحواس لا يولد الاحساس ، لا يصبح واقع الوعى الا متى وصل الى الدماغ .

الوعى انما هو الصورة الذاتية عن العالم الموضوعى . وحين نتحدث عن ذاتية الصورة ، فاننا نقصد انها صورة مادية ، محوَّلة ، مغيَّرة فى دماغ الانسان . ان الشىء فى وعى الانسان هو صورة ، بينما الشىء الفعلى هو صورته الاصلية . وقد لاحظ لينين :
«ان الفرق الاساسى بين المادى ونصير الفلسفة المثالية يتجسد فى اعتبار احساس الانسان ، ادراكه ، تصوره ، ووعيه على العموم صورة عن الواقع الموضوعى . فان العالم هو حركة هذا الواقع الموضوعى الذى يعكسه وعينا .

وحركة التصورات ، والمدركات ، والخ . ، تناسبها حركة المادة خارجا عنى» * .

وحين يقول لينين ان احساسات الانسان وافكاره هى صور ، نسخ اشياء العالم الموضوعى ، فانه لا يقصد البتة ان هذا «تصوير فوتوغرافى» ميكانيكى هامد للاشياء فى الوعى . فان الدماغ البشرى ليس صفيحة فوتوغرافية ولا مرآة . ان القدرة على عكس العالم الخارجى موضوعيا تتكون عند الانسان فى سياق التربية الاجتماعية والتعليم الاجتماعى ، فى سياق الممارسة الاجتماعية . ويستحيل العكس بدون تطور القدرات الخلاقة عند الانسان . ان الابداع ضرورى للانسان لكى يقارن ويميز بين الاشياء ، ويرى العام فى الخاص ، والمتنوع فى الواحد ، اى ان العكس هو فى الوقت نفسه نشاط بناء ، خلاق للوعى .

ان الفكرة الحيوية الاساسية والضرورة التاريخية

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٨ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .

لنشوء الوعى وتطوره تتلخصان فى النشاط الرامى الى تحويل العالم واخضاعه لمصالح الانسان والمجتمع . وفى معرض الكلام عن الوعى ودوره الفعال ، كتب لينين : «ان وعى الانسان لا يعكس العالم الموضوعى وحسب ، بل يخلقه ايضا . . . العالم لا يرضى الانسان ، والانسان يقرر تغييره بعمله» * .

اذن ان الفلسفة الماركسية اللينينية — اى المادية الديالكتيكية — تعتبر ان المادة هى الاولى ، وان الوعى ، التفكير ، الاحساس الثانى ، المشتق . وقد انبثق الوعى من المادة ، من الطبيعة ، بوصفه النتاج الاعلى لتطورها . ان الوعى ليس غير صورة ، انعكاس للعالم الخارجى .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٩ ، ص ١٩٤ — ١٩٥ .

الديالكتيك مذهب التطور والصلة العامة .

الديالكتيك كلمة يونانية تعنى المحادثة ، المناظرة ، المجادلة . وفى الازمنة القديمة كانوا يعنون بالديالكتيك فن التوصل الى الحقيقة عن طريق كشف التناقضات فى احكام الخصم وتذليل هذه التناقضات .

ان الديالكتيك المادى يعتبر الطبيعة ، العالم الذى يحيط بنا ، لا حالة الهدوء وانعدام الحركة ، لا حالة الركود وانعدام امكانية التغير ، بل حالة حركة وتغير متواصلين ، حالة تجدد وتطور متواصلين ، ناجمة عن التناقضات الداخلية . وللمرة الاولى فى تاريخ الماركسية ، صاغ لينين فى مؤلفه «الدفاتر الفلسفية» وفى مؤلفه «حول الديالكتيك» وعلل موضوعة فى غاية الاهمية مفادها ان مذهب التناقض ، مذهب وحدة الاضداد هو جوهر ، نواة الديالكتيك . وقد قال : «بايجاز يمكن تعريف الديالكتيك على انه مذهب وحدة

الاضداد» * .

وهكذا يرى الديالكتيك المادى مصادر التطور فى **التناقضات** الملازمة للاشياء والظاهرات بالذات. وهو يعتبر التطور حركة من الادنى الى الاعلى ، من البسيط الى المعقد ، عملية بشكل قفزات ، عملية ثورية . وهذه الحركة لا تجرى فى شكل حلقة مغلقة ، بل كأنما فى شكل حلزونة كل من دوراتها اعمق من سابقتها ، واغنى ، واكثر تنوعا .

والديالكتيك المادى يعارض الميتافيزياء التى ، إمّا تنكر التغير ، والتطور على العموم ، واما تحصره فى تصغير او فى تكبير كمى بسيط . ان الميتافيزياء لا ترى المصدر الداخلى للتطور فى الظاهرات (التناقضات) .

ان العالم المادى لا يتطور وحسب ، بل يمثل كذلك كلا واحدا مترابطا . فبدون الصلات والتفاعل بين مختلف المواضيع ،

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٩ ، ص ٢٠٣ .

وكذلك بين مختلف الجوانب والعناصر فى كل موضوع ، يستحيل التطور . وكل شىء مرتبط بالعالم الباقى ، مشكلا فى النتيجة عملية واحدة للصلة الكلية والتفاعل الكلى بين جميع الاشياء بعضها ببعض . ولهذا السبب بالذات ، لاجل فهم اية ظاهرة فهما صحيحا ، ولاجل دراستها ، يجب النظر اليها فى صلتها مع الظاهرات الاخرى ، ومعرفة اصلها وتطورها . ولهذا يسمون الديالكتيك كذلك بعلم الصلة العامة .

ان قوانين الديالكتيك المادى ومقولاته تساعد فى دراسة العالم بوصفه كلا واحدا مترابطا ، فى دراسة الصلات العامة بين الاشياء .

فما هو القانون ؟ ما هو فهمه الفلسفى ؟ القانون هو الصلة الموضوعية والعامة والضرورية والجوهرية بين الاشياء والظاهرات ، الصلة التى تتميز بالثبات والتكرر .

بالاعتماد على معرفة قوانين الطبيعة والمجتمع ، يتصرف الناس عن وعى ، ويتنبأون بحدوث هذه الاحداث او تلك ، ويحولون اشياء

الطبيعة وخواصها فى مصلحتهم ، ويغيرون بصورة هادفة الظروف الاجتماعية لحياتهم . وحين تُفهم الصلة بين الاشياء ، كما قال ماركس ، ينهار كل الايمان النظرى فى دوام ضرورة النظم القائمة ، وينهار حتى قبل ان تنهار هذه النظم فعلا .

اذا كانت القوانين الخاصة تدرس الظاهرات الجارية فى مختلف ميادين الطبيعة او المجتمع او التفكير ، فان الفلسفة الماركسية اللينينية تدرس القوانين العامة التى تعرب عن الصلات الكلية فى العالم . وهذه القوانين تشمل جميع الاشياء والظاهرات . ويسمونها بقوانين الديالكتيك.

قوانين الديالكتيك المادى الاساسية . فى عداد قوانين الديالكتيك الاساسية يأتى : قانون وحدة ونضال الاضداد ، قانون تحول التغيرات الكمية الى تغيرات كيفية ، قانون نفى النفى .

وحدة ونضال الاضداد . جميع ظاهرات الطبيعة والمجتمع والمعرفة تلازمها متضادات

داخلية ، جوانب وميول متناقضة . مثلا ، فى الطبيعة غير الحية ــ وحدة وتضاد النواة الايجابية للذرة والالكترون ؛ فى الطبيعة الحية ، التمثل واللاتمثل ؛ فى المجتمع ــ التناقضات الطبقية ؛ فى التفكير ــ التحليل والتركيب .
وفى هذا التناقض الديالكتيكى لا يمكن لاحد الجانبين المتضادين ان يوجد بدون الجانب الآخر . وهذا يعنى ، بتعبير آخر ، ان الاضداد توجد فى الظاهرات ذاتها ، تتواجد فى وحدة . لنتصور لحظة ، ان احد الضدين قد انفصل عن الآخر ، مثلا ، التمثل عن اللاتمثل . فان هذا يؤدى الى هلاك العضوية ، اى الى تدمير الظاهرة ذاتها . انهما مترابطان فيما بينهما بعرى لا انفصام لها ، ولكنهما فى الوقت نفسه لا يستطيعان ان يتواجدا فى «سلام» و «وئام» ، للسبب التالى على وجه الضبط ، وهو انهما متضادان . ولهذا ينطوى كل شيء ، كل ظاهرة ، سواء على نضال الاضداد ام على وحدتها .

ان النضال ، الصراع ، يضطلع بالدور

الرائد ، الاساسى . ومن جراء نضال الاضداد ، يحدث التطور . ان النضال يتواجد فى جميع اطوار وجود الشيء ، الظاهرة . وهو يقع عند نشوء كل وحدة ، ويوجد فى اطار الوحدة ، مشترطا نشوء الوحدة وتطورها . وهو يتواجد ، بل يتجلى بحدة خاصة ، فى مرحلة تحطم الوحدة ودمارها ونشوء وحدة جديدة . ان نضال الاضداد بالذات هو الذى يستتبع تحطم الوحدة القديمة والاستعاضة عنها بوحدة جديدة ، اكثر تناسبا مع ظروف الوجود الجديدة .

ان وحدة الاضداد موقتة خلافا لنضالها . فهى اذ تنبثق بنتيجة النضال ، تتواجد بعض الوقت ، طالما التناقض المرتبط بها لم ينضج ولم يجد حلا ، ثم تزول ، مخلية المكان لوحدة جديدة . وهذه الوحدة الجديدة ، تدوم وقتا معينا ، ولكنها تتدمر هى ايضا بفعل تطور نضال الاضداد الملازم لها ، وتحل محلها وحدة ثانية ، ثم ثالثة ، وهكذا دواليك الى ما لا نهاية لها .

ان التناقضات ، نضال الاضداد ، هى

المصدر الداخلى لحركة وتطور جميع الظاهرات والعمليات . وتطور المادة ينبثق بفضل قوى داخلية ، فان المادة تنطوى على مصدر الحركة ذاته .

ويمكن تعريف جوهر التناقض الديالكتيكى على انه علاقة متبادلة وصلة متبادلة بين الاضداد حين تفترض هذه الاضداد بعضها بعضا وتنفى بعضها بعضا فى الوقت نفسه . والنضال بينها هو مصدر التطور ، قوته المحركة . ان قانون وحدة ونضال الاضداد يفسر خاصة من اهم خواص الديالكتيك — هى الحركة ، فيتحقق التطور كحركة ذاتية ، كتطور ذاتى .

تحولات التغيرات الكمية الى تغيرات كيفية والعكس بالعكس . لكل شيء كيفية معينة ، نوعية معينة تميزه عن الاشياء الاخرى ، وكمية معينة تميزه من حيث الكبر والحجم والوزن .

ان الكمية والكيفية (او الكم والكيف) مترابطتان فيما بينهما بوثوق ، بعرى لا انفصام لها . ولكنهما تختلفان احداهما عن الاخرى . ان تغير الكيف يؤدى الى تغير الشيء ، الى

تحوله الى شيء آخر . وتغير الكم الى حد معين لا يؤدى الى تغير الشيء . مثلا . يمكن زيادة حرارة المعدن عشرات وحتى مئات الدرجات ، ولكنه لن يذوب اى انه لا يغير حالته حتى لحظة معينة . ولكن اذا رفعنا الحرارة الى درجة الذوبان ، فان الشيء الصلب يتحول الى سائل ، واذا رفعنا الحرارة الى درجة الغليان ، فان السائل يتحول الى غاز . هكذا تؤدى التغيرات الكمية الى تغيرات كيفية .

تحدث التغيرات الكمية بلا انقطاع وتدريجيا ، عن طريق التطور التدريجى . اما التغيرات الكيفية ، فتحدث بشكل قفزة ، بشكل انقطاع . ان التطور فى الطبيعة والمجتمع ينطوى على التطور البطيء وعلى القفزات السريعة .

القفزة — انما هى عملية تحول الكم الى كيف ، انتقال الشيء ، الظاهرة ، من حالة الى اخرى . تكون القفزات سريعة ، فيتغير الكيف فى ظلها حالا ، كليا (مثلا ، التفاعلات الكيماوية ، الاستيلاء على السلطة السياسية) ، وتكون بطيئة ، مع تحول كيف ما تدريجيا

الى كيف آخر (نشوء انواع جديدة من النباتات والحيوانات) . وفى هذه الحال ، يتحول الكيف القديم الى كيف جديد ، لا دفعة واحدة ، لا كليا ، بل جزءا جزءا : تضمحل عناصر الكيف القديم تدريجيا وتحل محلها عناصر الكيف الجديد .

لا يصح الخلط بين القفزة من هذا النوع وبين تراكم العناصر الكمى التدريجى الذى يجرى فى اطار الكيف القديم .

اذن ، ان قانون تحول التغيرات الكمية الى تغيرات كيفية والعكس بالعكس هو صلة متبادلة وتفاعل بين جوانب الشىء الكمية والكيفية تستتبع بفعلهما التغيرات الكمية الطفيفة ، غير الملحوظة فى البدء ، بتراكمها تدريجيا ، تغيرات كيفية جذرية تجرى بشكل قفزات وتتحقق تبعا لطبيعة المواضيع وظروف تطورها .

ان القانون الموضوعى لتحول التغيرات الكمية الى تغيرات كيفية يميزه تجدد العالم المادى بينما يميز قانون القفزات هلاك القديم وظهور الجديد .

نفى النفى . لا يمكن حدوث التحول الكيفى الا بوصفه نفى الحالة القديمة . والنفى هو لحظة محتمة ومشروعة فى كل تطور . والتطور لا يمكن ان يحدث بدون نفى اشكال وجوده السابقة . وبدون هذا ، لا يمكن ان يحدث اى امر جديد . فما هو النفى ؟

ان النفى فى المذهب المادى الديالكتيكى عن التطور لا يعنى القضاء التام على القديم . اولا ، لا يندر لظاهرات اكثر بساطة ان تظل موجودة الى جانب ظاهرات اكثر تعقدا . ففى الطبيعة الحية ، مثلا ، توجد حيوانات فى منتهى البساطة الى جانب حيوانات عالية التنظيم . ثانيا ، ان الجديد اذ ينشأ من القديم ، فى سياق التطور التقدمى ، كأنما يتشرّب كل ما كان فيه من ايجابى وقيّم . مثلا . فى الطبيعة الحية ، يجدد كل نوع جديد العلائم النافعة التى كدسها الاجداد فى سياق التطور التدريجى البطىء . وفى تاريخ المجتمع ينبثق كل نظام اجتماعى جديد ،

لا فى الخلاء ، بل على اساس استيعاب الثروات المادية والروحية المصنوعة فى العهود السابقة .

ان النفى يفترض الصلة ، الاستمرارية فى التطور . وكأن الظاهرة التى تنبثق بنتيجة النفى ، تستوعب ما تحقق فى الطور السابق وتبرز فى الوقت نفسه كشيء جديد ، اغنى من حيث المضمون . ان قانون نفى النفى يبرهن الطابع التقدمى للتطور بوصفه صعودا من الادنى الى الاعلى ، من البسيط الى المعقد .

مقولات الديالكتيك . ان الديالكتيك المادى ، مثل كل علم آخر ، ليس نظاما من قوانين وحسب ، بل ايضا نظام من مقولات فلسفية . ومقولات الديالكتيك انما هى مفاهيم تعكس الواقع المحيط بسماته وصلاته وجوانبه وخواصه العامة ، المشتركة .

لنر ، وان بايجاز ، الى بعض مقولات الديالكتيك .

الفردى والخاص والعام . لكل شىء ولكل ظاهرة فى العالم المحيط ، خصائص متميزة ، ملازمة له ولها فقط . ويستحيل ايجاد شيئين متماثلين تماما . كل ما يلازم ظاهرة معينة واحدة فقط ولا يتواجد فى الظاهرات الاخرى ، يشكل الفردى . وفى الوقت نفسه لا توجد فى العالم اشياء وظاهرات لا تملك سمات مشتركة مع اشياء وظاهرات اخرى . ان ما يتكرر فى الظاهرات ، ما لا يلازم ظاهرة واحدة ، بل يلازم ظاهرات كثيرة يشكل العام . وفى سياق مقارنة شىء بشىء آخر ، يظهر الفرق والشبه بينهما . ان ما يميز الشيئين المقارنين احدهما عن الآخر يشكل الخاص فيهما . مثلا . لنر الى عنصر من عناصر الطبيعة ، الحديد . ان الحديد ، بوصفه عنصرا من عناصر الطبيعة ، هو ظاهرة عامة ، وهو ، بوصفه معدنا ، عنصر خاص ، وبوصفه حديدا عنصر فردى . وفى الحياة الاجتماعية تحدث ثورات اجتماعية ، والثورات الاجتماعية هى ظاهرة عامة . ويمكن ان تكون ثورة

التحرر الوطنى طرازا خاصا من الثورات . والثورة نفسها فى بلد معين ما تصفها كظاهرة فردية .

ان الفردى والخاص والعام مترابطة بعرى لا انفصام لها . فان الفردى ينطوى على العام ، والعام لا يوجد الا فى الخاص ومن خلال الخاص .

العلة والمعلول (السبب والمسبّب) . الظاهرة التى تستتبع نشوء ظاهرة اخرى تكون بالنسبة لها العلة (السبب) . ونتيجة فعل العلة هى المعلول (المسبّب) . والعلّية (السببية) هى صلة داخلية بين الظاهرات تتبع فى ظلها ظاهرة اخرى متى تواجدت هذه . مثلا . ان تسخين الماء هو علة (سبب) تحوله الى بخار ، لأنه كلما حدث التسخين ، ظهرت عملية تشكل البخار .

ان العلّية تتسم بطابع عام . لا توجد ولا يمكن ان توجد ظاهرات واحداث بلا علة . يقينا ان الانسانية قد تواجه ظاهرات عللها غير معروفة فى اللحظة المعنية . ولكن

عملية المعرفة تتيح مع مر الزمن اثبات هذه العلل . ان التطور انما هو تشابك معقد بين العلل والمعاليل .

الضرورة والصدفة . الخواص والصلات الناجمة عن الطبيعة الداخلية للعناصر التى تشكل الظاهرة تسمى بالضرورية . اما الخواص والصلات الناجمة عن ظروف خارجية ، فتسمى بالصدفية . مثلا ، استئجار العامل من قبل الرأسمالى هو ضرورة ، فبدونه لا يمكن ان يوجد الرأسمالى. اما اى عامل بالذات — زيد ، او عصام ، او رياض او سمير ، والخ . ، — يستأجره الرأسمالى ، فان هذا صدفة . الضرورى هو ما يجب فى ظروف معينة ان يحدث الزاما . اما الصدفى ، فهو ما يمكن ان يحدث وما يمكن ان لا يحدث فى ظروف معينة ، يمكن ان يحدث بنحو ، ويمكن ان يحدث بنحو آخر . الصدفة هى شكل تجلى الضرورة واكمال لها .

الامكانية والواقع . ان الامكانية هى ما يمكن ان يحدث فى ظروف مناسبة . والواقع

هو ما قد تحقق . وهذا يعنى ، بتعبير آخر ، اننا نفهم بالامكانية تلك الخواص والعمليات والاشياء التى لا وجود لها فى الواقع ولكن التى قد تظهر بفعل خاصة التحول من حالة الى اخرى ، الملازمة للواقع . ان الامكانية ، اذ تتحقق ، تتحول الى واقع ، ولهذا يمكن تعريف الواقع على انه امكانية تحققت ، والامكانية على انها واقع بالقدرة .

قد تكون الامكانيات فعلية ومجردة . ان الامكانيات الفعلية تعرب عن الميل القانونى ، المحتم فى التطور ، بينما توجد فى الواقع الظروف والشروط الضرورية لتحقيق هذه الامكانيات (مثلا ، تحرير جملة من البلدان النامية من التبعية الاستعمارية الجديدة) . اما الامكانيات المجردة ، فلا تتوفر لها فى المرحلة المعنية من التطور الظروف والشروط لتحولها الى واقع ، ولكن هذه الظروف والشروط قد تظهر فى المستقبل (مثلا ، ترويض الانسان لكواكب اخرى فى النظام الشمسى) .

المضمون والشكل . ان ايا من مواضيع

الواقع هو وحدة المضمون والشكل . ان المضمون بوصفه مقولة من مقولات الديالكتيك المادى هو مجمل جميع العناصر وتفاعلاتها وتغيراتها الملازمة للظاهرة . ان التفاعلات والتغيرات الملازمة لهذه الظاهرة او تلك ، لا تجرى بدون انتظام ، بل تجرى فى اطر معينة ، ولها نظام ثابت نسبيا من الصلات ، وبنية معينة . ان النظام الثابت نسبيا للصلات بين عناصر المضمون ، بنيته ، هى شكل الظاهرة . ان الشكل والمضمون لا ينفصلان احدهما عن الآخر . ان المضمون يقرر الشكل . وهو يتغير أسرع من الشكل ، وبينهما تنبثق تناقضات . والمضمون الجديد ينبذ الشكل الشائخ ويستعيض عنه بشكل آخر . ان الشكل يؤثر فى المضمون بصورة فعالة ؛ فان الشكل الجديد يعجل التطور ، بينما الشكل القديم يعرقل التطور .

الجوهر والظاهرة ، هما مفهومان يعربان عن مختلف جوانب الاشياء والظاهرات . ان الجوهر هو مجمل جميع جوانب وصلات

الشىء الضرورية ؛ والظاهرة هى تجلى هذه الجوانب والصلات على السطح اى تجلى الجوهر. ان الجوهر مرتبط ارتباطا عضويا بالظاهرة ، ولا يكشف مضمونه الا فيها ومن خلالها ، اما الظاهرة ، فانها بدورها مرتبطة هى ايضا ارتباطا لا انفصام لعراه بالجوهر ، ولا يمكن ان توجد بدونه . وقد شبه لينين العلاقة بين الجوهر والظاهرة بصورة مجازية بالتيار العميق الذى يتكشف فى النهر السريع على السطح بصورة أمواج وزبد . «. . . الزبد فى اعلى ، والتيارات العميقة فى اسفل . **ولكن الزبد ايضا** هو تعبير عن الجوهر» ! *

نظرية المعرفة فى المادية الديالكتيكية

هل تمكن معرفة العالم ؟ عن هذا السؤال تعطى الفلسفة الماركسية اللينينية جوابا واضحا ،

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٩ ، ص ١١٦

معللا من الناحية العلمية : اجل تمكن معرفة العالم . ان الثقة فى امكان معرفة العالم ترتكز على التطبيق ، الممارسة .

ان المعرفة هى انعكاس الواقع فى وعى الانسان . ان العالم المحيط بالانسان هو وحده مصدر المعرفة . وهو يؤثر فى الانسان ويستتبع عنده احساسات وتصورات ومفاهيم مناسبة يجرى فيما بعد التحقق من صحتها فى التطبيق ، فى الممارسة .

التطبيق (الممارسة) انما هو نشاط الناس الفعلى لتحويل الطبيعة والمجتمع . واساسه يشكله العمل ، الانتاج المادى . وفى حقل التطبيق يرد كذلك النضال السياسى ، النضال الطبقى ، حركة التحرر الوطنى ، وكذلك التجربة العلمية ، الاختبار . وبالتطبيق تبدأ ، وبه تنتهى كل معرفة لظاهرات العالم المحيط بنا .

ففى القرون الوسطى ، مثلا ، زعم اللاهوتيون دون اجازة اية اعتراضات ، انه اذا رمى شيئان احدهما اثقل من الثانى مائة مرة ، من ارتفاع واحد ، سقط الشىء الثقيل الى

الارض بسرعة تربو مائة مرة . ولكن العالم الايطالى غليليو (١٥٦٤ — ١٦٤٢) ، رغبة منه فى دحض هذا الزعم دحضا علميا ، رمى من اعالى برج المدينة كرتين مختلفتين من حيث الوزن ، فسقطتا ارضا فى آن واحد ، وبذلك دحض بالتطبيق ، فى الواقع ، عقيدة اللاهوتيين وبيّن بصورة مرئية ان لجميع الاجسام الساقطة سرعة واحدة فى السقوط .

ان التطبيق هو منطلق المعرفة واساسها . ومرد ذلك الى ان المعرفة ذاتها تنبثق على اساس التطبيق . فان الانسان قد اضطر الى العمل منذ اولى خطوات وجوده . وفى سياق العمل عرف تدريجيا قوى الطبيعة ، واكتسب المعارف .

ان التطبيق هو كذلك غاية المعرفة . فان الانسان يعرف العالم المحيط به ويكشف قوانين تطور هذا العالم ، لكى يستفيد من نتائج المعرفة فى نشاطه التطبيقى ، العملى .

طريق العرفان . لا توجد المعرفة فى رأس

الانسان منذ بادئ بدء ، بل تكتسب فى سياق حياته ، وهى نتيجة العرفان ، علما بان العرفان ليس عملا بسيطا يعكس العالم فى دماغ الانسان كما فى المرآة ، بل عملية معقدة قوامها تحرك الفكر من اللامعرفة الى المعرفة ، من المعرفة غير الكاملة ، غير الدقيقة الى معرفة اكمل فأكمل وادق فأدق . وبما ان العالم لامتناه ، فليس لعرفانه حدود ، وعرفانه لامتناه ايضا .

ما هى مراحل العرفان ؟

المرحلة الاولى — الادراك الحسى . ان الناس يعرفون العالم قبل كل شىء بواسطة اعضاء الحواس — البصر والسمع واللمس . واعضاء الحواس هى بمثابة قنوات تصل الينا عبرها المعلومات عن العالم المادى .

مرحلة العرفان الثانية — التفكير المنطقى او المجرد . فلأجل التسرب الى جوهر الظاهرة ، يجب فهم المعلومات الحاصلة بواسطة الاحساسات ، وتصنيفها فى نظام ، ونبذ التفاصيل الصدفية والثانوية ، وابراز الرئيسى .

ولكن اين الثقة في ان الاحساسات تعطى معلومات صحيحة ؟ ألا تحدث تشوهات في حال نقلها وتفهمها ؟ ان المعارف الحاصلة في سياق العرفان لا تصبح صادقة ، صحيحة ، الا متى حصلت على التأكيد في التطبيق . فاذا حصل الانسان ، انطلاقا من المعارف الحاصلة ، في سياق نشاطه العملي ، على النتيجة المتوقعة ، فان هذا يعنى ان معارفه تتطابق مع الواقع ، اى انها حقائق .

وهنا يجب ان نوضح ما هى الحقيقة .

مذهب الحقيقة . ان الحقيقة هى معرفة عن الشيء ، عن الظاهرة ، تطابق الواقع ، تعكس وضع الامور الفعلى . ان المعرفة الصحيحة ، الحقيقية ، اذ تتطابق مع الواقع ، «لا تتوقف لا على الانسان ولا على الانسانية» * . وهذه المعرفة يقررها العالم الخارجى الموجود

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٨ ، ص ١٢٣ .

موضوعيا . وهى الحقيقة الموضوعية .

ان الحقيقة الموضوعية لا يمكن ان تبقى ثابتة بلا تغير ، لأن الواقع الذى تعكسه لا يراوح فى مكانه ، ليس ثابتا ، بل يتواجد فى تغير دائم ، فى تطور دائم . ولكن اذا كان موضوع الانعكاس يتغير ، اذا تحول من حالة كيفية الى حالة كيفية اخرى ، اذا زالت فيه بعض الخواص والصلات وظهرت خواص وصلات اخرى ، فلا يمكن ان تبقى معارفنا عنه ثابتة دون تغير . ولكى تكون معارفنا صحيحة ، حقيقية ، لا بدّ لها حتما ان تتغير ، ان تتكامل ، ان تتطابق مع الواقع المتغير . ولهذا كانت الحقيقة الموضوعية نسبية ؛ وهى تتغير حتما بالارتباط مع تطور العرفان الاجتماعى . ان التطابق الناقص بين المعارف والواقع ، اى المعارف التى ستتدقق فى سياق العرفان اللاحق ، تمثل الحقيقة النسبية .

ولكن نسبية معارفنا لا تدل على غياب الحقيقة المطلقة ، لأن النسبى ينطوى على

عنصر المطلق . ان الحقيقة الموضوعية هى فى الوقت نفسه نسبية ومطلقة . فبما انها تعكس هذه او تلك من جوانب الواقع وصلاته بنحو صحيح ، فهى مطلقة ، وبما ان هذا الانعكاس هو دائما ناقص ، غير كامل ، لا يشمل ولا يمكن ان يشمل كل مضمون الموضوع (وهو مضمون لا ينضب له معين) ، فهو نسبى .

اذن . صحيح ان معارفنا هى دائما نسبية ، ولكن هذا لا يحرمها الموضوعية ، ولا يحرمها الاطلاقية . «. . . يستطيع التفكير البشرى بحكم طبيعته ان يعطينا وهو يعطينا الحقيقة المطلقة التى تتكون من مجمل الحقائق النسبية . وكل درجة فى تطور العلم تضيف ذرات جديدة الى مجمل الحقيقة المطلقة هذا ، ولكن حدود حقيقة كل موضوعة علمية هى حدود نسبية لأنها تتسع تارة وتضيق طورا من جراء نمو المعرفة اللاحق» * .

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٨ ، ص ١٣٧ .

٢ — المادية التاريخية

اسلوب انتاج الخيرات المادية هو الرئيسى فى تطور المجتمع

الفهم المادى للتاريخ . ان المادية التاريخية هى جزء مكون لا يتجزأ من الفلسفة الماركسية اللينينية . وهى العلم الفلسفى عن المجتمع . ففى سياق قرون وقرون اهتم الناس بالمسائل التالية : ما هو المجتمع ، كيف انبثق ، ما يقرر تطوره ، ما هى قوانين تطوره . وخلافا للعلوم الملموسة عن المجتمع ، كالتاريخ ، والاقتصاد السياسى ، والعلوم الحقوقية ، وغيرها ، تدرس المادية التاريخية **اعم** قوانين التطور الاجتماعى .

ان ماركس وانجلس هما اللذان بنيا المادية التاريخية او الفهم المادى للتاريخ . وقد احدثا انقلابا ثوريا فى النظرات الى المجتمع . وقضيتهما واصلها لينين .

ان جوهر الانقلاب قد تلخص فى الاستعاضة عن الفهم غير العلمى ، الفهم المثالى للتاريخ

بالفهم العلمى ، المادى . كان المفكرون قبل ماركس يعتقدون ان التاريخ يصنعه الناس ووعيهم وارادتهم . ومن هنا كان ينبع الاستنتاج التالى : جميع التغيرات فى تطور المجتمع لا تتوقف الا على الافكار ، على نظريات الناس . كذلك كانت توجد نظرات تقول ان تطور المجتمع وحياة الشعوب توجههما قوى ربانية ، فائقة الطبيعة ، وان هذه القوى تقرر مصير الناس ، وتوجه افعالهم وتصرفاتهم . وجميع هذه النظرات كانت مثالية .

الماركسية وحدها دون غيرها اعطت المفتاح لتفسير تطور المجتمع بوصفه عملية مشروعة محتمة واحدة . فان تطور المجتمع البشرى يجرى بموجب قوانين معينة مستقلة عن رغبة الناس وارادتهم ، ومستقلة كذلك عما اذا كان الانسان يعرف عن وجود هذه القوانين ام لا . وما دام الناس لا يعرفون القوانين الفاعلة فى المجتمع ، فانهم يتيهون فى الظلام . ولكن ما ان يعرفها الناس حتى يستغلونها فى مصالحهم . ان الناس ليسوا

بيادق ، بل كائنات عاقلة ، تملك ارادة ، ورغائب ، وتطرح نصب عيونها اهدافا معينة ، وهم يؤثرون بنشاطهم فى تطور المجتمع الى الامام .

وقد بيّن ماركس وانجلس انه لا بدّ للناس من ان يأكلوا ويشربوا ويملكوا المسكن والملبس قبل ان ينصرفوا الى السياسة والعلم والفن . وهذا يعنى ، بتعبير آخر ، ان الظروف المادية لحياة الناس ، او معيشتهم الاجتماعية ، تحدد مصالحهم الروحية ، افكارهم ، وعيهم ، نظرياتهم — اى بكلمة ، كل ما يؤلف مضمون حياة المجتمع الروحية .

ان عملية انتاج الخيرات المادية ، او العمل ، هى الاولى . وهذه العملية ضرورة سرمدية ، طبيعية ، شرط لا غنى عنه لحياة المجتمع .

دور العمل فى نشوء المجتمع وتطوره . ان نشوء الانسان هو فى آن واحد بداية ولادة المجتمع البشرى وصيرورته وتطوره . ان الانسان

من النوع المعاصر قد ظهر فى كوكبنا الارضى منذ نحو اربعين الف سنة ، بينما تاريخ تطور الحياة ، تاريخ تطور العالم العضوى من ابسط اشكال الحياة حتى الانسان يشمل مئات ومئات الملايين من السنين .

وقد قدم العالم الانجليزى تشارلز داروين البرهان العلمى على نشوء الانسان من العالم الحيوانى ، من القرد القديم الشبيه بالانسان والعالى التطور . فكيف حدث هذا ؟ ان داروين لم يستطع ان يجيب عن هذا السؤال . الا ان انجلس وحده برهن ان العمل قد اضطلع بالدور الحاسم فى نشوء الانسان .

على امتداد آلاف وآلاف السنين ، تعلم اجداد الانسان القدماء تكييف الاطراف الامامية تدريجيا لابسط عمليات العمل ، لوظائف القبض والمسك . وقد أثر التغير فى وظائف اليد ، والمشية المستقيمة ، فى تطور كل الجسم البشرى ، الامر الذى اسهم فى تراص الناس بمزيد من الوثوق ، فى تطور الدعم المتبادل والنشاط المشترك . ومن عملية العمل

ومع العمل تنشأ لغة التعاشر ، ينشأ النطق البيّن .

وقد كان العمل ، والنطق البيّن الحافزين الرئيسيين لتحول دماغ القرد الشبيه بالانسان تحولا تدريجيا الى دماغ بشرى . وقد كتب انجلس : «. . . ولكن الرأس ايضا تطور خطوة فخطوة مع تطور اليد ، ونشأ الوعى ، — اولا ، وعى شروط مختلف النتائج النافعة العملية ؛ وفيما بعد ، وعلى اساس هذا ، نشأ عند الشعوب العائشة فى احوال اكثر ملاءمة ، ادراك نواميس الطبيعة ، التى تشترط هذه النتائج النافعة ، ومع فهم قوانين الطبيعة المتنامى بسرعة تنامت ايضا وسائل الفعل فى الطبيعة . . .» *

الانتاج المادى — اساس حياة المجتمع وتطوره . ان انتاج الخيرات المادية يتألف

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٠ ، ص ٣٥٨ .

من عدد من العناصر . فلأجله ، لا بد ، في المقام الاول ، من مادة اولية ، انطلاقية تُصنع منها الاشياء الضرورية للانسان . والمقصود هنا الارض وباطنها ، والعالم النباتى والحيوانى ، اى ، بتعبير آخر ، الاشياء التى يعالجها عمل الانسان اى **مواضيع العمل** . ولاجل الانتاج ، لا بد كذلك من **وسائل العمل** اى من اشياء يضعها الناس بينهم وبين مواضيع العمل ويؤثرون مباشرة بواسطتها فى مواضيع العمل . وفى عدادها تأتى فى المقام الاول ادوات العمل (الفأس ، المنشار ، الآلة— الاداة ، الآلات المعقدة ، والخ .) . وهذه الادوات تتغير على الدوام ، تتحسن على الدوام . وادوات العمل ومواضيع العمل تؤلف معا **وسائل الانتاج** .

ولكن وسائل الانتاج لا تقوم بوظائفها بحد ذاتها ، تلقائيا . فان الناس ، العاملين ، ومعارفهم ومهارتهم ، يضطلعون بالدور الرئيسى فى سياق صنع الخيرات المادية . ان الناس يضعون هذه الوسائل ويحركونها ، يشغّلونها .

ان وسائل الانتاج والناس الذين يصنعون الخيرات المادية يشكلون معا **القوى المنتجة** فى المجتمع . ان القوى المنتجة تميز العلاقات المادية بين المجتمع والطبيعة . ومستوى تطورها هو دليل على درجة سيادة الانسان على الطبيعة . وان مستوى القوى المنتجة يتحدد ، بدوره ، بدرجة تطور ادوات الانتاج ، ودرجة تزويد الانتاج بالطاقة ، وتجربة الناس الانتاجية ومعارفهم ومهاراتهم .

منذ سحيق الزمان ، كان على الناس ان يتحدوا لكى يبقوا قيد الحياة ، ولتحصيل وسائل العيش فى غمرة النضال ضد الحيوانات وعناصر الطبيعة ، والخ . . وهذه التبعية من اناس حيال اناس آخرين قد تعاظمت مع تطور وسائل الانتاج . ووسائل العمل ، والخبرة الانتاجية ، ومنتوجات العمل هى نتيجة لنشاط الناس المشترك .

فى سياق النشاط المادى الانتاجى ، يدخل الناس بالضرورة فيما بينهم فى **علاقات الانتاج** . وفى اساس هذه العلاقات تقوم

ملكية وسائل الانتاج . وهذا يعنى ، بتعبير آخر ، ما يلى : فى سياق عملية الانتاج تتحدد العلاقات بين الناس ، فى المقام الاول ، بطبيعة اولئك الذين هم مالكو وسائل الانتاج .

ففى ظل الملكية الاجتماعية ، مثلا ، تقوم علاقات التعاون فى العمل ، علاقات التعاضد بين العاملين ، ويتوزع النتاج فى مصلحة العاملين . اما الملكية الخاصة ، فانها تخلق علاقات الاستثمار والاضطهاد . فان المستثمِرين يستأثرون بالقسم الاكبر من الخيرات المادية المنتوجة بعمل المستثمَرين ، بينما يعانى المضطهَدون العوز والحرمانات .

ان القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ، مأخوذة معا ، تؤلف **اسلوب الانتاج** . واسلوب الانتاج وقسميه المكونين — القوى المنتجة وعلاقات الانتاج — تتسم بطابع موضوعى ، وتتواجد بصورة مستقلة عن رغائب الناس وارادتهم ووعيهم . واذا استعملنا تعبيرا مجازيا للينين ، امكن القول ان اسلوب الانتاج هو «هيكل المجتمع

العظمى» ، هيكل مكسو «باللحم والدم» ، — بجميع الظاهرات والعلاقات والمؤسسات الاجتماعية الاخرى . وجميعها معا تؤلف الكل الحى ، نظاما معينا للمجتمع ، تشكيلة اجتماعية اقتصادية معينة .

التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية . التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية انما هى طراز معين من المجتمع ، نظام اجتماعى متكامل يقوم بوظائفه ويتطور بموجب قوانينه المميزة على اساس اسلوب معين للانتاج .

يتميز اسلوب الانتاج بخاصة مفادها انه يتغير ويتطور بلا انقطاع ، علما بان تغير وتطور الانتاج يبدآن من تغير القوى المنتجة . واثرها تتغير علاقات الانتاج . وعلى اساسها يتغير كل النظام الاجتماعى ، وتتغير الافكار الاجتماعية ، والنظرات السياسية ، اى البناء الفوقى . ولكن مؤسسى الماركسية اشارا ، لا الى تبعية البناء الفوقى حيال البناء التحتى الاقتصادى (مجمل علاقات الانتاج السائدة

فى عملية الانتاج والتبادل والتوزيع) وحسب ، بل ايضا الى تأثير البناء الفوقى بدوره فى البناء التحتى . وقد كتب انجلس : «ان التطور السياسى ، والحقوقى ، والفلسفى ، والدينى ، والادبى ، والفنى ، والخ . يرتكز على التطور الاقتصادى . ولكنها جميعها تؤثر كذلك بعضها فى بعض وفى البناء التحتى الاقتصادى . ليس من الصحيح اطلاقا ان الوضع الاقتصادى وحده دون غيره هو **السبب** ، وانه هو **وحده دون غيره الفعال** ، بينما الباقى كله لا يعدو ان يكون نتيجة منفعلة . كلا . فهنا يوجد تفاعل على اساس الضرورة الاقتصادية التى تشق لنفسها طريقا فى **آخر المطاف**» * .

ان الماركسية-اللينينة تنطلق من تحليل تفاعل جميع الجوانب فى حياة المجتمع ، فارزة فى هذا التفاعل القوة الرئيسية ، المحددة ، الرائدة وهى اسلوب انتاج الخيرات المادية .

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٣٩ ، ص ١٧٥ .

لماذا وبأى نحو تتعاقب التشكيـــلات الاجتماعية الاقتصادية ؟

ان القوى المنتجة هى الجانب الأكثر تحركا فى اسلوب الانتاج ، وهى تتواجد على الدوام فى حركة ، وتتطور بأسرع من علاقات الانتاج . وعلاقات الانتاج تتأخر عن القوى المنتجة ، وتتناقض معها ، وتمسى قيودا لها . وفى هذه الحال ينشب نزاع تحله الاستعاضة عن علاقات الانتاج القديمة بعلاقات انتاج جديدة .

ذلك هو جوهر القانون الماركسى ، قانون تطابق علاقات الانتاج مع مستوى تطور القوى المنتجة وطابعها . وهذا القانون هو القوة المحركة الجذرية لتقدم الانتاج المادى ، ولتقدم المجتمع كله فى الوقت نفسه . وهو قانون من أعمّ القوانين ، ويفعل فعله على كل امتداد تاريخ المجتمع البشرى .

اذن . ان النزاع بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج انما هو السبب الذى يقرر ضرورة القضاء على التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية القديمة

وضرورة الانتقال الى التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية الجديدة . ولهذا كان تعاقب التشكيـــلات الاجتماعية الاقتصادية يمثل تحرك المجتمع فى طريق التقدم التاريخى . والتاريخ يعرف خمس تشكيلات اجتماعية اقتصادية : التشكيلة المشاعية البدائية ، التشكيلة العبودية ، التشكيلة الاقطاعية ، التشكيلة الرأسمالية ، التشكيلة الشيوعية التى الاشتراكية طورها الاول .

ان الانتقال من تشكيلة اجتماعية الى اخرى يعنى انقلابا اجتماعيا فى منتهى العمق ، يتحقق ، كقاعدة ، بسبيل الثورة . وبالحتمية التى اخلى بها المجتمع العبودى المكان للمجتمع الاقطاعى ، والتى اخلى بها المجتمع الاقطاعى المكان للمجتمع الرأسمالى ، يضطر المجتمع الرأسمالى بالحتمية ذاتها ، بوصفه تشكيلة اجتماعية اقتصادية ، الى اخلاء المكان للشيوعية . وهذه عملية اجتماعية تاريخية ومحتمة وقانونية لتطور المجتمع البشرى .

ان عرفان الصفة التقدمية للتطور الاجتماعى يتسم بأهمية كبيرة فى النشاط العملى . ومن

هنا ذلك التفاؤل وذلك اليقين عند الكادحين في احراز النصر . فان الكادحين مقتنعون بحتمية نجاح قضيتهم ، لأن قوانين التطور التاريخي الى جانبهم .

الطبقات والنضال الطبقي والدولة

النضال الطبقي مصدر تطور المجتمع .

ان المسألة التالية — ما هي الطبقات وكيف انبثقت — قد شغلت عقول الناس من قديم الزمان . ان المستثمِرين يروجون الفكرة القائلة ان التفاوت الاجتماعي قد كان قائما على الدوام وسيظل قائما على الدوام ، لأن الله خلق الاغنياء والفقراء منذ الازل والى الابد .

ان انقسام المجتمع الى فقراء واغنياء ، الى مستثمَرين ومستثمِرين ، انما هو الانقسام الى طبقات . واذا كان قسم من المجتمع يملك الاراضي ، والقسم الآخر يكدح في هذه الارض ، فهناك طبقتان متناحرتان —

طبقة ملاكى الاراضى وطبقة الفلاحين . واذا كان فريق من الناس يملك المصانع والمعامل ، والفريق الآخر يشتغل فى هذه المصانع والمعامل، فهناك طبقة الرأسماليين وطبقة العمال ، علما بأن أصحاب المصانع يستأثرون بجزء كبير من منتوج الشغيلة . ان الطبقات هى جماعات من الناس تستطيع احداها ان تستأثر بعمل جماعة اخرى بفضل اختلاف العلاقة بوسائل الانتاج . وهكذا تكون الطبقات جماعات كبيرة من الناس تختلف من حيث علاقتها بوسائل الانتاج ، من حيث دورها فى التنظيم الاجتماعى للعمل ، وكذلك من حيث اساليب الحصول على نصيب من الثروة الاجتماعية ومن حيث مقادير هذا النصيب .

هل كانت الطبقات وتكون على الدوام ؟ كان زمن لم يكن فيه للطبقات وجود . ففى ظل النظام البدائى ، كان الناس يعيشون مشاعات . وكانت للجميع حقوق متساوية . وكان العمل مشتركا ، وكانت الملكية مشتركة ايضا . وكل ما كانوا يحصلون عليه كان يخص

الجميع ، وكانوا يتقاسمونه بالتساوى . ولكن مستوى تطور الاقتصاد كان منخفضا جدا . كان الانسان يحصل على كمية قليلة جدا من المواد الغذائية كانت بالكد تكفيه لعيشه الشحيح . وفى هذه الاحوال كان من المستحيل على الانسان ان يعيش على حساب انسان آخر ، ان يستثمر اناسا آخرين .

ان الانقسام الى طبقات يزول فى ظل الشيوعية . ذات مرة رأى لينين فى صالة ، كان عليه ان يقدم فيها تقريرا ، لوحة كتب عليها : «لن يكون لعهد سيادة العمال والفلاحين نهاية !» . فأوضح لينين لمستمعيه خطأ هذا الشعار ، واشار الى ان العمال مدعوون ، لا الى تخليد انفسهم كطبقة ، بل الى تصفية الفوارق الطبقية وبناء المجتمع اللاطبقى — الشيوعية .

والآن ينهض السؤال التالى : متى وكيف نشأت الطبقات ؟ ان النظام البدائى اللاطبقى قد ساد على امتداد آلاف وآلاف السنين ، وطوال هذه المدة كلها ، سار تطور القوى

المنتجة بخطوات بطيئة ، ولكن بلا مرد . ومع هذا التطور ، تغير كل نمط حياة المشاعة البدائية . وبدأ التمايز فى المشاعة . بعضهم اغتنى ، واستولى على الارض والماشية وادوات الانتاج وجعلها ملكا له ، واضطر الآخرون ، المعدمون ، الى العمل فى صالح الاغنياء ، وتحولوا الى عبيد . وانبثقت الملكية الخاصة للارض وباطنها والغابات والمياه وادوات العمل ، والخ . . وان الفيلسوف والكاتب والمنور الفرنسى جان جاك روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨) قد شتم باستياء وغضب ذلك الذى كان اول من سيج قطعة من الارض وقال : هذا لى . ان رأى جان جاك روسو ساذج بالطبع . فهو يجيز الفكرة القائلة ان الملكية الخاصة وبلايا الناس وآلامهم المرتبطة بها قد ظهرت بارادة الانسان الشريرة . ولكن قوله ينطوى على ذرة من الحقيقة . فمع ظهور الملكية الخاصة ، ظهرت الطبقات . وانقسم المجتمع الى طبقة الاسياد وطبقة العبيد ، طبقة الظالمين وطبقة المظلومين ، اى الى جماعتين متعاديتين .

ان كل مجتمع تناحرى يتميز بوجود طبقتين متضادتين اساسيتين تناضل احداهما ضـــد الاخرى . ففى ظل النظام العبودى كان العبيد ومالكو العبيد . وقد تميزت الاقطاعية بطبقتين اساسيتين : طبقة الاقطاعيين وطبقة الفلاحين . وفى عهد الرأسمالية اطل على الحلبة الرأسماليون والعمال . ومنذ ان انقسم المجتمع الى طبقات متعادية ، اصبح تاريخ البشرية حتى انتصار الاشتراكية تاريخ النضال الضارى بين الظالمين والمظلومين . ان الطبقات المستَثمرة تناضل فى سبيل تحررها . والمستثمِرون لا يريدون ان يفقدوا ثرواتهم وسلطتهم . وهم يجهدون للمزيد من استعباد الشغيلة ، ويناضلون فى سبيل توطيد سيادتهم . وقد كتب ماركس وانجلس : «فالحر والعبد ، والنبيل والعامى ، والسيد الاقطاعى والقن ، والمعلم والصانع ، اى بالاختصار المضطهدِون والمضطهَدون ، كانوا فى تعارض دائم ، وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة وتارة مستترة ، حرب كانت تنتهى دائما إمّا بانقلاب ثورى يشمل المجتمع بأسره

وامّا بانهيار الطبقتين المتصارعتين معا» * .

ان النضال بين الطبقات فى ظل النظام الاستثمارى هو قانون من قوانين تطور المجتمع ، وقوة محركة جبارة للتقدم الاجتماعى . ان نضال الطبقات المستثمَرة الثورى يكتسح النظام القديم الذى ولى زمانه واستنفذ قواه ويقيم ويوطد النظام الجديد ، المتنامى . هكذا كانت انتفاضة العبيد تحت قيادة سبارتاك (اسبرطقوس) فى القرن الاول قبل الميلاد ، (فى عصر العبودية) ، وحرب الفلاحين العظيمة فى المانيا فى القرن السادس عشر ، والجاكيرى فى فرنسا فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر وحرب الفلاحين فى روسيا تحت قيادة بوغاشوف فى القرن الثامن عشر (فى عصر الاقطاعية) ، والثورة البرجوازية الفرنسية فى القرن الثامن عشر التى اقامت ووطدت النظام الرأسمالى ، وثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا التى دشنت عصر الاشتراكية .

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٤ ، ص ٤٢٤ .

الدولة . ما هى الدولة ومتى نشأت ؟ ان نشوء الدولة ووجودها مرتبطان بوجود الطبقات . ففى النظام المشاعى البدائى لم يكن ثمة طبقات ، ولم يكن ثمة دولة . ولكن حين ظهرت الملكية الخاصة ، حين انقسم المجتمع الى طبقات متعادية ، حينذاك تكوّنت الدولة .

ان الدولة فى جميع المجتمعات التناحرية هى آلة لاجل دعم سيادة طبقة على طبقة ، جهاز يستطيع المستثمِرون بواسطته ان يبقوا الشغيلة فى حالة الخضوع . هذا هو بالذات الجوهر الطبقى للدولة الاستثمارية . والمستثمِرون يستعملون الجيش والمحكمة والسجون وهيئات القمع لاجل الاحتفاظ بسلطتهم . وعلاوة على هيئات العنف ، يستعملون جميع الوسائل الايديولوجية لاجل اضطهاد الشغيلة : المدرسة ، الصحافة ، الراديو ، السينما ، وسائر وسائل الاعلام الجماهيرى .

بنتيجة الثورة الاشتراكية ، تحل الدولة الاشتراكية محل الدولة الاستثمارية ، وتنبثق كمنظمة سياسية لسيادة الطبقة العاملة على

المستثمِرين المقلوبين ، لسيادة الاغلبية الساحقة على الاقلية . ان المهمة الرئيسية التى تواجه الدولة الاشتراكية ، هى بناء نظام خال من العنف ، نظام المساواة الاشتراكية بين اهل العمل .

ما هى طرز واشكال الدول ؟ ان طراز الدولة تحدده الطبقة التى تخدمها الدولة . فاذا كانت الدولة تخدم مالكى العبيد ، فهى دولة عبودية . واذا كان الاقطاعيون يسودون ، فان طراز الدولة اقطاعى . وفى الدولة البرجوازية ، يتحكم الرأسماليون بلا منازع . وجميع طرز الدولة الثلاثة هذه تتميز بسيادة المستثمِرين وتعبر عن جوهرها الطبقى .

ان بناء الاشتراكية وترقيتها انما يقوم بهما طراز خاص من طرز الدولة ، هو الطراز الاشتراكى . ان المجتمع الجديد لا ينبع من الرأسمالية فورا ، دفعة واحدة ، مباشرة . فبين الرأسمالية والشيوعية ، كما اشار ماركس ، «تقع مرحلة تحول المجتمع الرأسمالى تحولا ثوريا الى المجتمع الشيوعى ، وتناسبها مرحلة

انتقال سياسى لا يمكن ان تكون الدولة فيها سوى **الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا**» * . ومع بناء الاشتراكية تتحول دولة ديكتاتورية البروليتاريا الى دولة للشعب بأسره ، اى الى منظمة سياسية للشعب بأسره مع بقاء الدور القيادى للطبقة العاملة .

اذا كان طراز الدولة يبين جوهرها الطبقى ، فان شكل الدولة ، علاوة على ذلك ، يتميز كذلك بشكل الحكم (الملكية ، الجمهورية) والنظام السياسى (طرائق الحكم الليبيرالية الديموقراطية ، الديكتاتورية الفاشية العسكرية) ، وبنيان الدولة (الاحادى ، الاتحادى) .

ان اشكال الدول البرجوازية متنوعة ، ولكن جوهرها واحد ، فان جميع هذه الدول هى هيئة لسيادة الرأسمال . وما من شكل للدولة البرجوازية ، ايا كانت الكلمات الحلوة التى تتسمى بها ، بوسعه ان يغير جوهرها

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ١٩ ، ص ٢٧ .

الاستثمارى ، ودورها كاداة لسيادة طبقة على طبقة اخرى . قال لينين «ان اشكال الدول البرجوازية فى منتهى التنوع ولكن كنهها واحد : فجميع هذه الدول هى بهذا الشكل او ذاك وفى نهاية الامر **ديكتاتورية البرجوازية** عـلى التأكيد» * . ان الدولة البرجوازية هى ادارة سيادة الرأسمال على العمل .

الوعى الاجتماعى والايديولوجية

دور الوعى الاجتماعى . تعرّف الفلسفة الماركسية اللينينية الوعى الاجتماعى على انه مجمل الافكار والنظريات والنظرات والمفاهيم والمشاعر والامزجة والعادات والتقاليد القائمة فى المجتمع والتى تعكس الظروف المادية لحياة الناس .

وهذا يعنى ، بتعبير آخر ، ان الوعى

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٣ ، ص ٣٥ .

الاجتماعى يعكس المعيشة الاجتماعية ، اى العلاقات المادية التى تجرى فى اطارها حياة الناس . واذا كان مفهوم «المعيشة الاجتماعية» يعنى حياة الناس المادية ، وظروف انتاج الخيرات المادية ، فان مفهوم «الوعى الاجتماعى» يتعلق بحياتهم الروحية .

ان المعيشة الاجتماعية تحدد مضمون الوعى الاجتماعى وكنهه الطبقى . وفى الوقت نفسه لا يسلك الوعى الاجتماعى سلوكا هامدا بل يؤثر بدوره فى المعيشة الاجتماعية التى تخلقه .

وهذا التأثير يتوقف على طابع الـــوعى الاجتماعى ، اى على طابع الافكار والنظريات والمفاهيم التى تشكله ، اما الافكار ، ومختلف النظريات والمفاهيم الاجتماعية ، فانها تنقسم من حيث مضمونها الى نوعين — القديمة ، الرجعية ، والجديدة ، التقدمية . ان الافكار والنظريات القديمة تعكس مصالح الطبقات التى ولى عهدها وتعرب عنها ، وهى لذلك سلبية من حيث تأثيرها فى الحياة الاجتماعية ، فى تطور المجتمع . والافكار والنظريات القديمة

تكبح تطور المجتمع . اما الافكار والنظريات الجديدة ، التقدمية ، فانها تعكس مصالح الطبقات التقدمية ، مصالح فئات المجتمع التقدمية ، فتسهم بالتالى فى تقدم المجتمع .

يختلف الوعى الفردى عن الوعى الاجتماعى . ان الوعى الفردى هو العالم الروحى لفرد بمفرده ، هو افكار ومشاعر واحساسات وانفعالات وعادات ومطامح هذا الانسان او ذاك . وهو يتكون فى سياق حياة الانسان ونشاطه العملى ويعكس ظروف وجوده المادية . ان الوعى الفردى هو تعبير عن التجربة العملية وعن ظروف الفرد المعنى الحياتية .

ان الوعى الاجتماعى لا تشكله الا تلك الافكار والمفاهيم والمشاعر والمطامح التى تعرب عن مصالح الناس المشتركة . وهذه هى فى المجتمع الطبقى المصالح العامة للطبقة ، لهذه الفئة الاجتماعية او تلك ، لهذه الجماعة او تلك ، وما الى ذلك .

هذان النوعان من الوعى يتواجدان فى صلة متبادلة ، فى وحدة ديالكتيكية . ان

الوعى الاجتماعى لا يتجلى الا من خلال الوعى الفردى ، لأن كل انسان يعيش ويعمل فى المجتمع ، وينتمى الى طبقة معينة ، وامة معينة ، وجماعة اجتماعية معينة .

النفسية الاجتماعية والايديولوجية . ينقسم الوعى الاجتماعى الى ميدانين مختلفين ومستويين مختلفين : النفسية الاجتماعية والايديولوجية .

ان النفسية الاجتماعية يشكلها مجمل المشاعر ، والمطامح ، والتصورات والعادات ، والافكار ، والامزجة الناشئة عند هذه او تلك من الطبقات ، والفئات الاجتماعية ، والامم ، بتأثير الظروف المباشرة لحياتها اليومية . ان الايديولوجية هى نظام النظرات والافكار السياسية والحقوقية والاخلاقية والفلسفية والدينية والجمالية التى تميز طبقة معينة .

ان النفسية الاجتماعية انما هى الدرجة الاولى لادراك الناس لمعيشتهم الاجتماعية ، لوجودهم الاجتماعى . اما الايديولوجية ، فهى ، خلافا لها ، مستوى اعلى للوعى الاجتماعى ،

ادراك اعمق من الناس للظروف المادية لحياتهم . وهى مدعوة الى كشف جوهر العلاقات بين الطبقات ، بين الامم ، بين الجماعات الاجتماعية ، وتعليل ضرورة وجود او تغيير هذه العلاقات ، من مواقع هذه الطبقة او تلك . وخلافا للنفسية التى تتكون عفويا ، توضع الايديولوجية من قبل فريق خاص من الناس هم الايديولوجيون .

ان النفسية الاجتماعية والايديولوجية هما فى المجتمع الطبقى ، طبقيتان . فلكل طبقة نفسيتها وايديولوجيتها اللتان تعكسان مكانها فى نظام الانتاج الاجتماعى وتعرب عن حاجاتها ومصالحها . كتب لينين : «لقد كان الناس وسيظلون ابدا ، فى حقل السياسة ، ضحايا ساذجة يخدعهم الآخرون ويخدعون انفسهم ، ما لم يتعلموا استشفاف **مصالح** هذه الطبقات او تلك وراء التعابير والبيانات والوعود الاخلاقية والدينية والسياسية والاجتماعية» * .

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٣ ، ص ٤٧ .

ان الطبقة العاملة تملك ايديولوجية علمية ، هى الايديولوجية الماركسية اللينينية . وهذه الايديولوجية تختلف بصورة جذرية عن جميع الايديولوجيات التى سبقتها ، سواء من حيث مضمونها الطبقى ام من حيث اهدافها ومهماتها التى تطرحها نصب عينيها . وهذه الخلافات تتلخص ، اولا ، فى كون الايديولوجية الماركسية اللينينية لا تخدم مصالح الطبقات الاستثمارية ، بل تخدم مصالح الطبقة العاملة وجميع الشغيلة ؛ ثانيا ، فى كونها تعلل نظريا ضرورة القضاء على الاستثمار وضرورة بناء المجتمع الجديد ؛ ثالثا ، فى كونها تعرب بدأب وتجانس عن تطلعات وامانى الجماهير الشعبية الواسعة ، وفى كونها بالتالى سلاحا جبارا لتحويل العالم بالسبيل الثورى ، ولتوطيد مثل العدالة والحرية والمساواة والاخوة بين الناس والامم .

دور الجماهير الشعبية والفرد فى التاريخ

تضطلع الجماهير الكادحة ، الشعب ،

9–726

بالدور الرئيسى فى صنع الخيرات المادية . فان الشعب هو الذى يصنع ادوات العمل ، ويحسنها ، وينقل تجربته الحياتية ومعارفه من جيل الى جيل . والكادحون يطعمون ويلبسون العالم كله ويخلقون جميع خيرات الحياة .

ولكن الجماهير الكادحة لا تؤمن كل ما يلزم لحياة الناس وحسب ، بل هى ايضا صانعة التاريخ ، والقوة الحاسمة فى الحركة المتواصلة الى الامام . فان العبودية والاقطاعية لم تندثرا طى الماضى من تلقاء نفسيهما ، بل اندثرتا بفضل نضال الكادحين الثورى العنيد ضد الظالمين . وقد تجلى دور الجماهير الشعبية الخلاق بقوة خاصة فى ايام ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى التى دفنت الرأسمالية فى روسيا . وعن دور الجماهير الشعبية فى الحركة الثورية ، قيل باقناع فى نشيد الشيوعيين — «الاممية» :

ان احدا لن يعطينا الخلاص ،
لا الله ، ولا الملك ، ولا البطل ،

سنحرز تحررنا

بايدينا بالذات .

الشعب ليس القوة التى تخلق جميع القيم المادية وحسب ، بل هو ايضا المصدر الوحيد للقيم الروحية . وتطور العلم والادب والفن مدين فى المقام الاول للجماهير الشعبية .

ولكن ما هو دور الفرد فى التاريخ ؟ سعيا لتبرير حق الاقلية الضئيلة فى اضطهاد الاغلبية ، يحاول ايديولوجيو البرجوازية ان يبثوا فى وعى الناس النظرية الرجعية عن «الابطال والجموع» . فان هذه النظرية تنطلق من ان الافراد البارزين ، — الملوك ، القادة العسكريين ، المشترعين ، والخ . ، — هم صانعو التاريخ الوحيدون ، وانهم قادرون على تحريك وتعديل مجرى التاريخ كما يطيب لهم ، والى حيث يشاؤون ، وان الجماهير الكادحة هى عبارة عن جمع هامد ، عاجز عن الابداع التاريخى .

ان الماركسية—اللينينية حطمت الخرافة الزاعمة ان المجتمع البشرى مدين بكل شيء لحفنة من المختارين . ولكن هذا لا يعنى ان

الماركسية–اللينينية لا تعترف بدور الفرد فى التاريخ . فما من طبقة فى تاريخ المجتمع بلغت السيادة دون ان تقدم زعماءها السياسيين ، ممثليها الطليعيين ، القادرين على تنظيم الحركة وقيادتها . واذا كان التقدميون الذين يدركون حاجات الناس الملحة ادراكا صحيحا يجدون الحل الأصح للمشاكل والمهام التى تواجه المجتمع ، وعجلوا بذلك تطور العمليـــات التاريخية ، فان الرجعيين يخنقون ، يعرقلون ، يكبحون مجرى التطور الاجتماعى .

ان الرجال الافذاذ يبرزون كقادة للجماهير ، للطبقات . وهم يجدون ينبوع القوة فى الدعم من جانب الطبقات ، من جانب الفئات الاجتماعية . ومهما كان هؤلاء الرجال أذكياء وعباقرة ، فانهم عاجزون بدون هذا الدعم ، عاجزون عن ممارسة اى تأثير جوهرى ما فى مجرى التاريخ . ان القادة اقوياء بنشاط الجماهير التى يرأسونها . وفى هذا قوتهم .

اهمية الفلسفة الماركسية اللينينية

احدثت الماركسية–اللينينية ثورة حقيقية فى الفلسفة . فقد ابدعت عقيدة من طراز جديد من حيث المضمون هى عقيدة البروليتاريا اى الفلسفة الماركسية اللينينية .

ان الفلسفة الماركسية اللينينية هى النظرية العلمية الوحيدة التى تبرهن ان العالم مادى بطبيعته ، وان كل شىء فيه يتغير ، ويتطور ، ويتحرك الى الامام من الادنى الى الاعلى ، من القديم الى الجديد . وتعمم نتائج جميع العلوم الاخرى ، وتسلحها بطريقة العرفان الديالكتيكية ، وبالموقف الصحيح من الظاهرات المدروسة .

ان فلسفة الماركسية–اللينينية ترسم لوحة صحيحة عن العالم ، وتحدد أعم قوانين تطور الطبيعة والمجتمع ، وبذلك تشكل سلاحا جبارا للعمل الثورى ، وعقيدة الملايين والملايين من الكادحين المناضلين ضد جميع اشكال الاضطهاد واللامساواة ، والذين يبنون مجتمعا جديدا ، عادلا . وهى تؤلف الاساس النظرى لستراتيجية وتكتيك الاحزاب الماركسية .

الفصل الثالث

الاسس الاقتصادية للماركسية–اللينينية

ماذا يدرس الاقتصاد السياسى

موضوع الاقتصاد السياسى . الاقتصاد السياسى هو ، الى جانب الفلسفة والشيوعية العلمية ، جزء مكون ، جزء لا يتجزأ من الماركسية–اللينينية ، هو اساسها الاقتصادى .

ان الاقتصاد السياسى بوصفه علما قد انبثق مع اسلوب الانتاج الرأسمالى . ولكنه لم يصبح علما حقا الا منذ ان اطلت الطبقة العاملة على حلبة النضال الطبقى ، منذ ان انشئ الاقتصاد السياسى البروليتارى ، الذى كان ماركس وانجلس مؤسسيه . ثم جاء لينين ورفع فى مؤلفاته

الاقتصاد السياسى الماركسى الى درجة جديدة ، اعلى .

تنطلق الماركسية-اللينينية من ان الانتاج المادى هو اساس حياة المجتمع . وقد كتب ماركس : «فكل طفل يعرف ان كل امة تهلك اذا ما اوقفت العمل خلال بضعة اسابيع على الاقل ، وبالاحرى خلال سنة» * . ومن هنا ينجم ان العمل هو الشرط الاساسى لوجود المجتمع البشرى وتطوره ، ومصدر نمو ثرواته .

وقد سبق ان كتبنا فى الفصل السابق ان الخيرات المادية لا يتم انتاجها فى معزل . ففى عملية الانتاج يتصل النـــاس حتـــما بعضهم مع بعض . وعملهم يتسم بطابــع اجتماعى .

ان الاقتصاد السياسى يدرس العـــلاقات الاجتماعية القائمة بين الناس فى سياق انتاج

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٣٢ ، ص ٤٦٠ .

وتوزيع وتبادل واستهلاك الخيرات الحياتية .

ان ملكية وسائل الانتاج هى اساس علاقات الانتاج . وعلاقات الملكية تختلف من حيث طرازها . فاذا كان المجتمع بمجمله يتعامل مع وسائل العمل ومواضيعه ونتائجه على اعتبار انها له ، فان هذا هو طراز الملكية الاجتماعية . اما اذا كانت لا تخص سوى قسم من المجتمع او حتى افراد بمفردهم ، فان هذا هو طراز الملكية الخاصة . وبدراسة علاقات الانتاج فى سياق تطورها ، يعلل الاقتصاد السياسى حتمية انتصار النظام القائم على الملكيـــة الاجتماعية ، ومشروعيته التاريخية .

القوانين الاقتصادية . يخضع الانتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك لقوانين اقتصادية معينة . وكشف هذه القوانين واستعمالها فى نشاط الناس العملى فى الاقتصاد الوطنى هما مهمة الاقتصاد السياسى . والمفهوم بالقوانين الاقتصادية العلاقات الموضوعية ، الثابتة ، الجوهرية ، الضرورية فى العمليات والظاهرات الاقتصادية .

ومثل قوانين الطبيعة ، تتسم القوانين الاقتصادية ، بطابع موضوعى ، وتعبّر عن علاقات وروابط متبادلة مستقلة عن ارادة الناس ووعيهم . وتنبثق القوانين الاقتصادية مع نشوء المجتمع البشرى ، فى سياق نشاط الناس الانتاجى . وهنا يكمن الفرق الرئيسى بينها وبين قوانين الطبيعة التى لا يرتبط مفعولها بظهور وتطور المجتمع البشرى .

تنقسم القوانين الاقتصادية حسب درجة عموميتها الى الفئات التالية .

الفئة الاولى — القوانين الاقتصادية العامة الملازمة لجميع التشكيلات الاجتماعية الاقتصادية . مثلا ، قانون التطابق بين علاقات الانتاج وبين طابع ومستوى القوى المنتجة ، الذى يعنى انه لا بدّ لعلاقات الانتاج القديمة ان تتطابق حتما مع القوى المنتجة بقدر ما تتطور هذه القوى ، وان تحل محلها علاقات انتاج جديدة ، اكثر تقدما .

الفئة الثانية — القوانين الاقتصادية التى تفعل فعلها ، لا فى جميع التشكيلات الاجتماعية

الاقتصادية ، بل فى بعض التشكيلات فقط . فان قانون القيمة ، مثلا ، لا يفعل فعله الا حيث تتواجد العلاقات البضـــاعيـــة النقدية .

ولكن الاغلبية الساحقة من القوانين الاقتصادية انما هى قوانين مختصة لا تلازم سوى اسلوب معين للانتاج ، وتفقد قوتها مع هلاكه (مثلا ، قانون القيمة الزائدة الذى يفعل فعله فى ظل الرأسمالية) .

وهكذا يكون الاقتصاد السياسى علم تطور علاقات الانتاج ؛ وهو يدرس القوانين الاقتصادية الملازمة لهذه العلاقات ، اى قوانين الانتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك فى مختلف درجات تطور المجتمع البشرى .

مذهب ماركس الاقتصادى

نظرية القيمة الزائدة . كشف «رأس المال» المؤلف الرئيسى فى الاقتصاد السياسى الماركسى ، اهم قوانين تطور الانتاج الرأسمالى ، كما

كشف تناقضات النظام الرأسمالى الداخلية .

ان مذهب القيمة الزائدة ، المحلل بعمق فى «رأس المال» هو انجاز بالغ العظمة من انجازات الاقتصاد السياسى الماركسى . وقد نعت لينين نظرية القيمة الزائدة بانها حجر الزاوية فى مذهب ماركس الاقتصادى .

ان هذه النظرية قد فضت سر الاستثمار الرأسمالى ، ونزعت الاغطية التى كانت تخفى مصدر اثراء الرأسماليين . وقد كتب ماركس نفسه فى احدى رسائله ان خير ما فى كتابه انما هو دراسة القيمة الزائدة بصورة مستقلة عن اشكالها الخاصة — الربح ، الفائدة ، الريع العقارى ، والخ . . وقال انجلس ان حل مسألة القيمة الزائدة هى مأثرة تاريخية عظيمة للغاية من مآثر مؤلف ماركس .

يبدأ كارل ماركس تحليل القيمة الزائدة وكل المجتمع الرأسمالى من البضاعة . ففى ظل الرأسمالية يصبح كل شىء بضاعة ، بما فى ذلك قوة عمل الانسان التى تباع وتشترى بحرية .

ان قوة العمل انما هى الكفاءات البدنية والروحية التى يملكها الانسان والتى يستعملها حين ينتج الخيرات المادية . وقوة العمل هى فى المجتمع ، كل مجتمع ، عنصر ضرورى للانتاج . ولكنها لا تصبح بضاعة الا فى ظل الرأسمالية . ففى ظل الرأسمالية يتوفر لهذا الغرض شرطان هما الحرية الشخصية لمالك قوة العمل ، وحرمانه من وسائل الانتاج ، وبالتالى من وسائل العيش .

فى المجتمع العبودى ، مثلا ، لم يكن بوسع العبد ان يبيع قوة عمله لأنه هو نفسه كان ملكا للغير . وفى ظل الاقطاعية ، لم يكن الفلاح هو ايضا مالكا لقوة عمله لأنه كان من الناحية الشخصية تابعا للاقطاعى . وفى ظل الرأسمال ينال العامل الحرية الشخصية . وقد قال ماركس : «ان مالك النقود لا يستطيع ان يحول نقوده الى رأسمال الا اذا وجد فى سوق البضائع عاملا حرا ، حرا بمعنى مزدوج : بمعنى ان العامل فرد حر ويملك قوة عمله كبضاعة ، ومن جهة اخرى ، بمعنى انه

لا يملك لاجل البيع اية بضاعة اخرى ، وانه لا يملك غير ريشه ، حر من جميع الاشياء الضرورية لاجل تحقيق قوة عمله» * .

ان الاستثمار فى ظل الرأسمالية مخفى عن العيون ، وهو اقل بروزا مما فى ظل العبودية والاقطاعية ، وهو يتجلى بشكل القسر الاقتصادى . فان الحياة نفسها تكره العامل على اختيار واحد من اثنين : إمّا ان يموت جوعا ، واما ان يبيع قوة عمله من صاحب المؤسسة . ان الجوع ، وليس السوط والقضيب ، هو سواق الشغيلة الرئيسى فى ظل الانتـــاج الرأسمالى .

ان ماركس هو الذى كشف آلية الاستثمار الرأسمالى . ان قوة العمل بوصفها بضاعة تملك خاصة فريدة هى القدرة على انتاج اكثر مما تحوزه هى نفسها . ولخلق قيمة اضافية او زائدة ، لهذا الغرض بالذات يستأجر الرأسمالى

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٣ ، ص ١٧٩ .

العمال . ان عمل العمال الذى يستملك الرأسماليون الذين اشتروا قوة العمل قسما منه مجانا ، بلا مقابل ، هو مصدر القيمة الزائدة .

وعليه **تكون القيمة الزائدة قيمة يخلقها عمل العامل المأجور علاوة على قيمة قوة عمله ويستملكها الرأسمالى مجانا ، بلا مقابل** .

ان انتاج الحد الاقصى من القيمة الزائدة واستملاكها من قبل الرأسماليين عن طريق استثمار العمال الاجراء هما **القانون الاقتصادى الاساسى للرأسمالية** .

ان آلية انتاج القيمة الزائدة واستملاكها تتلخص فى ان كل وقت العمل ينقسم الى قسمين — ضرورى وزائد . فى سياق قسم واحد من يوم العمل ، يخلق العامل قيمة تساوى قيمة قوة عمله . هذا القسم من يوم العمل ضرورى لاجل انتاج وسائل العيش للعامل نفسه ولعائلته . وهو وقت العمل الضرورى ؛ والعمل المبذول فى سياق وقت العمل الضرورى هو العمل الضرورى . وفى سياق القسم الثانى من يوم العمل يخلق العامل المأجور القيمة

الزائدة . وهذا القسم من يوم العمل هو وقت العمل الزائد ، والعمل المبذول فى سياق وقت العمل الزائد هو العمل الزائد .

قال لينين ان «العامل المأجور يبيع قوة عمله لمالك الارض ولصاحب المصنع وادوات الانتاج . والعامل يستخدم قسما من يوم العمل لتغطية نفقات اعالته واعالة اسرته (الاجرة) ؛ ويستخدم القسم الآخر للشغل مجانا ، خالقا للرأسمالى **القيمة الزائدة** ، التى هى مصدر ربح ، مصدر اثراء للطبقة الرأسمالية» * .

جوهر الرأسمال . يتسم مفهوم «الرأسمال» بأهمية كبيرة لاجل مزيد من العمق والوضوح فى تصور آلية الاستثمار الرأسمالى . فما هو الرأسمال ؟ الرأسمال ليس مجرد وسائل الانتاج ايا كانت (ادوات العمل ومواضيع العمل) .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٣ ، ص ٤٥ .

فان وسائل الانتاج لا تصبح رأسمالا الا متى تواجدت فى ملكية خاصة ومتى استعملت لاجل استثمار العمال . وعليه يعرب الرأسمال عن علاقات انتاج معينة ، عن العلاقات بين الرأسماليين الذين يملكون وسائل الانتاج وبين العمال المحرومين من هذه الوسائل والمضطرين الى بيع قوة عملهم وخلق القيمة الزائدة .
ان الرأسمال هو القيمة التى تعود بالقيمة الزائدة عن طريق استثمار العمال الاجراء .

ينقسم الرأسمال الى رأسمال ثابت ورأسمال متغير . ان القسم من الرأسمال ، المتجسد فى وسائل الانتاج والذى ينتقل تدريجيا او كليا بدون تغيير مقداره الاولى الى البضائع الجاهزة يسمى **بالرأسمال الثابت** . اما الرأسمال الذى ينفق على شراء قوة العمل ، فان مقداره يزداد فى سياق الانتاج . ان العامل المأجور يخلق بعمله قيمة اكبر من التى انفقها الرأسمالى على شراء قوة عمله . وهذا القسم من الرأسمال أسمى **الرأسمال المتغير** .

ان قسمة الرأسمال الى رأسمال ثابت

ورأسمال متغير تبين ان مصدر القيمة الزائدة ليس الرأسمال كله ، بل قسمه المتغير فقط . وهذا يعنى بدوره ان اثراء الرأسماليين غير ممكن الا عن طريق استثمار العمال الاجراء .

معدل القيمة الزائدة وكتلتها . كيف نحدد مقدار استثمار العمال ؟ لهذا الغرض يمكن اللجوء الى علامتين ، الى مؤشرين : معدل القيمة الزائدة ، وكتلة القيمة الزائدة .

ان معدل القيمة الزائدة هو نسبة القيمة الزائدة الى مصدرها — الرأسمال المتغير . لنفترض ان قيمة قوة العمل فى يوم واحد والقيمة الزائدة المنتوجة فى سياق هذا اليوم تبلغ كل منهما ١٠ دولارات . ففى هذه الحالة يكون معدل القيمة الزائدة ١٠٠ بالمئة .

ويمكن التعبير عن القيمة الزائدة بواسطة النسبة بين قسمى يوم العمل المختلفين (الوقت الزائد والوقت الضرورى) او بواسطة قسمى العمل الذى بذله العامل (العمل الزائد والعمل الضرورى) . لنفترض ان مدة يوم العمل ٨ ساعات ،

وانها تنقسم الى ٤ ساعات من وقت العمل الضرورى و٤ ساعات من وقت العمل الزائد . وفى هذه الحالة يكون معدل القيمة الزائدة ١٠٠ بالمئة ايضا .

ان معدل القيمة الزائدة يبين مقدار العمل الموهوب ، غير المدفوع الاجر الذى يقدمه العامل للرأسمالى بكل وحدة من العمل الضرورى . ولهذا يسمون معدل القيمة الزائدة بمعدل الاستثمار . قال ماركس : «. . . ان معدل القيمة الزائدة هو التعبير الدقيق عن درجة استثمار قوة العمل من جانب الرأسمال . . .» * .

مع تطور الرأسمالية ، يتعاظم معدل القيمة الزائدة . ففى اوائل القرن العشرين ، بلغ فى صناعة التحويل فى الولايات المتحدة الاميركية ١٣٠ بالمئة ، وبلغ فى الوقت الحاضر ٢٠٠ — ٣٠٠ بالمئة ، واحيانا اكثر من ذلك .

صحيح ان معدل القيمة الزائدة يبين

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٣ ، ص ٢٢٩ .

درجة استثمار العامل ، ولكنه مع ذلك لا يعبر عن المقدار المطلق للاستثمار . فان هذا المقدار تحدده كتلة القيمة الزائدة ؛ وهذه الكتلة تتوقف على عدد العمال المستثمَرين ودرجة استثمارهم . وبقدر ما يزداد معدل القيمة الزائدة ويزداد عدد العمال العاملين فى المؤسسات الرأسمالية ، بقدر ما تتعاظم كتلة القيمة الزائدة وتتزايد مداخيل الرأسمالى الطفيلية .

القيمة الزائدة النسبية والمطلقة . باى نحو تتزايد كتلة القيمة الزائدة ويتفاقم استثمار العمال ؟ لاجل زيادة درجة استثمار العمال يلجأ الرأسمالى الى اسلوبين اساسيين .

الاسلوب الاول يتلخص فى الزيادة المباشرة لمدة يوم العمل . فاذا بقى وقت العمل الضرورى ثابتا ، فان وقت العمل الزائد سيزداد مع ازدياد مدة يوم العمل ، ومن جراء ذلك ترتفع درجة الاستثمار . فاذا زاد الرأسمالى يوم العمل ، مثلا ، من ٨ ساعات الى

١٠ ساعات ، واذا بقى وقت العمل الضرورى ثابتا — ٤ ساعات — فان وقت العمل الزائد لن يبقى ٤ ساعات ، بل يصبح ٦ ساعات . وهكذا يزداد معدل القيمة الزائدة ٥٠ بالمئة ، وتزداد كتلته بالنسبة ذاتها .

ان القيمة الزائدة الحاصلة بفضل تمديد يوم العمل علاوة على وقت العمل الضرورى تسمى **القيمة الزائدة المطلقة** . لو كان ممكنا ، لاجبر المستثمرون العمال على العمل ٢٤ ساعة فى اليوم . ولكن هذا غير ممكن لأنه ينبغى على الانسان ان ينام ويأكل ويستريح فى قسم معين من اليوم . وهذا ما يحدد حدود يوم العمل الطبيعية ، البدنية ، ناهيك بانه توجد ايضا حدود اجتماعية . فلا بدّ للعامل من الوقت لاجل تلبية حاجاته الروحية ، الثقافية . ان النضال فى سبيل تقصير يوم العمل جزء لا يتجزأ من نضال البروليتاريا الطبقى .

كذلك يرفع الرأسماليون درجة الاستثمار عن طريق زيادة شدة العمل . فان زيادة شدة العمل تعنى ان العامل ينفق فى القدر

نفسه من الوقت على اداء عملية انتاجية المزيد من الطاقة الحيوية ، ويخلق قدرا اكبر من القيمة الزائدة . وعمليا ينفق العامل فى حال تشديد العمل من قواه قدر ما ينفقه فى حال تمديد يوم العمل او حتى اكثر من ذلك . وفى الوقت الحاضر يستغل الرأسماليون التقدم العلمى والتكنيكى لاجل الحد الاقصى من استثمار اهل العمل .

الاسلوب الثانى لزيادة القيمة الزائدة ، ولرفع درجة استثمار العمال ، يتلخص فى تقصير وقت العمل الضرورى مع بقاء مدة يوم العمل ثابتة بدون تغيير ، الامر الذى يؤدى الى ازدياد وقت العمل الزائد . لنفترض ان العمل الضرورى يقل من اربع ساعات الى ثلاث ساعات فى ظل يوم عمل من ٨ ساعات . فى هذه الحال ، يزداد الوقت الزائد حتى خمس ساعات ، ويزداد معدل القيمة الزائدة من ١٠٠ بالمئة الى ١٦٦ بالمئة . ان القيمة الزائدة الحاصلة عن طريق زيادة وقت العمل الزائد بفضل تقصير وقت

العمل الضرورى تسمى **القيمة الزائدة النسبية** .

باى نحو يتسنى للرأسمالى ان يقصر وقت العمل الضرورى ؟

ان وقت العمل الضرورى ، كما سبق ان قلنا ، تحدده قيمة قوة العمل . وهذه تتوقف على قيمة وسائل العيش (الاغذية ، الالبسة ، الاحذية ، بدل الايجار ، وما الى ذلك) . فاذا انخفضت قيمة وسائل العيش ، فان العامل يعمل قدرا اقل من الوقت لنفسه وقدرا اكبر من الوقت للرأسمالى . ان تخفيض قيمة وسائل عيش العامل يجرى بفعل نمو انتاجية العمل فى الفروع التى تنتج سلع الاستهلاك . وهذا ما يؤدى الى انخفاض قيمة قوة العمل ، وبالتالى الى انخفاض وقت العمل الضرورى وازدياد القيمة الزائدة النسبية .

ولتخفيض قيمة قوة العمل ، يلجأون على نطاق واسع الى عمل النساء والاولاد الذى اجره اقل بكثير من اجر عمل الرجال . كذلك يتعرض العمال للتمييز فى دفع اجور العمل بموجب الانتماء القومى والعرقى .

في البلدان الرأسمالية العالية التطور ينتشر استثمار العمال الاجانب والمهاجرين ، انتشارا واسعا . ويستفاد من معطيات هيئة الامم المتحدة ان عدد العمال الاجانب فى اوائل الثمانينيات بلغ فى اوروبا الغربية أكثر من ٢٠ مليونا . وفى الولايات المتحدة الاميركية يوجد زهاء ١٢ مليون عامل اجنبـى . ويجرى استثمار العمال الاجانب الزائد لانهم ، على العموم ، اقل تنظيما ، ولانهم بالتالى عاجزون عن مقاومة اعمال العنف التى يلجأ اليها ارباب العمل .

وبقدر ما تزداد القيمة الزائدة فى المجتمع ، بقدر ما تزداد ارباح الرأسماليين . وقد قدم ماركس البرهان العلمى على ان جميع فئات المستثمرين — الرأسماليين الصناعيين ، التجار ، المصرفيين ، ملاكى الاراضى — يحصلون على نصيبهم من الربح من مجمل القيمة الزائدة التى يخلقها العمال . ولهم مصلحة طبقية مشتركة وهم يقفون ويتصرفون جبهة واحدة ضد الطبقة العاملة وجميع الفئات المستثمرة

الاخرى فى المجتمع البرجوازى . ولهذا بالضبط كان النضال بين العمل والرأسمال مستعصيا ، لا حلّ وسط له .

القانون العام للتراكم الرأسمالى . ان تحليل ماركس لجوهر الاستثمار الرأسمالى ينتهى بالتعليل العلمى للقانون العام للتراكم الرأسمالى .

ان الرأسمال يرتبط بالقيمة الزائدة بعرى لا انفصام لها ، ويخلقها . ولكن الرأسمال ينبثق فى الوقت نفسه من القيمة الزائدة . وبفضل تحويل القيمة الزائدة الى رأسمال ، يجرى تراكم الرأسمال . فى ظل تراكم الرأسمال يصبح قسم من القيمة الزائدة دخلا للرأسمالى ، ويصبح القسم الثانى صندوقا للتراكم . والتراكم ينقسم بدوره الى قسم يحول الى رأسمال ثابت اضافى ، والى قسم محول الى رأسمال متغير اضافى .

ومن جراء التحرق الذى لا يروى غليله الى امتلاك القيمة الزائدة ، ومن جراء المزاحمة ، يوسع الرأسمالى على الدوام مقاييس الانتاج ، ويحسّن التكنيك اى يزيد الرأسمال الثابت .

ومع تراكم الرأسمال وتطور الانتاج ، تزداد كتلة الخامات والآلات والتجهيزات بالمقارنة مع كمية قوة العمل المستعملة فى الانتاج ، ويهبط نسبيا نصيب الرأسمال المتغير . مثلا . من قبل كانت النسبة بين الرأسمال الثابت والرأسمال المتغير ١ : ١ (واحد الى واحد) ؛ وكان هذا يعنى ان نصف صندوق التراكم كان يصرف لشراء وسائل الانتاج ، وان النصف الثانى كان يصرف لاستئجار قوة العمل . اما فى الظروف الراهنة ، فان النسبة غالبا ما تبلغ ٩ : ١ ، اى ان تسعة اعشار صندوق التراكم هى من نصيب الرأسمال الثابت وان عشرا واحدا هو من نصيب الرأسمال المتغير . وهذا يعنى ان الطلب على قوة العمل يهبط ، وان كثيرين من العمال لا يمكنهم ان يجدوا مجالا للعمل ، لاستعمال قوة عملهم . وهكذا يكون قسم من العمال غير ضرورى للانتاج ، ويتشكل جيش احتياطى صناعى للعمل ، وتظهر البطالة .

ان جيش العمل الاحتياطى الصناعى انما هو شرط من اهم شروط التراكم الرأسمالى .

وهو ملك ضرورى للاقتصاد الرأسمالى لا يمكنه بدونه ان يوجد ويتطور .

تسهم البطالة فى زيادة درجة استثمار العمال ، الشغيلة . ويستغلها الرأسماليون لاجل تخفيض الاجور ، وزيادة شدة العمل . وهذه الفكرة اعرب عنها الكاتب الاميركى ستينبك فى روايته «عناقيد الغضب» كما يلى : «حين ظهر عمل ، ناضل فى سبيله ١٠ اشخاص . وقد حاكموا كما يلى : اذا اشتغل لقاء ٣٠ سنتا ، فانى سأوافق على ٢٥ . واذا قبل ٢٥ ، فانى سأوافق على ٢٠ . كلا . خذنى ، انا جائع ، سأشتغل لقاء ١٥ . سأشتغل لقاء القوت» .

ان نشوء الجيش الاحتياطى الصناعى ونموه هما قانون خاص من قوانين نمو السكان ، ملازم لاسلوب الانتاج الرأسمالى . ويمكن صياغة هذا القانون على النحو التالى : ان السكان الكادحين ، بتأمينهم تراكم الرأسمال انما ينتجون بالتالى بمقادير متعاظمة الوسائل التى تجعلهم سكانا فائضين نسبيا .

يبلغ تعداد جيش العاطلين عن العمل فى

عموم العالم الرأسمالى مئات الملايين . وفى الوقت الحاضر ، يربو فى الدول الرأسمالية الراقية على ٣٠ مليونا . فاذا اصطف جميع الاميركيين العاطلين عن العمل فى صف واحد احدهم بعد الآخر ، فان طول صفهم سيبلغ ١٥٠٠ كيلومتر اى من المحيط الاطلسى الى المحيط الهادى .

ان تفاقم البطالة ظاهرة ملموسة للقانون العام للتراكم الرأسمالى . ولهذه العملية قطبان — فى قطب ، تتعاظم الثروة فى ايدى الرأسماليين ؛ وفى القطب الثانى تتفاقم البطالة ويتفاقم تردى وضع الشغيلة . وقد صاغ ماركس القانون العام للتراكم الرأسمالى كما يلى : «بقدر ما تزداد الثروة الاجتماعية ويزداد الرأسمال العامل ومقادير وطاقة تزايده ، وبقدر ما يزداد بالتالى حجم البروليتاريا المطلق وتزداد قوة عملها المنتجة ، بقدر ما يزداد الجيش الاحتياطى الصناعى . . . ولكن بقدر ما يزداد هذا الجيش الاحتياطى بالمقارنة مع الجيش العمالى العامل ، بقدر ما يتسع الفيض الدائم من السكان الذين يتناسب فقرهم طردا مع عذابات الجيش العمالى العامل .

واخيرا بقدر ما تزداد الشرائح الفقيرة من الطبقة العاملة ويزداد الجيش الاحتياطى الصناعى ، بقدر ما يتفاقم الاملاق الرسمى . **وهذا قانون مطلق ، عام من قوانين التراكم الرأسمالى**» * .

ان القانون العام للتراكم الرأسمالى يتجلى فى تردى اوضاع الكادحين النسبى والمطلق . ان تردى وضع الطبقة العاملة النسبى ينعكس فى انخفاض نصيب العمال فى الدخل الوطنى (فى القيمة المنتوجة حديثا على صعيد الاقتصاد الوطنى كله) . وهذا ما يشترطه ارتفاع درجة الاستثمار ، وازدياد معدل القيمة الزائدة . ثم ان نصيب العمال اى مجمل الاجور المدفوعة لهم ، ينخفض كذلك فى المنتوج الاجتماعى الاجمالى الذى يمثل المنتوج المادى الذى ينتجه المجتمع فى سنة واحدة . مثلا ، فى الولايات المتحدة الاميركية يبلغ نصيب العمال فى الوقت الحاضر زهاء ٤٠ بالمئة من الدخل الوطنى بينما

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد **٢٣** ، ص **٦٥٩** .

كان منذ خمسين سنة ٥٤ بالمئة . وفى فرنسا ، كانت اجور العمال والمستخدمين قبل الحرب العالمية الثانية تبلغ ٥٠ بالمئة من مجمل المنتوج حديثا ، بينما انخفض الآن الى ٣٤ بالمئة .

ان **تردى اوضاع الشغيلة المطلق** انما هو تردى ظروف حياتهم وعملهم . وهو ينعكس فى انخفاض مستوى حياة الشغيلة ، وفى ظروفهم السكنية الرديئة ، وفى الامكانيات المحدودة للغاية من اجل تلبية الحاجات الاولية الى الالبسة والى اشياء الاستعمال المنزلى . وفى العالم الرأسمالى ، كما تفيد معطيات هيئة الامم المتحدة ، يوجد زهاء ٨٠٠ مليون شخص إما يجوعون واما يأكلون بانتظام ما لا يسد رمقا . كل سنة يموت زهاء ٤٠ مليون شخص جوعا . وشدة العمل الخارقة تتسبب بتزايد الاصابات والطوارئ ومختلف الامراض المهنية . وتعيش عائلات عمالية كثيرة فى انشاءات غير مكيفة للسكن ، فى اكواخ المدن .

يتميز العالم الرأسمالى بتفاقم انعدام التناسب بين مستوى الحاجات المرتفع ومستوى الاستهلاك

الفعلى للخيرات الحياتية من قبل الشغيلة . ورغم ارتفاع الاجور ومستوى الاستهلاك ارتفاعا معينا فى سياق نضال البروليتاريا الطبقى ، لا يزال مستوى حياة الاغلبية من الشغيلة ادنى من الحد الادنى الحيوى المقرر رسميا .

ان فعل القانون العام للتراكم الرأسمالى يستتبع استفحال التناحر بين العمل والرأسمال ، الامر الذى يؤدى حتما الى انهيار الرأسمالية بالسبيل الثورى . وفى الوقت الحاضر يوجد فى العالم الرأسمالى ميلان متضادان : أ ـــ الميل الاساسى الى تردى اوضاع الطبقة العاملة الناجم عن عملية تراكم الرأسمال ذاتها ؛ ب ـــ الميل المضاد للميل الاول والناجم عن القوى الاجتماعيـــة المتنامية فى داخل النظام الرأسمالى ، وهو يتجلى فى تعاظم تنظيم ووعى الطبقة العاملة وحلفائها . وقد اخذت الطبقة العاملة تدرك اكثر فاكثر ان سبيل القضاء الثورى على الرأسمالية هو السبيل الوحيد للخلاص من الاستثمار والحرمان من الحقوق .

النظرية اللينينية عن الامبريالية . فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، دخلت الرأسمالية مرحلة الامبريالية . وقد كان لينين اول من اعطى فى مؤلفه «الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية» (سنة ١٩١٦) تحليلا ماركسيا لهذه الدرجة من تطور الرأسمالية . وقد كشف جوهر الامبريالية الاقتصادى والسياسى ، وابان عيوبها وقروحها التى لا شفاء لها ، وعرض شروط وظروف هلاكها الذى لا مناص منه . وقد جاءت دراسة لينين للامبريالية مواصلة مباشرة لمؤلف كارل ماركس «رأس المال» . وبذلك اغنى لينين العلم الماركسى . وان مذهبه عن الامبريالية والثورة الاشتراكية يشكل مرحلة جديدة فى تطور اقتصاد البروليتاريا السياسى . كذلك لقيت نظرية لينين عن الامبريالية التطوير المتواصل فى وثائق الحزب الشيوعى السوفييتى ، والاحزاب الماركسية اللينينية الشقيقة ، ومؤتمرات ممثلى الاحزاب الشيوعية والعمالية .

وقد بيّن لينين ان الامبريالية ليست تشكيلة اجتماعية اقتصادية جديدة ما ، بل هى الرأسمالية ذاتها ، وان لها القوانين الاقتصادية ذاتها والاساس ذاته — هو الملكية الرأسمالية لوسائل الانتاج ، وعلاقات الانتاج الرأسمالية . وهى لم تغير جوهرها . ويبقى انتاج القيمة الزائدة واستملاكها من قبل الرأسماليين ، واستثمار العمل المأجور من قبل الرأسمال قانونها الاساسى . ولهذا تبقى جميع القوانين والسمات والعلائم التى تلازم الرأسمالية وتحددها هى هى فى عهد الامبريالية ايضا .

ولكن الامبريالية تتميز بسمات وعلائم خاصة . وعلائمها الاقتصادية الاساسية هى التالية :

١ — تمركز الانتاج والرأسمال تمركزا يبلغ درجة عالية من التطور بحيث يخلق الاحتكار الذى يضطلع بالدور الحاسم فى الحياة الاقتصادية ؛

٢ — اندماج الرأسمال المصرفى فى الرأسمال الصناعى ونشوء الرأسمال المالى والطغمة المالية على هذا الاساس ؛

٣ — تصدير الرأسمال ، خلافا لتصدير البضائع ، يكتسب اهمية كبيرة جدا ؛
٤ — تتشكل اتحادات احتكارية عالمية بين الرأسماليين تتقاسم العالم ؛
٥ — انتهى التقسيم الاقليمى للعالم بين كبريات الدول الرأسمالية .

تمركز الانتاج والرأسمال . منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر بدأت تغيرات جوهرية فى قاعدة الانتاج التكنيكية دفعت الرأسمالية الى درجة جديدة فى تطورها . فبتأثير التقدم العلمى والتكنيكى نمت فروع الانتاج الصناعى بسرعة . ففى صناعة التعدين ، مثلا ، بدأ تطبيق اساليب جديدة لصهر الفولاذ . وانتشرت انواع جديدة من المحركات ، بينها محركات الاحتراق الداخلى ، والتوربينات البخارية ، والمحركات الكهربائية . وتطورت فروع صناعية جديدة (صناعة البترول ، الصناعة الكيماوية ، صناعة المعدات الكهربائية) . وظهرت وسائط جديدة للنقل والمواصلات . وطرأت تطورات تكنيكية وبنيوية

كبيرة فى الصناعة ، الامر الذى اسفر عن تعاظم اهمية المؤسسات الانتاجية الضخمة . وتغيرت شروط وظروف المزاحمة بين المؤسسات الرأسمالية . واحرز الغلبة ارباب العمل الكبار والكبار جدا ، وحل الخراب بالصناعيين الصغار والمتوسطين . وأسرع فأسرع اخذت تنشب وتتكاثر ازمات فيض الانتاج الاقتصادية ، كما اخذ عدد العاطلين عن العمل يتزايد اكثر فاكثر . ثم ان المزاحمة المدمرة ادت حتما الى تعزيز تمركز الانتاج اى الى تمركز مقادير اكبر فاكبر من وسائل الانتاج ، والايدى العاملة ، والمنتوجات فى المؤسسات الاحتكارية الرأسمالية الضخمة والضخمة جدا .

ما هو الاحتكار ؟ انه تمركز قسم كبير من انتاج وتصريف هذا المنتوج او ذاك فى يد رأسمالى كبير (او اتحاد من الرأسماليين) بغية جنى اعلى ما يمكن من الارباح .

تتخذ الاحتكارات اشكالا مختلفة ، اهمها الكارتل ، السنديكات ، التروست ، الكونسورسيوم . فى اواسط السبعينيات كان زهاء ٣٥٠ من كبريات الاحتكارات تشكل ٠,٠٠٢ بالمئة فقط من

مجمل عدد الشركات فى العالم الرأسمالى وتركز ثلثى الايدى العاملة وقرابة ٧٠ بالمئة من الرساميل والارباح .

ولكن سيادة الاحتكارات لا تؤدى الى القضاء كليا على المزاحمة ، ولا تفعل غير ان تحد من حريتها ، باعثة نزاعات حادة جدا . وتخوض الاحتكارات صراع المزاحمة من اجل الحصول على الربح الزائد الاحتكارى . ان مقدار ارباح الاتحادات الاحتكارية يوازى على العموم مثلى او ثلاثة امثال مقدار ارباح المؤسسات غير الاحتكارية . وان السعر العالى احتكاريا للبضائع التى تنتجها الاحتكارات هو عامل مهم من عوامل ابتزاز هذا الربح الزائد .

الرأسمال المالى وتصدير الرساميل . ان تمركز الانتاج وتشكل الاحتكارات فى الصناعة قد اسفرا حتما عن ظهور الاحتكارات المصرفية ، وعن ظهور الرأسمال المالى . ان الرأسمال المالى انما هو الرأسمال الصناعى الاحتكارى الملتحم مع الرأسمال المصرفى الاحتكارى . وقد كتب

لينين : «تمركز الانتاج ؛ الاحتكارات الناشئة عن هذا التمركز ؛ اندماج او اقتران البنوك والصناعة ـــ هذا هو تاريخ نشوء الرأسمال المالى وفحوى هذا المفهوم» * .

ان الرأسمال المالى يتركز فى يد الاوليغاركية (الطغمة) المالية اى فى يد الاوساط العليا الضئيلة التعداد من البرجوازية ، والسائدة على جميع فروع الاقتصاد والمضطلعة بدور مهم فى الاقتصاد والسياسة .

ان اندماج الرأسمال المصرفى والرأسمال الصناعى قد ادى الى نشوء اتحادات عملاقة اخذ يضيق بها المجال فى بلدانها اى ان التناقض بين نمو الرساميل وامكانيات توظيفها الرابح فى داخل البلد اخذ يتفاقم اكثر فاكثر . فبدأ تصدير الرساميل الى بلدان اخرى ، وكقاعدة الى البلدان الضعيفة التطور من الناحية الاقتصادية . وهناك تنشأ المؤسسات «البنات» لكبريـــات

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ٣٤٤ .

الاتحادات الاحتكارية ، ويبدأ نهب الثروات الطبيعية فى هذه البلدان ، واستثمار الايدى العاملة الرخيصة فيها .

كتب لينين : «وما ظلت الرأسمالية رأسمالية ، لا يوجه فيض الرأسمال الى رفع مستوى معيشة الجماهير فى بلاد معينة ، لأن ذلك يسفر عن تخفيض ارباح الرأسماليين ، بل يوجه الى رفع الارباح عن طريق تصدير الرأسمال الى الخارج ، الى البلدان المتأخرة» * .

وهكذا يكون تصدير الرأسمال طفيلية مزدوجة ، فان فائض الرأسمال لا يستعمل فى صالح الجماهير الكادحة فى داخل البلد . والرأسمال المصدر الى الخارج ، وبخاصة الى البلدان الضعيفة التطور من الناحية الاقتصادية ، يشكل وسيلة لاستثمار هذه البلدان ، ويكبح تطورها المستقل .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ٣٦٠ .

تقاسم العالم اقتصاديا واقليميا . على اساس تصدير الرأسمال تتشكل اتحادات احتكارية عالمية . الاحتكارات العالمية هى احتكارات كبيرة جدا تعمل على صعيد مناطق برمتها او فى عموم العالم الرأسمالى . والشركات المتخطية للحدود الوطنية (corporations transnationales — الشركات عبر الوطنية) هى الشكل الاوسع انتشارا بين اشكال الاحتكارات فى الوقت الحاضر . وهذه الشركات تتوفر لها امكانية شغل مواقع افيد بكثير فى ميدان المزاحمة ، وتنظيم التخصص والتعاون فى الانتاج على الصعيد العالمى ، وابتزاز ارباح اضافية من مختلف العمليات العالمية ، واحتكار المستحدثات التكنيكية والخ . .

الا ان تقاسم العالم اقتصاديا لا يزيل الصراع بين الاحتكارات من اجل اسواق التصريف ومناطق النفوذ وتصدير الرساميل . ويشتد الصراع بين الدول الامبريالية من اجل تقاسم العالم اقليميا .

ان تقاسم العالم اقتصاديا واقليميا فى عهد

الامبريالية قد ادى حتما الى نشوء امبراطوريات استعمارية قائمة على استثمار شعوب البلدان المستعمرة والتابعة استثمارا لا هوادة فيه من قبل المتروبولات (البلدان الاستعمارية) . ولقد كان نظام الرأسمالية الاحتكارية الاستعمارى اضخم نظام للعبودية الاستعمارية وشمل اغلبية شعوب الكرة الارضية ، وجمع الاستثمار القائم على الاكراه المباشر مع اشكال الاستعباد الاقتصادى .

وجاءت ثورات التحرر الوطنى تدمر نظام الامبريالية الاستعمارى فى شكله الكلاسيكى . وفى السبعينيات انتهت عملية تصفية الامبراطوريات الاستعمارية . وفى الوقت الحاضر يعيش فى المستعمرات ٠,٣ بالمئة من سكان العالم اجمع ، وتبلغ مساحة هذه المستعمرات ٠,٧ بالمئة من اراضى العالم او زهاء مليون كيلومتر مربع . ولكن الاستعمار الجديد حل محل الاستعمار القديم . فان الكثير من البلدان المتحررة تخضع للسيادة الاقتصادية للاحتكارات العالمية .

مكان الامبريالية فى التاريخ . ان الوصف

اللينينى للمرحلة الاحتكارية من الرأسمالية لا يقتصر على تحليل علائمها الاقتصادية الاساسية ، بل يشمل كذلك تعريف مكان الامبريالية فى التاريخ ، ومفاده ان الامبريالية هى اعلى وآخر مراحل الرأسمالية . ان مذهب لينين بصدد مكان الامبريالية التاريخى انما هو مواصلـــة وتطوير لمذهب ماركس بصدد حتمية انهيار وزوال الرأسمالية بالسبيل الثورى .

وقد اشار لينين الى تفاقم جميع تناقضات اسلوب الانتاج الرأسمالى اقصى التفاقم فى عهد الامبريالية واوضح ان الامبريالية هى مرحلة تاريخية خاصة من مراحل الرأسمالية . وهذه الخصوصية ثلاثية ؛ فان الامبريالية هى : ١ ــ الرأسمالية الاحتكارية ؛ ٢ ــ الرأسمالية الطفيلية او المتعفنة ؛ ٣ ــ الرأسمالية المحتضرة . ان طفيلية او تعفن الرأسمالية ينجمان من جوهر الامبريالية ذاته ، من سيطرة الاحتكارات ، من نير الطغمة المالية . ان تعفن الرأسمالية يعنى ان علاقات الانتاج الرأسمالية قد تحولت من عامل لتطور القوى المنتجة الى كابح كبير

جدا للتقدم الاجتماعى .

ان الامبريالية تدفع تناقضات الرأسمالية الى اقصى الحدود . تتفاقم التناقضات القديمة الملازمة لكل عهد الرأسمالية تفاقما حادا . وفى الوقت نفسه تنشأ وتتفاقم تناقضات جديدة . ويتعمق فى المقام الاول التناقض الاساسى فى الرأسمالية — التناقض بين صفة الانتاج الاجتماعية والشكل الرأسمالى الخاص للاستملاك .

ان تعمق التناقض الاساسى يستتبع تفاقم الصراع بين العمل والرأسمال . فان الرأسمال المالى يشدد استثمار العمال ، بفرض اسعار عالية احتكاريا على سلع الاستهلاك ، وزيادة الفرق بين قيمة قوة العمل والاجرة . اما الرد على اشتداد الاستثمار ، فهو تعاظم نضال البروليتارى الثورى ، ونمو الحركة الاضرابية نموا كبيرا . وتناضل الطبقة العاملة فى الميدانين الاقتصادى والسياسى .

والى اقصى الحدود لا يتفاقم التناقض بين البرجوازية والبروليتاريا وحسب ، بل تصطدم الامبريالية كذلك بالمصالح الحيوية للنـــاس

ولمختلف الفئات الاجتماعية والامم والبلدان .
وضد الامبريالية تنهض جماهير اوسع فأوسع من الشغيلة ، والحركات الاجتماعية ، وشعوب برمتها ؛ الامر الذى يوفر الظروف لاجل توحيد جميع القوى الديموقراطية تحت قيادة الطبقة العاملة ، فى سيل واحد مناهض للاحتكارات .

وتتفاقم التناقضات بين البلدان الامبريالية والبلدان التى تحررت من التبعية الاستعمارية فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، وتتعاظم المقاومة فى وجه الاستعمار الجديد .

ونتيجة لتصادم مصالح الاحتكارات ، تتفاقم التناقضات بين الدول الامبريالية تفاقما حادا . ويؤدى الصراع الضارى بينها الى ضعف الامبريالية ، الى تصدع اسسها .

هذه هى التناقضات الرئيسية التى تحول الامبريالية الى رأسمالية محتضرة . ولكن هذا لا يعنى انه يمكن ان تموت من تلقاء ذاتها ، بدون الثورة الاشتراكية . وبتأزيم وتشديد جميع تناقضات الرأسمالية الى اقصى حد ، تدفع الرأسمالية الاحتكارية البروليتاريا الى الثورة

الاشتراكية وتجعل هذه الثورة امرا محتما لا مناص منه عمليا .

قانون تفاوت التطور الاقتصادى والسياسى .

ان تطور مختلف المؤسسات ، ومختلف فروع الصناعة ، ومختلف البلدان تطورا متفاوتا ، غير منتظم ، قد لازم الرأسمالية على الدوام . ان تفاوت التطور (عدم انتظامه) هو نتيجة للمزاحمة ولفوضى الانتاج الرأسمالى . ولكن الرأسمالية تطورت فى مرحلتها ما قبل الاحتكارية بصورة سلسة الى حد ما ، بدون قفزات وهزات حادة . وآنذاك كانت لا تزال توجد فى الكرة الارضية كثرة من الاراضى الحرة التى لمّا تتقاسمها الدول الرأسمالية فيما بينها . وكان بوسع الرأسمالية ان تتطور سعة ؛ ولم تكن مصالح مختلف البلدان الرأسمالية تتصادم بحدة . وكانت بعض البلدان لا تسبق بعضها الآخر الا فى سياق زمن مديد .

وتغير الحال فى ظل الامبريالية . فان تطور العلم والتكنيك تطورا سريعا ونمو الرساميل فى ايدى الاحتكارات قد اتاحا للبلدان الامبريالية

ان تسبق بعضها بعضا فى آجال قصيرة نسبيا . فان البلدان التى انخرطت بعد غيرها فى طريق التطور الرأسمالى ولكن التى استغلت التكنيك الطليعى وطرائق للانتاج اكثر تقدما قد اندفعت بسرعة الى الامام . واتخذ تفاوت التطور شكل القفزات .

وقد تكونت ثلاثة مراكز اساسية للتنافس بين الامبرياليين هى الولايات المتحدة الاميركية ، واوروبا الغربية ، واليابان . وبينها تشتد المزاحمة على اسواق التصريف ومناطق توظيف الرساميل ومصادر الخامات ، وعلى التفوق فى ميادين التقدم العلمى والتكنيكى الحاسمة .

ومع تفاوت التطور الاقتصادى فى البلدان الرأسمالية يرتبط بوثوق فى عهد الامبريالية تفاوت تطورها السياسى اى تطور التناقضات السياسية ونضال البروليتاريا الثورى فى مختلف بلدان العالم الرأسمالى . وتنضج الظروف لاجل الثورة الاشتراكية البروليتارية ، لاجل شق النظام الرأسمالى العالمى فى اضعف حلقاته .

وبموجب قانون تفاوت التطور الاقتصادى

والسياسى فى عهد الامبريالية ، خلص لينين الى القول بامكان انتصار الاشتراكية بادئ بدء فى بعض البلدان الرأسمالية او حتى فى بلد رأسمالى واحد بمفرده . وهذا البلد كانته روسيا التى اكدت بثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى سنة ١٩١٧ صحة الاستنتاج العبقرى الذى خلص اليه لينين .

الازمة العامة للرأسمالية . تشمل الازمة العامة للرأسمالية كل نظام الرأسمالية ، جميع جوانبه : الاقتصاد ، السياسة ، الايديولوجيا ، الثقافة . ان عهد الازمة العامة للرأسمالية يشغل مرحلة تاريخية مديدة ، بدأت فى سياقها عملية لا عودة عنها ، عملية دك الرأسمالية بالسبيل الثورى ، عملية «افلاس الرأسمالية بكل ابعادها وولادة المجتمع الاشتراكى» * .

وقد مرت الازمة العامة للرأسمالية فى تطورها

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ٤٨ .

بمرحلتين ؛ وهى الآن فى مرحلتها الثالثة .

ان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) وانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى سنة ١٩١٧ فى روسيا قد دشنا المرحلة الاولى من الازمة العامة للرأسمالية . فان شغيلة روسيا ، بقيادة حزب الشيوعيين وعلى رأسه لينين ، قد قضوا آنذاك على الرأسمالية فى سدس الكرة الارضية واقاموا سلطتهم وشرعوا فى بناء الاشتراكية . وحل عهد جديد فى تاريخ البشرية يشكل الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية مضمونه الاساسى .

اما المرحلة الثانية من الازمة العامة للرأسمالية ، فقد وقعت فى مجرى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) والتحويلات الاشتراكية فى عدد من بلدان اوروبا وآسيا شكلت فيما بعد نظام الاشتراكية العالمى . وهذه المرحلة تتميز كذلك بتفاقم ازمة النظام الاستعمارى وبداية انهياره .

منذ النصف الثانى من الخمسينيات بدأت المرحلة الثالثة من الازمة العامة للرأسمالية ولا

تزال قائمة فى الوقت الحاضر . وتتميز هذه المرحلة بكونها لا ترتبط بحرب عالمية وبكونها تجرى فى ظل المباراة السلمية بين الرأسمالية والاشتراكية .

ان السمات الاساسية التى تتسم بها الازمة العامة للرأسمالية هى التالية :

انقسام العالم الى نظامين اجتماعيين اقتصاديين متضادين — النظام الاشتراكى والنظام الرأسمالى — والنضال بينهما ؛

ازمة نظام الامبريالية الاستعمارى التى ادت الى تفسخه وانهياره كليا ؛

تفاقم تناقضات الرأسمالية ، سواء منها الداخلية ام بين الدول الامبريالية ، واشتداد عدم الاستقرار الاقتصادى ، وتفاقم التعفن ؛

تعمق ازمة السياسة البرجوازية والايديولوجيا البرجوازية ، وفقدان الامبريالية للسيادة بلا منازع على اغلبية البشرية ، وتقلص مجال الاستثمار الرأسمالى .

وفى الظروف الراهنة تتبدى السمات الاساسية للازمة العامة للرأسمالية ، اولا ، فى كون

النظام الاشتراكى العالمى قد صار العامل الحاسم فى تطور المجتمع البشرى . فان تأثير الاشتراكية الفعلية يصبح اقوى فأقوى واعمق فأعمق . والآن تمارس تأثيرها الرئيسى فى العالم بالمنجزات الاقتصادية . والجبهة الحاسمة فى المباراة مع الرأسمالية تشمل ميدان الاقتصاد ، ميدان السياسة الاقتصادية .

ثانيا ، ان انهيار نظام الامبريالية الاستعمارى قد مارس تأثيرا كبيرا فى استمرار تعمق الازمة العامة للرأسمالية . ولكن هذا لا يعنى بعد ان الاستثمار الامبريالى للمستعمرات واشباه المستعمرات السابقة قد توقف . فان الكثير من الدول المتحررة لا تزال تتعرض الآن ايضا للاستثمار الاقتصادى والضغط السياسى من جانب المستعمرين الجدد . والمهمات التى تواجه الآن البلدان المتحررة معقدة ومتنوعة . والمقصود هنا ، توطيد الاستقلال ، والتوصل الى بناء اقتصاد وطنى مستقل ، وتذليل التأخر الموروث عن الماضى . وكل هذا يمكن بلوغه فى طريق التحالف مع البلدان الاشتراكية والحركة العمالية العالمية .

ثالثا ، اشتد تطور رأسمالية الدولة الاحتكارية ، الامر الذى لم يسفر عن تأزم جميع التناقضات السابقة الملازمة للامبريالية وحسب ، بل ايضا عن ظهور تناقضات جديدة .

ان جوهر رأسمالية الدولة الاحتكارية يتلخص فى توحيد قوة الدولة البرجوازية مع قوة الاحتكارات فى آلية واحدة لاجل تأمين الارباح الاحتكارية العليا ، وقمع الحركة العمالية ونضال التحرر الوطنى ، وتطبيق سياسة خارجية عدوانية .

ومن خصائص رأسمالية الدولة الاحتكارية قيام المحاولات بواسطتها لحل تناقضات الرأسمالية فى اطار النظام القائم اى لانقاذ النظام الرأسمالى المتعفن من الهلاك . ولهذا الغرض :

— تصبح الدولة مالكة لقسم من وسائل الانتاج ، وبخاصة ، لبعض فروع الصناعة والنقليات ؛

— تنشأ مؤسسات خاصة وتابعة للدولة فى آن واحد ؛

— تحاول الدولة ان تضبط الاقتصاد ، بتوظيف رساميل كبيرة فى مختلف فروع الانتاج ،

وفى البحوث العلمية . وتعيد الدولة توزيع الدخل الوطنى والموارد المالية فى مصلحة الاحتكارات ؛

— تطبق الدولة ما يسمى «بالاجراءات المضادة للازمة» ، وتحاول ان تضبط العلاقات بين العمل والرأسمال بغية تخفيف حدة النضال الطبقى .

وفى آلية توحيد قوة الاحتكارات وقوة الدولة ، تضطلع كبريات الجماعات المالية ، وهيئات الاحتكاريين الطبقية الخاصة بالدور الحاسم . مثلا ، ان الرابطة الصناعية الوطنية التى تضم ١٨ الف شركة فى الولايات المتحدة الاميركية هى هيئة من هذا النوع واركانها التى تتألف من عشرات من كبريات الاحتكارات صاحبة المليارات ، تتخذ القرارات التى تحدد التطور الاقتصادى والسياسى فى الولايات المتحدة الاميركية بخطوطها الكبرى

وتتجلى سمة من السمات المميزة الملازمة لرأسمالية الدولة الاحتكارية فى عسكرة الاقتصاد ، فى انشاء المركب الحربى الصناعى . ان المركب الحربى الصناعى انما هو التحالف الوثيق بين

احتكارات الصناعة الحربية والاوساط العسكرية فى جهاز الدولة . وهو يضم اصحاب المؤسسات الانتاجية الحربية ، وكبار موظفى الجيش والدولة . وينقلب سباق التسلح مطرا من الذهب على كبريات الاحتكارات . والطلبيات الحربية تعود بربح يوازى بضع مرات ربح العقود لانتاج السلع المدنية . وللمركب الحربى الصناعى مصلحة فى انتهاج سياسة العسكرة ، وسباق التسلح ، ومعاداة الانفراج الدولى .

ان رأسمالية الدولة الاحتكارية هى ظاهرة متناقضة اقصى التناقض . فان القوى المنتجة الاجتماعية العملاقة العصرية تتطلب الادارة الاجتماعية للانتاج ، وتتطلب اشكالا اجتماعية لاستملاك وتوزيع نتائج العمل . ورأسمالية الدولة الاحتكارية تقوى عملية اتسام الانتاج بالسمة الاجتماعية ، وتعزز عملية تمركز الرأسمال والانتاج . وقد بلغ انتشار الاحتكار مستوى لا سابق له : فان بعض فروع الصناعة فى الولايات المتحدة الاميركية وجمهورية المانيا الاتحادية وسائر البلدان الامبريالية محتكرة بنسبة ٦٠ — ١٠٠ بالمئة .

وبواسطة نظام رأسمالية الدولة الاحتكارية فرضت بعض الجماعات المالية فى البلدان الامبريالية رقابتها على الثروة الوطنية كلها تقريبا .

تشكل رأسمالية الدولة الاحتكارية بعض عناصر الادارة الممركزة للاقتصاد . ولكن النظام الاجتماعى البرجوازى ، مع احتفاظه بالملكية الخاصة ، يضبط عمليات الانتاج والتراكم والتداول والتوزيع ، لا فى مصلحة المجتمع كله ، بل فى مصلحة نخبته البرجوازية فقط .

ان استدالة قسم اكبر فاكبر من الدخل الوطنى ، واستعماله بصورة ممركزة ، وتدخل الدولة الاقتصادى فى عملية تجديد الانتاج الرأسمالى ، وانشاء جهاز هائل لضبط الاقتصاد ، وجميع الاجراءات الدولانية الاحتكارية لضبط الاقتصاد — كل هذه جوانب مختلفة من اتسام الانتاج بالسمة الاجتماعية على نطاق هائل وباستمرار .

وهكذا تنشأ — بل نشأت — فى احشاء الرأسمالية ، نتيجة لاتسام الانتاج بالسمة الاجتماعية فى ظل الرأسمالية بصورة لا سابق

لها ، ونتيجة لنشوء بعض عناصر تخطيط الاقتصاد الوطنى ، المقدمة المادية للاشتراكية وللاستعاضة عن علاقات الانتاج الرأسماليــة بعلاقات الانتاج الاشتراكية .

الاقتصاد السياسى للاشتراكية

ماذا يدرس الاقتصاد السياسى للاشتراكية ؟

يدرس الاقتصاد السياسى للاشتراكية علاقات الانتاج والقوانين الاقتصادية ، ومقولات اسلوب الانتاج الاشتراكى . ان الرأسمالية تتميز بتطور الانتاج تطورا عفويا ؛ اما الاشتراكية فيلازمها تسيير الانتاج تسييرا واعيا ، والضبط الاجتماعى والادارة الاجتماعية . والاقتصاد السياسى للاشتراكية يدرس الطراز الجديد من العلاقات الاقتصادية التى لا تعرف استثمار الانسان للانسان .

وقد حلل ماركس وانجلس الرأسماليـــة وتناقضاتها وشروط هلاكها تحليلا فى غاية العمق ومن جميع النواحى ، وتركا موضوعات نظرية اساسية بصدد بناء الاشتراكية والشيوعية . وفى

الظروف التاريخية الجديدة ، رسم لينين اسس الاقتصاد السياسى للاشتراكية ، وارسى اساسا نظريا متينا لهذا العلم ، واشار الى ان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية يتطلب حل مهمة مزدوجة ، عنينا بها ما يلى : لاجل النصر على الرأسمالية عموما ، يجب ، فى المقام الاول ، النصر على الاستثماريين والذود عن سلطة المستثمرين (مهمة اسقاط الاستثماريين بالقوى الثورية) ، ثم بناء علاقات اقتصادية جديدة (المهمة البناءة) .

وقد قال لينين كلمة جديدة فى الماركسية حين رسم برنامج الثورة الاشتراكية الاقتصادى ، وحدد وعلل الاتجاهات الاساسية فى السياسة الاقتصادية للدولة البروليتارية فى سياق البناء الاشتراكى . وسلط لينين النور بصورة عميقة ومن جميع النواحى على مسائل اقتصاد الاشتراكية : مسألة الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج ؛ مسألة السمات المميزة للتنظيم الاشتراكى للعمل ؛ مسألة اسس واساليب تسيير الاقتصاد الاشتراكى على صعيد المجتمع بأسره وفى مختلف المؤسسات ؛

مسألة توزيع الخيرات المادية بين الشغيلة ، وغيرها .

ان السمات الجوهرية الملازمة لعلاقات الانتاج الاشتراكية تتجلى فى القوانين الاقتصادية . ان سيادة الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج فى ظل الاشتراكية لا تزيل موضوعية القوانين الاقتصادية (اى استقلالها عن وعى الناس وارادتهم) ، ولكنها تغير طابع فعلها .

فى ظل الاشتراكية يستمر فعل بعض القوانين الاقتصادية الملازمة لجميع التشكيلات الاجتماعية الاقتصادية . وبينها ، مثلا ، قانون التطابق بين علاقات الانتاج وطابع ومستوى تطور القوى المنتجة . ولكن قوانين اقتصادية جديدة تظهر منذ انتصار الاشتراكية ومنها قانون تطور الاقتصاد الوطنى تطورا منهاجيا ومتناسبا وهو القانون الاقتصادى الاساسى للاشتراكية .

وتتميز القوانين الاقتصادية للاشراكية بخاصة جديدة نوعيا هى ان هذه القوانين فقدت طابعها العفوى . ففى ظل سيادة الملكية الاجتماعية تستعمل هذه القوانين بصورة واعية ومنهاجية على

اساس معرفتها معرفة علمية عميقة .

ان تطبيق القوانين الاقتصادية فى ظل الاشتراكية تطبيقا واعيا يتيح انتهاج سياسة اقتصادية معللة علميا ، وقيام الدولة بقيادة البناء الاقتصادى وتنظيم العمل الاجتماعى وادارة الاقتصاد الوطنى .

الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج . ان عملية نشوء وتكون الاقتصاد الاشتراكى بوصفه نظاما تنتهى بتوطيد الملكية الاشتراكية الاجتماعية لوسائل الانتاج فى جميع فروع الاقتصاد الوطنى ، بتثبيت علاقات الانتاج الاشتراكية . ان الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج لا يمكن ان تنبثق فى احشاء الرأسمالية ، بل تنشأ بعد الثورة الاشتراكية . وقد كتب لينين انه لا بد لهذا الغرض من «الثورة الاجتماعية اى القضاء على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وتحويلها الى ملكية اجتماعية . . .» *

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٦ ، ص ٢٠٤

ما هى الملكية الاشتراكية الاجتماعية ؟ انها تعنى ان وسائل الانتاج تخص جميع اعضاء المجتمع . والعام والمشترك والرئيسى فى علاقات الملكية الاجتماعية (او العامة) ، هو ان احدا لا يعارض ولا يواجه آخر كمالك شخصى . وبين اعضاء المجتمع تنشأ علاقات الاصحاب المشتركين ، المالكين المشتركين لوسائل الانتاج . ان المالك المشترك والشغيل مندمجان احدهما فى الآخر بعرى لا انفصام لها ، ولا ينفصلان احدهما عن الآخر . ومن جراء ذلك ، لا وجود فى ظل الاشتراكية لاستثمار الانسان من قبل الانسان ، ويقوم بين الناس التعاون الرفاقى ، والتعاضد والجماعية .

فى الاتحاد السوفييتى وسائر البلدان الاشتراكية تسود الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج بلا منازع . فقد جاء فى المادة ١٠ من دستور الاتحاد السوفييتى : «الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج بشكل ملكية الدولة (ملكية الشعب بأسره) وبشكل الملكية الكولخوزية التعاونية هى اساس النظام الاقتصادى للاتحاد السوفييتى» .

ان هذين الشكلين الاساسيين قد انبثقا كشكلين ضروريين موضوعيا ، ومشروطين تاريخيا واقتصاديا . ذلك ان الثورة الاشتراكية تجد فى اغلبية البلدان الرأسمالية نوعين من ملكية وسائل الانتاج : الملكية الرأسمالية الخاصة الكبيرة ، القائمة على استثمار عمل الغير ، والملكيـــة الخاصة الصغيرة القائمة على العمل الشخصى . وبنتيجة الثورة الاشتراكية فى روسيا ، صارت المؤسسات الانتاجية والمصارف ووسائط النقل ووسائط المواصلات ، والخ . ، بعد مصادرتها من المستثمرين وتأميمها ، مصدر تشكيل ملكية الشعب بأسره (ملكية الدولة ، الملكية العامة) . وقد انبثقت الملكية الكولخوزية التعاونية بنتيجة توحيد الاستثمارات الفلاحية الصغيرة ، على اسس الطوعية ، فى استثمارات جماعية كبيـــرة ، وكذلك عن طريق توحيد الحرفيين الصغار فى تعاونيات .

ان وجود الملكية الاشتراكية بشكل ملكية الشعب بأسره وبشكل الملكية الكولخوزية التعاونية يشترط انقسام المجتمع الى طبقتين متصادقتين :

الطبقة العاملة — وهى الطبقة القائدة والرائدة فى المجتمع — وطبقة الفلاحين .

الخطة اللينينية لبناء الاشتراكية . ان الخطة التى رسمها لينين لبناء الاشتراكية قد نصت على بناء القاعدة المادية والتكنيكية للاشتراكية عن طريق تصنيع البلاد ، كما نصت على تحويل الزراعة تحويلا اشتراكيا ، وعلى تحقيق الثورة الثقافية .

وقد كان التصنيع الاشتراكى الطريقة الاساسية لبناء القاعدة المادية والتكنيكية للاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى . وهو يعنى تطوير الصناعة الكبيرة فى المقام الاول ، واعادة بناء الاقتصاد الوطنى كله على اساس التكنيك الآلى الطليعى . وهو يعنى ، بتعبير آخر ، تحويل البلاد الزراعية الى بلاد متطورة صناعيا ، ويقتضى تغيير بنية الانتاج الاجتماعى بحيث تصبح الصناعة الكبيرة مع لبها — صناعة بناء الآلات — قسمه المهيمن .

ان التصنيع فى الاتحاد السوفييتى قد بنى القاعدة المادية الضرورية لاجل توطيد استقلال البلاد الاقتصادى ، ولاجل اعادة تجهيز جميع

فروع الاقتصاد الوطنى على الصعيد التكنيكى ، ولاجل نقل الزراعة الى طريق الاشتراكية . وقد وطد التصنيع الاشتراكى الملكية الاجتماعية فى فروع الاقتصاد الاساسية ، وأمن زحزحة واقصاء العناصر الرأسمالية فى المدينة ، وانتصار النموذج الاشتراكى فى الصناعة ، ونمو الطبقة العاملة ، واسهم فى توطيد دورها القيادى فى المجتمع ، كما اسهم فى توطيد قدرة البلد الدفاعية . وفى اجل تاريخى قصير للغاية ، وبدون اية مساعدة من الخارج ، بنى الاتحاد السوفييتى صناعة عصرية كبيرة ، وصار دولة صناعية جبارة ، واحرز الاستقلال الاقتصادى التام عن البلدان الرأسمالية .

كذلك كان تحويل الزراعة على اسس الاشتراكية حلقة مهمة للغاية فى بناء الاشتراكية . وقد طور لينين فى مؤلفه «عن التعاون» (١٩٢٣) وغيره من مؤلفاته برنامجا متناسقا لاعادة بناء الزراعة على اسس الاشتراكية ، وبين ان نقل الاستثمارات الاحادية الصغيرة الى الانتاج الاشتراكى الكبير يتطلب التعاون الانتاجى بين

الفلاحين . وقد حالف النجاح تطبيق هذه الخطة اللينينية .

ان اشاعة الجماعية بصورة شاملة فى زراعة الاتحاد السوفييتى قد عنت تحطيم النظام الاجتماعى القديم فى الريف من جذوره ، وتحويل الاستثمارة الفلاحية القائمة طوال قرون على الملكية الخاصة ، والقضاء على جذور الرأسمالية فى الريف . وبنتيجة نشر الجماعية ، صفيت علاقات الانتاج البرجوازية الصغيرة فى الريف واستعيض عنها بعلاقات انتاج جديدة ، اشتراكية . وحلت الجماعية ثلاث مهمات جذرية من مهام البناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى . اولا ، صفت الطبقة الاستثمارية الاكثر تعدادا فى البلاد ، طبقة الكولاك (الفلاحين الاغنياء الذين يستثمرون عمل الغير) . ثانيا ، نقلت طبقة الفلاحين من طريق الاستثمارة الاحادية الى طريق الاستثمارة الاشتراكية . ثالثا ، اعطت السلطة السوفييتية قاعدة اشتراكية فى اوسع فروع الاقتصاد الوطنى واشدها حيوية ، ولكن اشدها تأخرا ، فى الوقت نفسه ، عنينا بذلك الزراعة .

ان بناء المجتمع الاشتراكى يقتضى رفع مستوى الثقافة عند اوسع الجماهير الشعبية ، اى القيام بالثورة الثقافية . وهذا يعنى فى المقام الاول محو الامية الجماهيرية وضعف تعليم السكان الموروثين عن النظام الماضى ؛ واعداد العمال الأكفاء اعدادا واسعا ؛ وانشاء ملاكات من المثقفين الاشتراكيين على نطاق واسع ؛ وتطوير العلم وتعزيز روابطه بالانتاج ؛ وتربية الشغيلة فكريا وسياسيا واخلاقيا .

فى روسيا القيصرية كان الاميون يشكلون ثلاثة ارباع السكان . وكانت شعوب كثيرة فى الاطراف القومية امية كليا تقريبا . وقد كتب لينين : «ولم يبق اى بلد متوحش جماهير شعبه مسلوبة الى هذا الحد على صعيد التعليم والنور والمعرفة ، لم يبق فى اوروبا اى بلد كهذا سوى روسيا» * . وقد حولت الثورة الثقافية البلاد السوفييتية ، وانتشلت الطبقات الكادحة من براثن

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٣ ، ص ١٢٧

العبودية الروحية والظلام ، واطلعتها على كنوز الثقافة التى كدستها البشرية . وانطلق الاتحاد السوفييتى انطلاقة عملاقة الى ذرى العلم والتكنيك والثقافة .

وقد طبقت النظرية اللينينية عن بناء الاشتراكية تطبيقا كليا فى الواقع العملى . وفى النصف الثانى من الثلاثينيات بنى المجتمع الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى من حيث الاساس . وغدت الاشتراكية حقيقة واقعة ، وانتصرت مبادؤها .

فى ظل الاشتراكية ، لا يمكن لاى امرئ او لاى فريق اجتماعى ان يستثمر الآخرين . ولا يمكن لاحد ان يعيش على حساب الآخرين ، ويجب على الجميع ان يشتغلوا . ان عمومية العمل وتأمين الحق الفعلى فى العمل مضمونان لكل من اعضاء المجتمع . ان الطبيعة الاقتصادية للاشتراكية تجعل العمل ضرورة وواجبا بالنسبة لكل مواطن قادر على العمل . ناهيك بان العمل رفيع المكانة ، وهو الذى يقرر وضع الانسان فى المجتمع . وقد جاء فى دستور الاتحاد السوفييتى : «يحدد العمل النافع

اجتماعيا ونتائجه وضع الانسان فى المجتمع» (المادة ١٤) .

القانون الاقتصادى الاساسى للاشتراكية .

فى ظل الاشتراكية الفعلية يفعل فعله القانون الاقتصادى الاساسى للاشتراكية الذى يتلخص جوهره فى تأمين الرفاه التام والتطور الحر من جميع النواحى لجميع اعضاء المجتمع على اساس انماء وترقية الانتاج الاجتماعى بلا انقطاع .

وقد قال لينين : «ان الاشتراكية وحدها هى التى ستتيح نشر الانتاج الاجتماعى على نطاق واسع ، كما ستتيح فعلا اخضاع الانتاج الاجتماعى وتوزيع المنتجات وفقا لاعتبارات علمية تهدف الى تأمين اسهل حياة لجميع الشغيلة وتوفر لهم امكانية الرفاه . والاشتراكية وحدها هى التى تستطيع ان تحقق هذا . ونحن نعرف انه لا بد لها ان تحققه ، وفى ادراك هذه الحقيقة تكمن كل صعوبة الماركسية وكل قوتها» * .

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ٣٨١

تقتضى الاشتراكية تلبية حاجات النـــاس المادية والثقافية اكثر فاكثر . والمقصود هنـــا الحاجات التى تتوافق ، اولا ، مع مستوى انتاجية العمل والتى لا تشوه تلبيتها الانسان ، ثانيا ، بل تسهم ، بالعكس فى تطور الفرد تطورا متناسقا ، من جميع النواحى . والمقصود هنا الاستخدام الكامل (او العمالة الكاملة) ، والضمان المادى ، وروح الجماعية والتعاضـــد الرفاقى ، وشعور المرء بانه سيد البلاد .

فى ظل الاشتراكية يتبدى ببالغ الدقة والوضوح الميل التالى : بقدر ما تلبى الحاجات المادية (الحاجات الى الغذاء واللباس والمسكن) ، تنمو هذه الحاجات ، كما تزداد متطلبات الانسان الروحية والاجتماعية بكل حدة . والحاجات الروحية ترتبط بالحصول على التعليم الشامل ، والاطلاع على منجزات الثقافة العالمية والفن العالمى ، والاشتراك الفعال فى النشاط الخلاق .

وفى ارتفاع مستوى رفاهية الشعب السوفييتى ، تضطلع صناديق الاستهلاك الاجتماعية بدور متعاظم ابدا . والى جانب دفع الاجور حسب

العمل ، تستعمل هذه الصناديق لتلبية حاجات المواطنين . فمن الصناديق الاجتماعية يتحقق التعليم المجانى ، والخدمة الطبية المجانية ، وتدفع اجازات الشغيلة . ومن هذه الصناديق تقدم للمواطنين خدمات مسهلة . ففى الاتحاد السوفييتى ، مثلا ، تؤمن الصناديق الاجتماعية ٨٠ بالمئة من نفقات اعالة الاطفال فى المؤسسات ما قبل المدرسة ، والقسم الاساسى من نفقات صيانة المساكن ، وقسما من قيمة البطاقات الى مصحات ودور الراحة .

وفى الاتحاد السوفييتى اقيم نظام واحد للتأمين المعاشى . فان المعاشات تدفع من صناديق الاستهلاك الاجتماعية اى على حساب الدولة والكولخوزات . وسن التقاعد فى الاتحاد السوفييتى ادنى مما فى اغلبية البلدان : ٦٠ سنة للرجال ، و٥٥ سنة للنساء . والخدمات الطبية مجانية ، وتحظى الامومة والطفولة بالحماية .

ان القانون الاقتصادى الاساسى للاشتراكية انما هو قانون حركة الانتاج الاجتماعى ؛ ونمو الاستهلاك الشعبى هو القوة المحركة للاشتراكية ؛

وتطوير الانتاج وترقيَته هما الوسيلة لبلوغ الهدف ؛ والمنهاجية على الصعيد الاجتماعى هى شكل الحركة .

قانون تطور الاقتصاد تطورا منهاجيا ، متناسبا . التخطيط . ان سيادة الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج ، وتوحيد المؤسسات والفروع الانتاجية العديدة فى آلية واحدة متكاملة يؤمنان الامكانية والضرورة الموضوعية لمراقبة القوى المنتجة وعلاقات الانتاج فى ظل الاشتراكية مراقبة واعية ولتوجيه تطورها توجيها واعيا . ان تطوير الاقتصاد الوطنى تطويرا منهاجيا ، متناسبا ، هو قانون اقتصادى من قوانين الاشتراكية . وهو يقتضى الضبط المتناسب والمنهاجى والمراقبة الاجتماعية على الانتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك فى عموم المجتمع .

يتسم التخطيط فى ظل الاشتراكية بطابع عام . وهو عبارة عن نشاط ملموس تقوم به الدولة الاشتراكية والجماهير الكادحة ، ويرمى الى تأمين تطور الاقتصاد تطورا منهاجيا ، ويتجلى

فى وضع خطة الدولة للتطوير الاقتصـــادى والاجتماعى . وتوضع خطط الدولة مع مراعاة مبدأ الفروع والمبدأ الاقليمى ، ومبدأ الجمع بين الادارة المركزية والاستقلالية والمبادرة الاقتصادية للمؤسسات الانتاجية . ان الخطة انما هى موديل حالة المجتمع المقبلة ، وهى وثيقة تتضمن المعطيات الاساسية عن التطوير الاقتصـــادى والاجتماعى . كذلك تحتوى الخطة نسب التطوير واتجاهاته ووتائره ، وتشمل مجمل المهمات الملموسة التى يمكن ويجب تنفيذها .

ان خطة التطوير الاقتصادى والاجتماعى انما هى مجمل المؤشرات والاجراءات لتطوير الانتاج الاجتماعى بمجمله وبمختلف اقسامه المكونة . والمقصود من التخطيط المعلل علميا تأمين تنظيم وتنسيق نشاط المجتمع الاقتصادى المشترك وفقا لمهمات البناء الاشتراكى ؛ ورسم اجراءات ملموسة لاجل التطوير الاجتمـــاعى والاقتصادى للمرحلة التى تشملها الخطة ؛ وفرض الرقابة الدائمة على تنفيذ القرارات المتخذة .

ان استفادة المجتمع الواعية من قانون تطور

الاقتصاد الوطنى تطورا منهاجيا ، متناسبا ، هى تعبير عن دور الدولة الاشتراكية الفعال فـــى الاقتصاد . فان الدولة تحدد ، انطلاقا من توجيهات الحزب ، برامج تطوير الاقتصاد لمدة طويلة الى هذا الحد او ذاك ، وترسم خططا بعيدة المدى لتطوير الاقتصاد الوطنى .

السياسة الاقتصادية للحزب الشيوعى السوفييتى . ستراتيجيتها وتكتيكها . تضبط السياسة الاقتصادية للحزب الشيوعى السوفييتى العلاقات بين الطبقات ، بين الفئات الاجتماعية ، بين الامم ، فى مجال حياة المجتمع الاقتصادية . وقد اشار لينين غير مرة الى ان السياسة الاقتصادية تكتســـــــب بالنسبة للحزب «اهمية استثنائية تماما» ، وان البناء الاقتصادى انما هو «سياستنا الرئيسية» ، و«افيد سياسة بالنسبة لنا» * .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٣ ، ص ٣٤١ ؛ المجلد ٤١ ، ص ٤٠٧ ؛ المجلد ٤٣ ، ص ٣٣٠ .

فى مرحلة ترقية الاشتراكية المتطورة ، يتعاظم الى ما لا قياس له دور السياسة الاقتصادية للحزب الشيوعى السوفييتى فى تطوير الانتاج المادى باطراد ، وتكتسب ستراتيجية وتكتيك التطوير الاقتصادى اهمية خاصة .

ان الستراتيجية ترسم وتحدد الاهداف البعيدة المدى والاتجاهات الاساسية فى النشاط السياسى الذى سيبذله الحزب خلال مرحلة تاريخية كبيرة . والمقصود بالستراتيجية الاقتصادية نهج بعيد المدى فى السياسة الاقتصادية محسوب لمرحلة مديدة ويستهدف بلوغ نتائج نهائية كبيرة الابعاد . ففى الوقت الحاضر ، مثلا ، حدد الحزب الشيوعى السوفييتى ستراتيجية بعيدة المدى غايتها ترقية الاشتراكية ، وتسريع تنمية البلد فى الحقل الاجتماعى والاقتصادى ، بحيث تكشف الاشتراكية مزاياها وافضلياتها ، وامكانياتها البناءة ، بصورة اكمل فأكمل ، وبحيث يعيش الشغيلة بصورة افضل فأفضل ، وبحيث يلبون حاجاتهم بصورة اكمل فأكمل .

وعلى هدى الستراتيجية الاقتصادية ، يرسم

الحزب اصوب تكتيك ؛ وهذا يعنى الاختيار الواعى «لوسائل واساليب وطرائق من اجل النضال بمقدورها ان تعطى أكبر قدر من النتائج واشدها ثباتا بانفاق اقل قدر من القوى» * .

ان التكتيك هو مجمل التدابير التى يطبقها الحزب فى هذه المرحلة او تلك من العهد التاريخى المعنى . وهو ينبع من الستراتيجية ويخضع لها ويأخذ بالحسبان ظروف التطور الملموسة . ومهمات الحزب التكتيكية فى ميدان الاقتصاد تتلخص فى ضمان نمو فعاليته باستمرار ، والتركيز اساسا على رفع مستوى الادارة ، وتسريع التقدم العلمى والتكنيكى ، وتكثيف الاقتصاد الوطنى كله .

ان ستراتيجية وتكتيك السياسة الاقتصادية للحزب الشيوعى السوفييتى يغنيان ويكملان احدهما الآخر ، ويشكلان وحدة حقيقية . وبالتغلغل عميقا ومن جميع النواحى فى جوهر عمليات

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٩ ، ص ٢٠٨ .

العلاقات الاقتصادية ، صاغ الحزب مفهوم ترقية الاشتراكية المتطورة ، وموضوعات معللة علميا ، وتقييمات رشيدة قامت فى اساس السياسة الاقتصادية وستراتيجيتها وتكتيكها ؛ علما بانه روعيت بكل دقة القاعدة المهمة التالية : الامتناع عن استباق الامور ، عن التسرع ، والامتناع فى الوقت نفسه عن التباطؤ . ان ما ينبغى ، ليس معرفة وضع اهداف صحيحة وحسب ، بل ايضا العمل بعناد ومثابرة على بلوغها ، مع تذليل المصاعب ايا كانت . ان هذا الموقف وحده هو الذى يقى من الاخطاء فى السياسة ، من اغراء اعتبار المرغوب فيه امرا واقعا .

يضطلع الاقتصاد السياسى للاشتراكية بالدور الحاسم فى رسم السياسة الاقتصادية للحزب الشيوعى السوفييتى . وبموجب قوانينه ، توضع مفاهيم تطوير البلاد على الصعيد الاجتماعى والاقتصادى ، وتطبق التدابير الملموسة الرامية الى بلوغ الاهداف المنصوص عنها فى السياسة الاقتصادية . ان الاقتصاد السياسى هو الاساس النظرى للسياسة الاقتصادية الماركسية اللينينية .

الفصل الرابع

نظرية الشيوعية العلمية

الشيوعية العلمية بمعناها الواسع انما هى الماركسية–اللينينية بمجملها ، انما هى علم القوانين الاجتماعية العامة ، والسبل والاشكال والطرائق لتحويل المجتمع على اسس الشيوعية ، انما هى تعليل شامل لزوال الرأسمالية وانتصار الشيوعية .

والشيوعية العلمية بمعنى اضيق ، بمعناها الخاص ، انما هى قسم من اقسام الماركسية–اللينينية الثلاثة المكونة ، قسم مترابط بعرى لا انفصام لها مع القسمين الآخرين — الفلسفة والاقتصـــــاد السياسى .

نشوء الشيوعية العلمية وجوهرها

مؤسسا الشيوعية العلمية . لقد اسس ماركس وانجلس الشيوعية العلمية بوصفها تعليلا نظريا لتجربة النضال الطبقى ، بوصفها مذهبا متكاملا ومتجانسا عن اسقاط البرجوازية بالسبيل الثورى وظفر البروليتاريا بالسلطة . وقد برهن مؤسسا الماركسية ان الاشتراكية ليست اختلاق حالمين ، بل نتيجة ضرورية لنضال العمال من اجل دك سلطة الرأسمال . والشيوعية العلمية بوصفها علما هى التعبير النظرى عن مواقع البروليتاريا ومواقفها فى هذا النضال ، وتعميم لشروط تحرر البروليتاريا.

وللمرة الاولى فى التاريخ حول ماركس وانجلس الاشتراكية من حلم الى علم حقيقى عن القوانين العامة والسبل والاشكال لنضال البروليتاريا الطبقى والثورة الاشتراكية وبناء الاشتراكية والشيوعية . وقد جاء اكتشافان عظيمان يوفران الاساس النظرى لنشوء الشيوعية العلمية فى الاربعينيات من القرن التاسع عشر ، هما الفهم المادى للتاريخ ، ومذهب القيمة الزائدة الذى

عرى سر الاستثمار الرأسمالى . وهذا يعنى ان الشيوعية العلمية استمرار وتطور محتم وضرورى لنظرية ماركس وانجلس الفلسفية والاقتصادية .

وبصياغة مذهب نضال البروليتاريا الطبقى ، برهن ماركس وانجلس ان التناقضات المستعصية الملازمة للرأسمالية لا يمكن حلها الا بالثورة الاشتراكية التى تقضى على سيادة البرجوازية ؛ وان الطبقة العاملة هى القوة الاجتماعية المدعوة الى تصفية الرأسمالية واقامة النظام الاشتراكى .
ومن مآثر ماركس وانجلس العظيمة ، انهما عللا الضرورة التى تقضى على البروليتاريا بانشاء حزب سياسى مستقل خاص بها ، هو الحزب الشيوعى ، الذى هو الفصيلة الطليعية من الطبقة العاملة ، والذى يقود نضال الشغيلة من اجل الاشتراكية والشيوعية .

وقد علل ماركس وانجلس مذهب ديكتاتورية البروليتاريا التى تقام فى سياق الثورة الاشتراكية ؛ وطورا موضوعة حتمية مرحلة الانتقال بالسبيل الثورى من الرأسمالية الى الاشتراكية ، واعطيا تصورا علميا عن المجتمع الشيوعى .

وباسم لينين ترتبط مرحلة جديدة فى تطوير نظرية الشيوعية العلمية . فعلى اساس الخبرة الفائقة الغنى التى كدستها الجماهير الثورية فى عهد الامبريالية ، طور لينين الماركسية وفقـــا للظروف التاريخية الجديدة . ان افكار لينين عن خصائص الثورة البرجوازية الديموقراطية فى عهد الامبريالية ، وقواها المحركة ، وسبل تحولها الى ثورة اشتراكية ، وعن ديكتاتورية البروليتاريا فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وعن سبل حل المسألة الزراعية والمسألة القومية ، وعن الدور القيادى للحزب البروليتارى الجديد الطراز ، — ان هذه الافكار هى قسط فائق القيمة فى تطوير الشيوعية العلمية .

ان تطوير الشيوعية العلمية يستمر فى النشاط النظرى الذى يبذله الحزب الشيوعى السوفييتى وسائر الاحزاب الشيوعية والعمالية الماركسية اللينينية .

موضوع الشيوعية العلمية . الشيوعية العلمية هى علم نضال البروليتاريا الطبقى والثورة الاشتراكية ، علم القوانين الاجتماعية والسياسية لبناء الاشتراكية

والشيوعية ، علم العملية الثورية العالمية بمجملها .

وعليه تدرس نظرية الشيوعية العلمية وتعلل :

— الحتمية التاريخية لهلاك الرأسمالية وانتصار الشيوعية ؛

— مقدمات وشروط وظروف تحويل المجتمع الرأسمالى بالسبيل الثورى الى مجتمع اشتراكى ؛

— الرسالة العالمية التاريخية للطبقة العاملة ، ومكان ودور الجماهير غير البروليتارية التى تقودها الطبقة العاملة فى النضال الثورى ؛

— قوانين نضال البروليتاريا الطبقى وسبله واشكاله ؛

— الضرورة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا ومهماتها ؛

— قوانين وسبل تطور الاشتراكية ؛

— دور ثورات التحرر الوطنى والحركات الديموقراطية فى العملية الثورية المعاصرة ؛

— الاتجاهات والمبادئ الاساسية لستراتيجية وتكتيك الاحزاب الشيوعية والعمالية الماركسية اللينينية .

خلافا للمادية التاريخية ، لا تدرس الشيوعية

العلمية قوانين تطور جميع التشكيلات الاجتماعية الاقتصادية ، بل تدرس التشكيلة الشيوعية فقط ، بما في ذلك مقدمات نضوجها في احشاء الرأسمالية .

ان الشيوعية العلمية هي مذهب اممي ، الامر الذي يقرره في المقام الاول طابع الطبقة العاملة الاممي ، علما بان الشيوعية العلمية تعبر وتدافع عن مصالح الطبقة العاملة ومثلها العليا . والشيوعية العلمية لا تعمم تجربة بلد واحد بمفرده ، بل تعمم تجربة جميع البلدان والامم ، والحركة الثورية العالمية جمعاء . ومنذ اكثر من مائة سنة تسترشد الحركة الشيوعية العالمية باستنتاجات الشيوعية العلمية وموضوعاتها الاساسية ، وتبني ، انطلاقا منها ، ستراتيجيتها وتكتيكها . والشيوعية العلمية تتطور مع الحركة الثورية ، وتعمم تجربتها .

في اساس دراسة الشيوعية العلمية ، تقوم النظرية المادية عن معرفة الحياة الاجتماعية ، والطريقة الديالكتيكية ، الامر الذي يتيح تحديد السبل المعللة علميا لحل التناقضات الموجودة

فعلا والناشئة فى سياق تحقيق الثورة الاشتراكية واقامة ديكتاتورية الطبقة العاملة وحل مهمات البناء الاشتراكى والشيوعى الاساسية .

ومع تطبيق طريقة التعميم المنطقى لتجربة نضال البروليتاريا الثورى وتجربة بناء الاشتراكية والشيوعية ، تقف الشيوعية العلمية بكل دقة وصرامة مواقف التاريخية . وقد قال لينين : «ان الطريقة الاكثر امانة فى علوم المجتمع . . . فى عدم نسيان الترابط التاريخى الاساسى ، ومعالجة كل قضية من حيث كيفية نشوء الظاهرة المعنية تاريخيا ومن حيث المراحل الرئيسية التى اجتازتها فى تطورها ، ومن ثم النظر ، انطلاقا من هذا التطور ، فيما صارت اليه حاليا» * .

ان الشيوعية العلمية مذهب خلاق . ومن اهم مبادئها الصلة الدائمة مع الحياة ، مع النضال العملى الذى تخوضه الطبقة العاملة ويخوضه جميع الشغيلة من اجل تحويل المجتمع على

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩ ، ص ٦٧ .

اسس الشيوعية . فان الحياة لا تراوح فـــى مكانها ، ومعها تتطور وتترقى نظرية الشيوعيـــة العلمية .

الرسالة التاريخية العالمية للطبقة العاملة

البروليتاريا ، حفارة قبر البرجوازية . بالاستناد الى دراسة مجموعة كبيرة من الوقائع ، بين ماركس وانجلس من جميع النواحى حتمية هلاك الرأسمالية وانتصار الشيوعية . وقد وجدا فى شخص البروليتاريا تلك القوة الاجتماعية القادرة على تحويل المجتمع بالسبيل الثورى . وهذا الاكتشاف العلمى الفائق العظمة يشغل مكان الصدارة فى مذهب الماركسية—اللينينية . وقد قال لينين : «ان الجوهرى فى مذهب ماركس ، هو تبيان دور البروليتاريا التاريخى العالمى بوصفها بانية المجتمع الاشتراكى» * .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد **٢٣** ، ص ١ .

وقد خلص اعلام الماركسية الى القول ان بذور هلاك الرأسمالية كامنة فى احشائها . فقد قيل ، مثلا ، فى «بيان الحزب الشيوعى» ان البرجوازية لم تصنع السلاح الذى يحمل اليها الموت وحسب ، بل خلقت كذلك الناس الذين سيوجهون هذا السلاح ضدها — اى العمال المعاصرين ، البروليتاريين . وهذا يعنى ، بتعبير آخر ، ان البرجوازية تخلق فى شخص البروليتاريا حفارى قبرها .

لماذا كانت البروليتاريا بالذات هى المدعوة الى دفن الرأسمالية ؟ قبل كل شىء ، لان الطبقة العاملة هى الطبقة الاشد معاناة للاضطهاد . والمفهوم بالبروليتاريا طبقة العمال الاجراء المعاصرين المضطرين ، بسبب حرمانهم من وسائل الانتاج ، الى بيع قوة عملهم لاجل العيش والبقاء . ان وضع البروليتاريا كطبقة مستثمرة يشترط موضوعيا استياءها الشديد من النظام البرجوازى ، وسعيها الى تغيير وضع الامور القائم تغييرا جذريا ، والى ازالة الرأسمالية بالسبيل الثورى . وهى لا تملك شيئا عدا قيود العبودية المأجورة . وبما ان الملكية

الخاصة لوسائل الانتاج هى اساس استثمار العامل من قبل الرأسمالى ، فان القضاء على هذه الملكية الخاصة والاستعاضة عنها بالملكيـــة الاجتماعية هما السبيل الوحيد لتحرير الطبقــة العاملة .

ان البروليتاريا هى الطبقة الأكثر تعدادا والطبقة المتنامية بلا انقطاع فى المجتمع البرجوازى . وتتركز جماهير لجبة من العمال فى كبريات المؤسسات . والعمل المشترك يعود العمال على الطاعة والانضباط ، وعلى الدعم المتبادل . ومن الاسهل على العمال ان يتصرفوا بصورة منتظمة ، جماعة بكاملها ؛ وهم يطورون وعيهم ووعيهم الذاتى بأسرع من سائر الطبقات المظلومة .

وبحكم كل هذا ، تستطيع الطبقة العاملة وحدها دون غيرها ان تترأس نضال جميـــع الشغيلة ضد الاستثمار والاضطهاد . وهى تبرز فى المقام الاول بوصفها مناضلا ضد الرأسمالية . وهى اذ تحرر نفسها ، تحرر من الاضطهاد جميع الطبقات والفئات الكادحة الاخرى فى المجتمع ، بما فيها الفلاحون والمثقفون ، والخ . .

ولكن الطبقة العاملة تناضل كذلك ضد النير القومى . وهى تناصر المساواة التامة والصداقة بين جميع الامم والاقوام . ولهذا تجد شعوب البلدان المستعمرة والتابعة فى نضالها الدعم الفعال من جانب الطبقة العاملة فى المتروبولات . وفى الوقت نفسه ، يضعف نضال هذه الشعوب من اجل تحررها واستقلالها الوطنى الامبريالية ويسهل على الطبقة العاملة النضال ضد الاوضاع الرأسمالية .

وقد اكد الزمن صحة استنتاجات اعلام الماركسية-اللينينية بصدد دور الطبقة العاملة فى تحويل المجتمع الرأسمالى بالسبيل الثورى . ان الطبقة العاملة العالمية انما هى قوة اجتماعية نشيطة فعالة جبارة فى العهد المعاصر ، تضم مئات الملايين من الناس . وفى كل مكان تتنامى صفوف الطبقة العاملة . وهى تنتج بكدحها اكثر من ثلاثة ارباع المنتوج الاجتماعى العالمى . والطبقة العاملة هى فى الوقت الحاضر اكثر مما فى اى وقت مضى المعبرة عن المصالح الفعلية لاغلبية الكادحين الساحقة .

نضال الطبقة العاملة الطبقى . ان تاريخ جميع المجتمعات ، ابتداء من المجتمع العبودى ، قد كان تاريخ نضال الطبقات ، تاريخ النضال بين الطبقات المستثمِرة والمستثمَرة ، بين الطبقات السائدة والطبقات المظلومة . وفى ظل الرأسمالية تظهر البروليتاريا على حلبة التاريخ وتحرر نفسها من الطبقة الاستثمارية فتحرر فى الوقت نفسه المجتمع بأسره من الاستثمار .

وقد اسهم ماركس بقسط عظيم للغاية فى نظرية الطبقات والنضال الطبقى . وعن هذا قال ما يلى : «وفيما يخصنى ، ليس لى لا فضل اكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع المعاصر ولا فضل اكتشاف النضال فيما بينها . فقد سبقنى بوقت طويل مؤرخون برجوازيون بسطوا التطور التاريخى لهذا النضال بين الطبقات ، واقتصاديون برجوازيون بسطوا تركيب الطبقات الاقتصادى . وان الجديد الذى اعطيته يتلخص فى اقامة البرهان على ما يأتى : ١ — ان **وجود الطبقات** لا يقترن الا **بمراحل تاريخية معينة من تطور الانتاج** ، ٢ — ان النضال الطبقى

يفضى بالضرورة الى **ديكتاتورية البروليتاريا** ،
٣ — ان هذه الديكتاتورية نفسها لا تعنى غير الانتقال الى **القضاء على كل الطبقات** والى **المجتمع الخالى من الطبقات»** * .

ان نضال البروليتاريا الطبقى يشمل جميع ميادين الحياة فى المجتمع البرجوازى . وهو يتجه فى ثلاثة اتجاهات اساسية : الاتجاه الاقتصادى ، الاتجاه السياسى ، الاتجاه الايديولوجى .

ان نضال البروليتاريا الاقتصادى هو النضال فى سبيل رفع الاجور ، وتقصير مدة يوم العمل ، وتحسين ظروف العمل والضمان الاجتماعى والتأمين المعاشى ، فى سبيل الاشتراك فى ادارة الانتاج . ومن الطبيعى ان تتجه هذه المساعى من حيث جوهرها ضد سيادة الاحتكارات . وهى تزعزع دعائم النظام الرأسمالى الرئيسية ، وتخلق وتعزز عدم استقراره ، وتهيئ الظروف

---

* ماركس ، انجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٨ ، ص ٤٢٤ — ٤٢٧ .

لاجل اداء المهمة الرئيسية التى تواجه الطبقة العاملة — تحويل المجتمع بالسبيل الثورى .

وفى الظروف الراهنة ، يدخل نضال الكادحين الطبقى طورا جديدا ، ويرتفع مستوى متطلباته . وهذا يرتبط :

— بالعواقب المضرة لعسكرة الاقتصاد الوطنى التى تحول دون حل القضايا الاقتصادية والاجتماعية الحادة ، وفى المقام الاول ، قضايا البطالة ، والتضخم النقدى ، وازمة التأمين الاجتماعى ؛

— بضرورة كبح الهجوم الواسع الذى تشنه الاوساط الحاكمة على مكاسب الكادحين الاقتصادية وحقوقهم الديموقراطية ؛

— بالطابع المتغير موضوعيا للنضال الاقتصادى الذى يتخطى اكثر فأكثر اطار المؤسسات الانتاجية والشركات والفروع بمفردها ويرتفع الى مستوى النضال ضد كل نظام الدولة الاحتكارى ؛

— بنمو وعى البروليتاريا الذاتى الطبقى .

ان النضال السياسى هو النضال ضد سلطة البرجوازية وضد سياستها المعادية للشعب ، ومن

اجل الحقوق والحريات الديموقراطية ، من اجل القضاء على الاستثمار . وفى سياق النضال الطبقى تكتسب المطالب التى يتقدم بها الشغيلة معنى اوسع فأوسع ، معنى سياسيا اكبر فأكبر . وهدف النضال السياسى هو الغاء السيادة الطبقية للبرجوازية ، واقامة وتوطيد سلطة البروليتاريا بهذا الشكل او ذاك .

ان اشكال النضال السياسى متعددة : المظاهرات والاضرابات السياسية ، الاشتراك فى الانتخابات الى هيئات الدولة او مقاطعتها ، استعمال الاشكال البرلمانية ، واخيرا ، النضال الثورى فى سبيل السلطة . والاحزاب الماركسية اللينينية هى قائدة النضال السياسى ، وهى مدعوة الى السير بمعارك البروليتاريا الطبقية حتى اقامة ديكتاتورية الطبقة العاملة .

ان النضال الايديولوجى هو النضال ضد نير البرجوازية الروحى ، من اجل ادخال الايديولوجية الماركسية اللينينية فى وعى الشغيلة ، تلك الايديولوجية التى هى التعبير النظرى عن مصالحها . فان الحركة العمالية العفوية لا تستطيع ان تصوغ من تلقاء

ذاتها الايديولوجية الاشتراكية الطليعية . والحزب الماركسى اللينينى هو الذى يحملها الى الحركة العمالية . والحزب يجمع نظرية الشيوعية العلمية مع الحركة العمالية وبذلك يحول نضال البروليتاريا العفوى الى نضال واع ومظفر .

وفى العالم المعاصر يحتدم الصراع الضارى بين الايديولوجيتين المتضادتين — الاشتراكية والبرجوازية . وهذا الصراع هو انعكاس لعملية الانتقال التاريخية من الرأسمالية الى الاشتراكية فى الحياة الروحية .

حزب الطبقة العاملة حزب من طراز جديد .

لاجل تحويل المجتمع الرأسمالى بالسبيل الثورى الى مجتمع اشتراكى من الضرورى ان يكون للبروليتاريا حزب سياسى خاص بها . وهذا الحزب هو الحزب الشيوعى الماركسى اللينينى الذى هو طليعة الطبقة العاملة اى قسمها الواعى الطليعى . وهو يدافع عن مصالحها ويعرب باكمل وادق نحو عن مطامحها وتطلعاتها .

وقد اكد انجلس : «ولكى تكون البروليتاريا

فى اللحظة الحاسمة على ما يكفى من القوة ولكى تستطيع احراز النصر ، يجب — وقد دافعنا ماركس وانا عن هذا الموقف منذ سنة ١٨٤٧ — ان تشكل حزبا خاصا ، مستقلا عن جميع الاحزاب الاخرى ، ومعارضا لها ، ويدرك انه حزب طبقى» . واستطرد انجلس يقول ان سياسة حزب البروليتاريا المفعمة بالروح الطبقى تتلخص فى انه لا يمكن القيام باية افعال سياسية الا «شرط ان لا يوضع الطابع الطبقى البروليتارى للحزب موضع الشك» * . خلاصة القول انه لا يمكن ان تنتصر الثورة ، ولا ان تقوم الاشتراكية ، بدون الحزب البروليتارى الذى يدرك انه حزب طبقى ويعارض جميع الاحزاب البرجوازية .

ان الحزب الشيوعى بوصفه الفصيلة الطليعية من الطبقة العاملة ، الفصيلة المسلحة بالنظرية الثورية ، يؤدى دوره القيادى حيال

---

* ماركس ، انجلس . المؤلفات ، المجلد ٣٧ ، ص ٢٧٥ .

جميـــع منظمـــــات الطبقـــة العاملـة الاخرى . وهو يوحد قوى الطبقة العاملة وحلفائها ، ويوجهها نحو هدف واحد هو دك النظام القديم ، الاستثمارى ، وبناء المجتمع الجديد .

ان اول حزب ثورى فعلا للطبقة العاملة ، اول حزب من الطراز الجديد ، قد انشئ فى روسيا . وقد غدا الحزب اللينينى زعيم الثورة الاشتراكية وبناء المجتمع الجديد .

ان خصائص الحزب الجديد الطراز وسماته المميزة تتلخص فى كونه :

— يسترشد بالمذهب الماركسى اللينينى ويطوره تطويرا خلاقا ، ويؤمن الوحدة العضوية بين النظرية الثورية والممارسة الثورية ؛

— زعيما سياسيا جماعيا للطبقة العاملة ، والشكل الاعلى لتنظيمها ، وطليعة جميـــع الشغيلة ؛ علما بان صلته الوثيقة للغاية بالجماهير هى ينبوع قوته التى لا ينضب لها معيـــن ؛

— يبنى نشاطه على اساس المركزيـــة الديموقراطية ، ويوطد بلا كلل وحدة صفوفه

فكريا وتنظيميا ، ويعزز الانضباط الواعى ، ويطور نشاط اعضائه ؛

— يعارض بلا هوادة كل ضرب من التكتلية والفئوية ، ومظاهر التحريفية والانتهازية والعقائدية ؛

— يحلل بعين نقادة نتائج نشاطه الثورى التحويلى ، وسياسته ، ويدرس على الدوام ويقيم ويستغل التجربة التى كدستها الحركة الشيوعية والعمالية العالمية ؛

— يطبق مبادئ الاممية البروليتارية بدأب وانتظام .

لقد اثبت الحزب الجديد الطراز صحته التاريخية بفضل اجتيازه اصعب واعقد امتحان فى ظل الممارسة الاجتماعية ، وبفضل بناء المجتمع الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى وفى عدد من بلدان اوروبا وآسيا واميركا اللاتينية .

نظرية الثورة الاشتراكية

حتمية الثورة الاشتراكية . الثورة الاشتراكية

هى اعمق انقلاب اجتماعى فى تاريخ المجتمع الطبقى ، واسلوب الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وهى المرحلة العليا فى نضال الشغيلة الطبقى ضد الرأسمالية ومن اجل اقامة النظام الاشتراكى . وهى محتمة تاريخيا ، لانها تنبع من القوانين الموضوعية لتطور المجتمع الرأسمالى ، وتقوم بها جماهير الكادحين الثورية برئاسة الطبقة العاملة وقيادة الحزب الماركسى اللينينى .

وواقع ان الثورة الاشتراكية محتمة تاريخيا ولا مناص منها تمليه عوامل موضوعية ، مادية . والمقصود هنا فى المقام الاول التناقض بين صفة الانتاج الاجتماعية ونظام الملكية الرأسمالى . فان نمو القوى المنتجة فى المجتمع نموا هائلا يتناقض اكثر فأكثر مع علاقات الانتاج الرأسمالية . ولا يمكن ان يكون المخرج من هذا التناقض سوى واحد فقط هو الثورة الاشتراكية .

ان الثورة الاشتراكية تبدأ بظفر الطبقة العاملة وحلفائها بالسلطة السياسية ، وبتحطيم آلة الدولة البرجوازية ، الاداة الاساسية لسيادة البرجوازية السياسية ، وباقامة ديكتاتورية البروليتاريا . وتبين

التجربة التاريخية انه لا بد من وضع ثورى لكى تظفر الطبقة العاملة بالسلطة .

ان مذهب الوضع الثورى هو قسم مكون مهم من اقسام النظرية اللنينية عن الثورة الاشتراكية .

وقد استخلص لينين الاستنتاج العام القائل ان الامبريالية هى عشية الثورة الاشتراكية ودرس ووصف من جميع النواحى الشروط والظروف الموضوعية التى تصبح فيها هذه الثورة ممكنة وضرورية ؛ واثبت ان الثورات لا تولد جاهزة ، وانه لا يجوز ولا يمكن استثارتها بصورة مصطنعة او استيرادها من بلد آخر ، او تصديرها الى بلد آخر . ولا يمكن القيام بالثورة «حيث يطيب» و«متى يطيب» بمجرد رغبة الجماعات الثورية ، بل يجب ان تنضج فى احشاء المجتمع . وهذه الشروط الموضوعية للثورة ، التى تتكون بصورة مستقلة عن ارادة الافراد والاحزاب ، سماها لينين بالوضع الثورى .

ما هى علائم الوضع الثورى ؟ ردا عن هذا السؤال ، ابرز لينين العلائم الرئيسية الثلاث التالية : ١ — ان يستحيل على الطبقات السائدة

الاحتفاظ بسيادتها دون اى تغيير ؛ ازمة «فى القمة» اى ازمة فى سياسة الطبقة السائدة تسفر عن صدع يتدفق منه استياء الطبقات المضطهدة وغضبها . فلكى تتفجر الثورة ، لا يكفى عادة «الا تريد القاعدة بعد الآن» ان تعيش كما فى السابق ، بل ينبغى ايضا «الا تستطيع القمة ذلك» . ٢ — ان يتفاقم بؤس الطبقات المضطهدة ويشتد شقاؤها اكثر من المألوف . ٣ — ان يتعاظم كثيرا ، للاسباب المشار اليها آنفا ، نشاط الجماهير التى تستسلم للنهب بهدوء فى زمن «السلم» ، ولكن التى تدفعها ، فى زمن العاصفة ، سواء اجواء الازمة كلها **ام «القمة» نفسها** ، الى القيام بنشاط تاريخى مستقل * .

ولكن الشروط والظروف الموضوعية لا تتطور وتتحول الى ثورة من تلقاء ذاتها . فلهذا الغرض ينبغى ان تكون الطبقة الثورية قادرة على القيام باعمال جماهيرية ثورية ؛ ان يرص الحـزب

---

* راجع : لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٦ ، ص ٢١٨

الجماهير ؛ ان يجرى اختيار اللحظة المناسبة للانتفاضة الثورية اختيارا صحيحا ؛ ان يسار بهذه الانتفاضة الى النصر . ان الثورة ليست علما وحسب ، بل فن ايضا . ولاجل انتصار الثورة ، لا بد من وحدة الظروف والشروط الموضوعية والذاتية ، التى تتحول الى ازمة وطنية عامة . ذلك هو قانون الثورة الاساسى .

وقد صاغ لينين موضوعة الحلقة الضعيفة فى سلسلة الامبريالية حيث بلغت التناقضات اقصى درجات الحدة ، وحيث بلغت قوى البروليتاريا وحلفائها اكبر قدر من الصلابة والشدة . وفى هذه الحلقات—البلدان تنضج الثورة بمزيد من السرعة .

القوى المحركة للثورة . ان القوة المحركة الرئيسية للثورة الاشتراكية ، وقائدتها ، هى الطبقة العاملة . فان ظروف العمل المضنية ، والحياة الشاقة فى ظل الرأسمالية تصقل فى الطبقة العاملة الصلابة والشجاعة والتنظيم والتضامن اى الصفات الثورية الضرورية لاجل

القيام بالثورة الاشتراكية . ودور البروليتاريا الثورى فى اى بلد رأسمالى اكبر بما لا قياس له من نسبتها فى مجمل عدد السكان ؛ وذلك لان البروليتاريا هى القوة المنتجة الرئيسية فى الرأسمالية ، وكذلك لانها تعبر اقتصاديا وسياسيا عن المصالح الفعلية لاغلبية الكادحين الساحقة .

ان الطبقة العاملة ليست وحدها فى نضالها من اجل الاشتراكية . فان لفئات الكادحين الاجتماعية الاخرى — الفلاحين ، الشرائح المتوسطة ، القوميات المظلومة — مصلحة عميقة فى انتصار النظام الاجتماعى الجديد .

وقد بيَّنت تجربة جميع ثورات القرن العشرين صحة النظرية اللينينية عن التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين . وحيث نهض الفلاحون الى النضال مع الطبقة العاملة ، وحيث تكوَّن منذ بادئ بدء الثورة التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين وتوطد فى سياق تطورها ، مع بقاء الدور القيادى للطبقة العاملة ، كان النصر مضمونا . وهذا مهم جدا لان نضال الطبقة العاملة وحدها ، القليلة التعداد ، بدون حلفاء ، فى البلدان

حيث يؤلف الفلاحون اغلبية السكان ، لا يمكن له ان يؤول الى النصر . فان بروليتاريا روسيا ، مثلا ، السائرة بقيادة الشيوعيين ، قد انتزعت الفلاحين خطوة فخطوة من البرجوازية ، وحولتهم الى حليف لها ، كما ان الفلاحين اقتنعوا بدورهم بانه لا يمكنهم ان يحرزوا النجاح الا بالتحالف مع الطبقة العاملة .

قد تكون الثورة الاشتراكية سلمية او غير سلمية . وهذا رهن بالوضع التاريخى ، وبالمقاومة المسلحة من جانب البرجوازية . ويقينا انه من الافضل ان تتسم الثورة الاشتراكية بطابع سلمى ، ولكن الرأسماليين لا يتنازلون عن سلطتهم بدون قتال ، ولهذا تضطر البروليتاريا الى الظفر بها بالعنف ، بما فيه السبيل المسلح .

وقد علق اعلام الماركسية–اللينينية اهمية كبيرة على الانتفاضة المسلحة بوصفها نضالا سافرا تخوضه بالسلاح هذه الطبقـــات او تلك ، هذه القوى الاجتماعية او تلك ، ضد السلطة السياسية القائمة . وقد اعتبروها فنا يخضع للقواعد التالية :

— لا يجوز البدء بالانتفاضة قبل ان تنضج موضوعيا ؛

— يجب حشد تفوق كبير فى القوى فى المكان الحاسم وفى اللحظة الحاسمة ، والا فان العدو الذى يملك استعدادا افضل وتنظيما افضل يقضى على المنتفضين ؛

— ما ان تبدأ الانتفاضة حتى يتعين العمل بأعظم ما يكون من الحزم والعزم ، والانتقال حتما الى الهجوم لان الدفاع يعنى مـــوت الانتفاضة المسلحة ؛

— احراز النجاحات كل يوم ، وان تكن نجاحات صغيرة ، من اجل الاحتفاظ بالتفوق المعنوى .

واذا كانت الظروف ملائمة ، فان الطبقة العاملة فى هذا البلد او ذاك تستطيع ، بالتحالف مع العناصر غير البروليتارية ، وعن طريق شن النضال الجماهيرى ، التوصل الى القيام بالثورة الاشتراكية بالسبيل السلمى ايضا . وفى عداد هذه الظروف ، وجود حد ادنى معين من الحريات الديموقراطية فى البلاد ، الامر الذى

توفر امكانيات وفرصا اوسع لاجل تنظيم وتلاحم الطبقة العاملة وحلفائها .

بمَ تختلف الثورة الاشتراكية عن الثورات الاخرى ؟ تختلف الثورة الاشتراكية اختلافا جذريا عن جميع الثورات الاجتماعية السابقة . فان الثورات السابقة لم تسفر الا عن الاستعاضة عن شكل من الاستثمار بشكل آخر . اما الثورة الاشتراكية ، فانها تقضى كليا على الاستثمار وتدشن عهد الاخوة والمساواة الحقيقية بين الناس .

صحيح ان الشغيلة قد اشتركوا بنشاط فى الثورات البرجوازية والثورات البرجوازية الديموقراطية ، ولكنهم لم يضطلعوا فيها بالدور السائد ، كما ان نتائج الثورات خيبت آمالهم ، لانها اقتصرت على الاستعاضة عن شكل الاستثمار الاقطاعى بالشكل الرأسمالى . اما فى الثورة الاشتراكية ، فان الطبقة العاملة تكون ملهمة الثورة وزعيمها . ان الثورة البروليتارية هى ثورة الجماهير الكادحة بالذات . وهذه تقوم بها لاقامة سيادتها .

لقد اقتصر هدف الثورات البرجوازية والثورات

البرجوازية الديموقراطية على تصفية الاقطاعية التى تعرقل تطور الرأسمالية . ولكن علاقات الانتاج الرأسمالية ذاتها نشأت وتطورت فى احشاء الاقطاعية . وقد امكن ذلك ، لان الملكية البرجوازية والملكية الاقطاعية لا تمثلان سوى نوعين من الملكية الخاصة .

اما علاقات الانتاج الاشتراكية ، فلا يمكن ان تنشأ فى اطار الرأسمالية . فهى تنبثق بعد استيلاء الطبقة العاملة على السلطة ، حين تؤمم ملكية الرأسماليين للمصانع والمعامل والمصارف ووسائط النقل ، والخ . ، وتتحول الى ملكية اشتراكية اجتماعية (عامة) . وفضلا عن ذلك ، ينبغى ، لاجل الانتقال الى الاشتراكية ، تنظيم حياة الشعب الاقتصادية بطريقة جديدة . من الضرورى اعادة بناء العلاقات الاجتماعية والسياسية على اسس الاشتراكية ، وحل المهمات المعقدة ، لا فى ميدان الاقتصاد والسياسة وحسب ، بل ايضا فى ميدان الثقافة والتربية والخ . .

ان المسألة المركزية فى الثورة هى مسألة الاستيلاء على سلطة الدولة . من قبل ، فى

الثورات الاخرى ، كانت الطبقة الجديدة بعد استيلائها على السلطة تكيف جهاز الدولة القديم لحاجاتها . اما فى سياق الثورة الاشتراكية فان الطبقة العاملة لا تستطيع ان تسير فى هذا السبيل وان تستخدم جهاز الدولة البرجوازى لأن وظيفته الاساسية ابقاء الشغيلة خاضعين للرأسماليين . ولهذا يجب فى سياق الثورة الاشتراكية تحطيم آلة الدولة القديمة وبناء هيئات للدولة جديدة ، اشتراكية .

ومن هنا ينجم ان الفوارق الجذرية بين الثورة الاشتراكية من جهة والثورات البرجوازية والثورات البرجوازية الديموقراطية من جهة اخرى تتجلى فيما يلى :

اولا ، تستهدف الثورة الاشتراكية تحويل الملكية الخاصة لوسائل الانتاج الى ملكيـــة اجتماعية ، والقضاء على استثمار الانسان للانسان ، بينما تقوم الثورة البرجوازية بالاستعاضة عن الملكية الاقطاعية بالملكية الخاصة ، وعن الاستثمار الاقطاعى بالاستثمار الرأسمالى .

ثانيا ، لا تنبثق علاقات الانتاج الاشتراكية

فى احشاء الرأسمالية ، بينما تتكون علاقات الانتاج الرأسمالية وتتطور عفويا بصورة نموذج فى احشاء الاقطاعية .

ثالثا ، تبدأ الثورة الاشتراكية من الظفر بالسلطة ، بينما تنجز الثورة البرجوازية هذا الظفر .

القوانين العامة لانتقال مختلف البلدان الى الاشتراكية وتنوع اشكاله

جوهر مرحلة الانتقال . الرأسمالية ، كما سبق ان اوضحنا ، تخلق بنفسها حفار قبرها — البروليتاريا ؛ والرأسمالية تصنع بنفسها عناصر النظام الجديد . ولكن هذه العناصر المنفردة لا تستطيع بدون الثورة البروليتارية ان تغير شيئا فى وضع الامور العام ، وان تمس سيادة الرأسمال . ولا تبدأ التحويلات الاشتراكية فى ميادين حياة المجتمع ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والروحية ، الا بعد انتصار الثورة الاشتراكية واقامة ديكتاتورية البروليتاريا .

وواقع ان التحويل الاشتراكى فى كل بلد

يقتضى مرحلة انتقالية خاصة هو قانون موضوعى . وهذه المرحلة لا يمكن تجنبها ، ولا يمكن القفز من فوقها ، حتى ولو نضجت تماما جميع المقدمات المادية للاشتراكية . وقد كتب ماركس انه تقوم بين المجتمع الرأسمالى والمجتمع الشيوعى مرحلة تحويل المجتمع الرأسمالى بالسبيل الثورى الى مجتمع شيوعى . ودولة هذه المرحلة لا يمكن ان تكون سوى الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا . وقد تنبأ اعلام الماركسية—اللينينية بأن الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية سيتألف من ثلاث مراحل مشروطة موضوعيا ومحتمة تاريخيا هى : ١ — المرحلة الانتقالية ؛ ٢ — طور الاشتراكية ؛ ٣ — طور الشيوعية .

ان المرحلة الانتقالية ضرورية لأن علاقات الانتاج الاشتراكية لا تنبثق بشكل جاهز فى احشاء الرأسمالية . فلاجل بنائها ، لا بد من عهد تاريخى كامل (قد تختلف مدة المرحلة الانتقالية باختلاف البلدان) ، تبنى فيه علاقات اجتماعية جديدة ، وتصفى فيه الطبقات الاستثمارية الاخيرة وكل استثمار للانسان من قبل الانسان ،

ويبنى فيه الاقتصاد الاشتراكى . وكل هذا يستحيل تحقيقه دفعة واحدة ، بضربة واحدة . ان هذا يتطلب مرحلة تاريخية طويلة نسبيا .

ان اداء المهام المعقدة فى المرحلة الانتقالية يجرى فى غمرة الصراع الطبقى الضارى بين الاشتراكية والرأسمالية وفقا لمبدأ «لمن الغلبة ؟» . وتعميما لتجربة وجود السلطة السوفييتية مدة سنتين ، اوضح لينين فى مؤلفه «الاقتصاد والسياسة فى عهد ديكتاتورية البروليتاريا» : «ولا بد لهذه المرحلة الانتقالية ان تكون مرحلة نضال بين الرأسمالية المحتضرة وبين الشيوعية الناشئة ، او بتعبير آخر ، بين الرأسمالية المغلوب على امرها ولكن التى لم يقض بعد نهائيا عليها ، وبين الشيوعية التى ولدت ولكنها ما تزال ضعيفة جدا» * .

ان مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية تبدأ باقامة البروليتاريا لسيادتها السياسية

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩ ، ص ٢٧١ .

وتنتهى ببناء الاقتصاد الاشتراكى وبالقضاء التام على العناصر الرأسمالية فى المدينة والريف .
وفى الاتحاد السوفييتى دامت المرحلة الانتقالية من بداية ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى سنة ١٩١٧ حتى النصف الثانى من الثلاثينيات .
ولقد كان طول المرحلة الانتقالية الكبير محتما نظرا للتأخر الاقتصادى والتكنيكى والثقافى العام الموروث عن روسيا ما قبل الثورة ، ونظرا لهيمنة الانتاج البضاعى الصغير ، وكذلك نظرا لان الاتحاد السوفييتى كان فى تلك المرحلة بلد الاشتراكية الوحيد فى العالم .

اما فى عدد من البلدان الاشتراكية الاخرى فى اوروبا ، فان طول المرحلة الانتقالية كان اقل . وقد كان رهنا بمستوى تطور القوى المنتجة ، ودرجة اتسام وسائل الانتاج بالسمة الاجتماعية ، والنسبة بين القوى الطبقية ، والتقاليد الوطنية والقومية والتاريخية ، وتوطد نظام الاشتراكية العالمى ، والوضع الدولى ، والخ . .

فى كل بلد ينتقل من الرأسمالية الى الاشتراكية ، تفعل فعلها خصائص المرحلة

الانتقالية وقوانينها العامة .

وفى عداد القوانين العامة ، تأتى : سلطة الشغيلة فى ظل دور الطبقة العاملة القيادى ؛ قيادة تطور المجتمع من جانب الحزب الشيوعى المسلح بايديولوجية الاشتراكية العلمية ؛ اقامة الملكية الاجتماعية (العامة) لوسائل الانتاج الاساسية ، وانماء الاقتصاد على هذا الاساس بصورة منهاجية فى مصلحة الشعب ؛ تطبيق المبدأ القائل «من كل حسب كفاءاته ولكل حسب عمله» ؛ تطوير الديموقراطية الاشتراكية ؛ المساواة فى الحقوق والصداقة بين جميع الامم والاقوام ؛ حماية المكاسب الثورية من تطاولات الاعداء الطبقيين .

وفى ميدان الحياة الروحية ، يشكل تحقيق الثورة الثقافية قانونا عاما من قوانين الانتقال الى الاشتراكية ؛ والثورة الثقافية تعنى تطبيق التعليم العام ، وانشاء فئة من المثقفين المخلصين لقضية الاشتراكية ، وتوطيد الايديولوجية الاشتراكية .

ومع ان القوانين العامة للانتقال من الرأسمالية

الى الاشتراكية ضرورية موضوعياً ، الا انها تتجلى بصور مختلفة ، واشكال خاصة ، متميزة فى الظروف الملموسة فى كل بلد بعينه . ان الظروف الخاصة فى مختلف البلدان تغير فعل القوانين العامة للبناء الاشتراكى وتختم بخاتم معين مضمون الانتقال الى الاشتراكية واشكاله ووتائره . وقد كتب لينين : «ستصل جميع الامم الى الاشتراكية ، ان هذا امر محتوم . ولكنها لن تصل جميعها على صورة واحدة ، فستحمل معها امرا تتفرد به الى هذا الشكل او ذاك من اشكال الديموقراطية ، الى هذا المظهر او ذاك من مظاهر ديكتاتورية البروليتاريا ، الى هذه السرعة او تلك فى تحويل مختلف وجوه الحياة الاجتماعية على اسس الاشتراكية» * .

ليس ثمة سبيل ولا يمكن ان يكون ثمة سبيل الى الاشتراكية بمعزل عن القوانين العامة

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١٢٣ .

التى اكتشفتها الماركسية—اللينينية واكدتها تجربة الاتحاد السوفييتى وسائر بلدان الاشتراكية الفعلية ، والممارسة الاممية للنضال الثورى والبناء الاشتراكى ، كما لا يمكن السير بنجاح فى هذا السبيل بدون مراعاة الخصائص القومية والوطنية فى كل بلد من جميع النواحى .

ديكتاتورية البروليتاريا . ان اسقاط جهاز الدولة القديم ، والاستعاضة عنه بجهاز جديد ، واقامة السيادة السياسية للطبقة العاملة — ديكتاتورية البروليتاريا — كل هذا هو مضمون الثورة الاشتراكية الاساسى . ان مسألة ديكتاتورية البروليتاريا هى من المسائل الرئيسية فى نظرية الشيوعية العلمية ؛ فبدون ديكتاتورية البروليتاريا يستحيل بناء الاشتراكية. وقد كتب انجلس ان ديكتاتورية البروليتاريا هى «تلك الاداة الوحيدة التى تستطيع الطبقة العاملة المظفرة ان تمارس بواسطتها السلطة السياسية التى ظفرت بها للتو ، وتقمع اعداءها ، الرأسماليين ، وتحقق ذلك التحويل الاقتصادى للمجتمع الذى ينتهى بدونه النصر ، بلا

مناص بد ، بالهزيمة وقتل العمال بالجملة كما حدث بعد كومونة باريس» * .

ان ديكتاتورية البروليتاريا هى سلطة الطبقة العاملة مطبقة بالتحالف مع جميع الجماهير الكادحة بغية قمع مقاومة المستثمرين وبناء الاشتراكية .

تواجه ديكتاتورية البروليتاريا فى المرحلة الانتقالية المهمات الاساسية التالية :

— قمع مقاومة الطبقات الاستثمارية المقلوبة ؛

— تطبيق التحويلات الاشتراكية فى الميدان الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والثقافى وتحسين وضع الجماهير الكادحة المادى ؛

— اجتذاب الفلاحين وسائر الجماهير الكادحة الى بناء الاشتراكية ، وتوطيد التحالف بين البروليتاريا والفلاحين ؛

— حماية الوطن من التدخل الاجنبى

---

* ماركس ، انجلس المؤلفات ، المجلد ٣٦ ، ص ٩

المسلح ، وتوطيد العلاقات الامية مع الطبقة العاملة فى البلدان الاخرى ، والنضال من اجل السلام والتعاون الدولى ، ومساعدة حركة التحرر الوطنى .

بعد الوصول الى الحكم ، تشرع الطبقة العاملة بالتحالف مع جميع الشغيلة فى بناء المجتمع الجديد . وتقاوم الطبقات الاستثمارية المقلوبة ذلك مقاومة ضارية . ولهذا كان قمع الطبقات الاستثمارية من اكبر مهام ديكتاتورية البروليتاريا ، وعلامة ضرورية من علائمها . ان ديكتاتورية البروليتاريا هى مواصلة النضال الطبقى فى ظروف جديدة وباشكال جديدة .

تنبذ الماركسية—اللينينية التصورات عن ديكتاتورية البروليتاريا بوصفها نظام العنف . وقد اوضح لينين : «. . . ان العنف الثورى لم يكن اسلوبا ضروريا ومشروعا من اساليب الثورة الا فى لحظات معينة من تطورها ، الا فى حال توفر ظروف معينة وخاصة . . .» *

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٨ ، ص ٧٤

وفضلا عن مهمة قمع مقاومة المستثمرين ، «توضع ، بنفس الضرورة وبقوة متزايدة ابدا ، مهمة اهم ، هى مهمة بناء الشيوعية الايجابى ، مهمة خلق علاقات اقتصادية جديدة ، ومجتمع جديد» * .

ان ديكتاتورية البروليتاريا هى طراز جديد من الديموقراطية . فمع انتصار الثورة الاشتراكية ، تقام سلطة الاغلبية الساحقة على الاقلية . وهكذا تؤمن ديكتاتورية البروليتاريا بالفعل للشغيلة امكانية التمتع بجميع الحقوق السياسية والاجتماعية .

يعتبر اعداء الاشتراكية ان الديكتاتورية والديموقراطية مفهومان ينفى احدهما الآخر . فان ديكتاتورية البروليتاريا ، كما يزعمون ، هى نفى الديموقراطية ، عنف بحق الناس . وهم يصورون الحد من الديموقراطية فى صالح المستثمرين من قبل الدولة البروليتارية بصورة غياب الديموقراطية . وفى الوقت ذاته ، يأخذون جانب الدفاع عن

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩ ، ص ١٣

النظام البرجوازى ، ويصورون انفسهم بصورة انصار للديموقراطية ، «الكاملة» ، «الخالصة» ، الديموقراطية لاجل الجميع كما يزعمون . ولكن لا توجد ولا يمكن ان توجد فى مجتمع منقسم الى طبقات ذات مصالح متضادة ، ديموقراطية «فوق الطبقات» ، «كاملة» ، «خالصة» ، كما لا توجد ولا يمكن ان توجد مساواة بين المستثمِرين والمستثمَرين . فان المسألة كلها تنحصر فيما يلى : لاية طبقة توجد الديموقراطية ، اية طبقة تطبق الديكتاتورية وعلى اية طبقة ، اى فى يد من توجد السلطة وفى مصلحة من تطبق .

فى سياق بناء الاشتراكية ، تحقق ديكتاتورية البروليتاريا بواسطة المؤسسات السياسية والمنظمات الجماهيرية (الحزب ، السوفييتات ، النقابات ، الكومسومول ، والخ .) . وهذه المؤسسات والمنظمات تشكل بمجملها نظام ديكتاتورية البروليتاريا .

ان حزب الشيوعيين هو القوة المثبتة ، الحاسمة لديكتاتورية البروليتاريا . فهو يقود نشاط

جميع منظمات الكادحين الاخرى ، ويوجهها فى طريق بناء الاشتراكية . وقد قال لينين : « . . . ان ديكتاتورية البروليتاريا غير ممكنة الا من طريق الحزب الشيوعى» * .

ولاجل القيادة بنجاح ، يجب على الحزب ان يملك ناصية النظرية الثورية ، وان يكون وثيق الارتباط بالشعب . وهو مدعو الى تعليم الجماهير والتعلم منها ، والسهر باكبر قـــدر من العناية والدقة على تلاحم صفوفه ونقاوتها الفكرية . وفى سياق بناء الاشتراكية ، يتعاظم دور الحزب الماركسى اللينينى بلا انقطاع .

تتخذ ديكتاتورية البروليتاريا اشكالا ملموسة مختلفة باختلاف البلدان . ففى الاتحاد السوفييتى تجسدت فى السوفييتات ، وفى سائر البلدان الاشتراكية تجسدت فى هيئات الديموقراطيـــة الشعبية . ان السوفييتات والديموقراطية الشعبية هى من طراز واحد من حيث طبيعتها الطبقية

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٣ ، ص ٤٢ .

ومن حيث مهماتها ووظائفها . ولا يتجلى الفرق الا فى الاشكال الملموسة للتنظيم السياسى للمجتمع ولبنيان الدولة . ان اصالة دول الديموقراطية الشعبية بوصفها شكلا خاصا لديكتاتورية البروليتاريا تتبدى فيما يلى . فى بعض البلدان ، توجد الى جانب الحزب الشيوعى احزاب اخرى تشترك فى ادارة البلد لاجل بناء الاشتراكية . وفى عدد من الدول انشئت جبهة شعبية ، تضم ، عدا الحزب الشيوعى ، الاحزاب الديموقراطية ، والنقابات ، والمنظمات التعاونية ، واتحادات الشباب .

والى جانب تجربة السوفييتات تتسم تجربة الديموقراطية الشعبية فى الوقت الحاضر باهمية كبيرة بالنسبة للحركة العمالية العالمية ولحركة التحرر الوطنى . وقد تأتى الثورات المقبلة باشكال سياسية جديدة للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . ولكن مهما اختلفت هذه الاشكال ، فان السلطة السياسية للطبقة العاملة وعلى رأسها الحزب الماركسى اللينينى هى شرط لا غنى عنه ومقدمة ضرورية لبناء المجتمع الاشتراكى . وقد

جاء فى الوثيقة الختامية للمؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية سنة ١٩٦٩ ان التحويلات الاشتراكية وبناء المجتمع الجديد هى عبارة عن عملية مديدة ومعقدة ، وان الاستفادة من الامكانيات الهائلة التى يؤمنها النظام الجديد رهن فى المقام الاول بالاحزاب الشيوعية والعمالية التى تقبض على زمام القيادة ، وبمقدرتها على حل قضايا التطور الاشتراكى حلا ماركسيا لينينيا .

الفصل الخامس

الماركسية–اللينينية قوة جبارة لتجديد العالم بالسبيل الثورى

بما ان الماركسية–اللينينية مذهب شامل ، فقد عللت علميا طابع الرأسمالية العابر ، وحتمية انتصار الاشتراكية ثم الشيوعية . وتحت رايتها تجرى فى العالم المعاصر تغيرات ثورية جذرية . وافكار الماركسية–اللينينية قد استولت على عقول وقلوب ملايين الشغيلة فى جميع انحاء الكرة الارضية ، فصارت قوة مادية جبارة تحول العالم .

فى بلدان الاسرة الاشتراكية العالمية ، تنير الماركسية–اللينينية نشاط الجماهير التى تبنى مجتمعا شعاره : «كل شىء لخير الانسان ، كل شىء من اجل الانسان» .

وفى البلدان الرأسمالية ، تشكل الماركسية–اللينينية سلاحا فى يد الطبقة العاملة وجميع الشغيلة فى النضال ضد سيادة البرجوازية ، وضد استثمار الانسان للانسان ، وضد اللامساواة الاجتماعية .

والماركسية–اللينينية هى بالنسبة لشعوب البلدان النامية بوصلة مأمونة فى سعيها الى وضع حد لبقايا الاستعمار ، والبؤس والتأخر ، والى مقاومة سياسة التحكم من جانب الدول الرأسمالية الكبيرة ، والى تحقيق تحويلات اجتماعية تقدمية .

قبل بضع سنوات من انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى سنة ١٩١٧ فى روسيا ، تحدث لينين عن منجزات الماركسية فى القرن التاسع عشر ، واعرب عن الاقتناع الراسخ بان «المرحلة التاريخية القادمة ستحمل للماركسية ، بوصفها مذهب البروليتاريا ، انتصاراً اروع بكثير» * .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٣ ، ص ٤ .

وان بدء انتقال البشرية جمعاء من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وتعاظم العملية الثوريـــــة العالمية يدلان على صحة الماركسية—اللينينية . والحياة تؤكد اكثر فاكثر صحة نبوءة لينين .

ان الماركسية—اللينينية ، هى نظرية علمية حقا للتطور الاجتماعى ، وهى تعرب عن مصالح اهل العمل الجذرية ، ومثل العدالة الاجتماعية . وقوتها الحيوية فى شبابها الدائم ، فى قدرتها الدائمة على التطور وعلى التعميم الخلاق للعوامل والظاهرات الجديدة ، ولتجربة النضال الثورى والتحويلات الاجتماعية .

اكتوبر العظيم والاشتراكية الفعلية

اعظم ثورة فى التاريخ . فى مساء ٢٥ اكتوبر— تشرين الاول (٧ نوفمبر— تشرين الثانى) ١٩١٧ ، دوت الطلقة التاريخية من الطراد «افرورا» وبدأ الهجوم المظفر على قصر الشتاء ، الحصن الاخير للحكومة البرجوازية فى روسيا . وفى الوقت نفسه افتتحت الجلسة الاستثنائية

لسوفييت بتروغراد في صالة الاحتفالات في سمولني واستخلص لينين رصيد الاحداث باقصى الوضوح والدقة والبساطة : «ان الثورة العمالية والفلاحية التي قال البلاشفة دائما بضرورتها قد تحققت» * .

وقد اعطى الصحفي الاميركي البرت ريس وليامس عن هذه الاحداث التي لا تنسى الوصف التالي : «رأيت لينين للمرة الاولى في الصالة الشاسعة بسمولني المزدحمة بجموع الجنود والعمال والبحارة . كان ذلك حين كانت تقصف مدافع «افرورا» . كانت الصالة تغلي وتهـــدر . ولكن عندما قال الرئيس : «الكلمة للرفيق لينين . . .» ، هدأ كل شيء للحظة ، ثم تفجر التصفيق والهتاف الى حد ان الاعمدة الضخمة ، كما خيل ، اهتزت . ونحن الجالسين في مقاعد الصحفيين تجمدنا في توتر : الآن سيظهر هذا الانسان الذي تحرقنا الى رؤيته واي

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٥ ، ص ٢ .

تحرق . ولكن فى البدء ، مهما كنا ننهض ، لم يكن من الممكن ان نرى غير حركة على الحلبة ، حيث كان احد ما يشق لنفسه طريقا الى المنبر بين الناس المهللين والمصفقين . واخيرا رأينا لينين وذهلنا . كنا نتصور ان رجلا هائل القامة سيظهر امامنا ، وتسترعى مجرد هيئته الانتباه فى الحال ، ولكن كان يقف على الحلبة رجل غير رفيع القامة ، دحداح ، اصلع ، ذو لحية صغيرة صهباء . كانت الصالة ، كما بدا ، على استعداد للانهيار تحت هدير التحيات ، اما هو فكان واقفا ، وكان يبتسم بخفة ، ويقوم بحركات قليلة الصبر ، ويشير الى الساعة ، كأنما يقول ان الوقت يمضى وانه لا يجوز تضييعه عبثا . . . وحين تسنى له ان يطفئ هذه الهتافات ، نطق بصوت حازم ، وقد اقول ، بصوت مرح كلمات سجلتها بالطبع فورا . . . «يجب علينا الآن فى روسيا ان نعكف على بناء الدولة الاشتراكية البروليتارية» . . . هكذا بدأ» .

جاءت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى عاقبة مشروعة ومحتمة للتطور الاجتماعى وللنضال الطبقى

فى ظل الرأسمالية الاحتكارية . وبفضل انتصارها نشأت اول دولة اشتراكية فى العالم .

قبل ثورة اكتوبر المظفرة قام لينين وحزب البلاشفة الذى أسسه بعمل عملاق فى ميدان نظرية وتطبيق المعارك الثورية للبروليتاريا . وبعد دراسة تجربة كومونة باريس (سنة ١٨٧١) ، واصل لينين فى ظروف تاريخية جديدة مذهب ماركس وانجلس بصدد النضال الطبقى . وقد قاد مباشرة الثورة الشعبية الاولى ١٩٠٥ — ١٩٠٧ فى روسيا . ورغم الهزيمة اغنت هذه الثورة نظرية وتطبيق الماركسية–اللينينية ، وكانت تمرينا عاما لثورة اكتوبر . وسلحت هذه الثورة الجماهير بخبرة سياسية كبيرة ، ورفعتها الى مستوى الابداع التاريخى الواعى . وكشفت اشكالا ووسائل جديدة للنضال الطبقى . وللمرة الاولى لجأ الشغيلة الى سلاح جبار كما هو عليه الاضراب السياسى الجماهيرى . وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ قاموا بانتفاضة مسلحة فى موسكو . وهكذا ، كما قال لينين ، تلقى الشعب عمادة النار ، وتمرس فى معمعان الانتفاضة ، واعد صفوف

المقاتلين الذين انتصروا فى سنة ١٩١٧ .

كشفت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى امام العالم نموذجا لحل القضايا الاجتماعية الجذرية : دك سلطة المستثمرين ، واقامة ديكتاتورية البروليتاريا ، وتحويل الملكية الخاصة ، البرجوازية الاقطاعية الى ملكية اجتماعية (عامة) اشتراكية ، حل المسألة الزراعية حلا عادلا فى مصلحة الفلاحين ، تحرير الشعوب التابعة من النير الاستعمارى والقومى ، توفير المقدمات السياسية والاقتصادية لبناء الاشتراكية .

وقد بين انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ان عهدا جديدا فى التاريخ العالمى قد بدأ ، هو عهد انهيار الرأسمالية وبناء المجتمع الشيوعى ، وانه كان قفزة ثورية عظيمة للغاية فى التاريخ العالمى . وللمرة الاولى فى حياة البشرية قضى على النظام الاستثمارى . قال لينين : «يحق لنا ان نكون فخورين وسعداء لاننا اول من اطاح ، فى نقطة من الكرة الارضية ، بهذا الوحش المفترس ، بالرأسمالية التى اغرقت الارض فى بحر من الدماء ، وقذفت بالانسانية الى احضان

المجاعة والهمجية . . .» *

ان عظمة ثورة اكتوبر الاشتراكية تتلخص فى كونها لم تجلب للجماهير الشعبية الحرية الحقيقية وحسب ، ولم تقض على استثمار الانسان للانسان وحسب ، بل حملت كذلك للجماهير الخيرات المادية ، وأمنت الحق فى العمل والتعليم والراحة ، والخ . . وتحت راية اكتوبر ، خطت البلاد من عود الاشعال وقنديل الكاز الى المحطات الكهرمائية والكهرذرية العملاقة ، من المحراث الخشبى ، والملطاس الى الاجهزة الالكترونية والاوتوماتيكية . وتحولت روسيا من بلد فقير ، نصف امى ، الى دولة صناعيـة كولخوزية جبارة ، وصارت بلد اولى الاقمار الصناعية والتحليقات الكونية .

وقد دفعت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى النضال الثورى فى العالم كله دفعة جبارة . وانارت ومضات عاصفة اكتوبر السبيل الـــــى

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ٤٧٨ .

المستقبل امام شعوب بلدان عديدة . وسار التاريخ الى الامام بخطوات العمالقة حقا وفعلا . وادت عملية تجديد العالم بالسبيل الثورى ، التى بدأت فى سنة ١٩١٧ ، الى تطورات جذرية فى حياة البشرية ، وغيرت كل سيماء الكوكب الارضى الاجتماعية والسياسية .

وبتأثير ثورة اكتوبر اشتد نضال البروليتاريا العالمية ، وطفقت البروليتاريا تناضل فى سبيل اهدافها بمزيد من المثابرة والعزم ؛ وتعاظم نضوجها السياسى وارتفع مستواها التنظيمى ، وصارت قوة مهمة تختم بطابعها اكثر فاكثر حياة المجتمع المعاصر ، وبقيادة الاحزاب الشيوعية تبرز البروليتاريا بوصفها المناضل الرئيسى ضد الامبريالية ، من اجل الديموقراطيـــــة والاشتراكية .

كذلك استتبع انتصار الثورة فى روسيا سلسلة من الاعمال الثورية فى كثير من البلدان المستعمرة والتابعة . واضعف نهوض حركة التحرر الوطنى النظام الرأسمالى بمجمله ، وساعد بذلك نضال البروليتاريا فى قلاع الرأسمالية .

ان الاهمية العالمية التى تتسم بها ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى تتلخص قبل كل شىء فى كونها دلت البشرية جمعاء على السبيل الى الاشتراكية . وكل من البلدان التى تنخرط فى هذا السبيل يحل قضاياه على طريقته . وفى الوقت نفسه تبقى السمات العامة ، المشتركة ، الثابتة الملازمة للتحويلات الاشتراكية ، وتحتفظ بمفعولها . فما هى هذه السمات ؟

— تبقى مسألة السلطة كما من قبل المسألة الرئيسية فى الثورة . اما سلطة الطبقة العاملة المتحالفة مع الشعب الكادح بأسره ، واما سلطة البرجوازية ؛ ولا ثالث .

— لا يمكن الانتقال الى الاشتراكية الا اذا امتلكت الطبقة العاملة وحلفاؤها السلطة السياسية الفعلية واستغلوها لاجل القضاء على السيادة الاجتماعية والاقتصادية للمستثمرين الرأسماليين وسائر المستثمرين .

— يمكن انتصار الاشتراكية اذا استطاعت الطبقة العاملة وطليعتها — الشيوعيون — ان تلهما وتشجعا وترصا الجماهير الكادحة فى النضال

من اجل بناء المجتمع الجديد ، وتحويل الاقتصاد وجميع العلاقات الاجتماعية على مبادئ الاشتراكية .

— لا يمكن ان تقوم وتتوطد الاشتراكية الا اذا استطاعت سلطة الشغيلة ان تحمى الثورة من هجمات العدو الطبقى ايا كانت .

هذه بعض فقط من دروس اكتوبر . وهى تؤكد الاهمية العالمية لثورة اكتوبر رغم كل اصالة ظروف نشوئها وتطورها . وهى تؤكد عميق صحة رأى لينين حين قال ان النموذج الروسى يبين لجميع البلدان شيئا ما ، جوهريا جدا ، من مستقبلها المحتم وغير البعيد .

ان ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ثورة اممية تماما بطبيعتها . وتأثيرها هائل فى حياة البشرية جمعاء . وما من قوة فى العالم تستطيع ان تنتزع المكاسب الاساسية لثورة اكتوبر ، مهما تسببت بالشرور والبلايا والعذابات للملايين ومئات الملايين من الناس . ان افكار اكتوبر العظيم ، افكار النضال من اجل الحرية وسعادة الشعب تستولى على وعى الجديد تلو الجديد من مئات الملايين من الناس ، وتوقظهم وتستنهضهم الى

النضال السافر ضد الظالمين .

الاشتراكية الفعلية فى موطن لينين . بنتيجة انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، اخذت الطبقة العاملة فى يدها زمام السلطة واقامت سيادتها السياسية . وقد استغل العمال السلطة السوفييتية قبل كل شيء بمثابة سند لاجل اعادة بناء الاقتصاد القديم ، وتنظيم الاقتصاد الجديد ، الاشتراكى . فقد جرى التأميم الاشتراكى الذى عنى حرمان البرجوازية من الثروات التى نهبتها — المصانع والمعامل ، والمناجم ، والخ .. كذلك صارت المصارف والسكك الحديدية ووسائط المواصلات ، والخ .، ملك الشعب بأسره . وادى التأميم الاشتراكى الى جعل ملكية وسائل الانتاج ملكية اجتماعية .

كذلك اصبح تحقيق التحويلات الزراعية العميقة شرطا مهما من شروط البناء الاشتراكى . فقد انتزعت الدولة الاشتراكية من الملاكين العقاريين الارض والمواشى والمعدات بلا مقابل واحالتها كلها مجانا الى الفلاحين الكادحين .

وقد وصفت كروبسكايا ، زوجة لينين ، (وكانت من قادة الحزب والدولة) جلسة مؤتمر السوفييتات الثانى فى ٢٦ — ١٠ — ١٩١٧ ، حين اتخذ «قانون الارض» ، كما يلى : «حفظت الذاكرة كيف القى لينين التقرير ، معللا مرسوم الارض ، وكيف تكلم بهدوء . كان الجمهور يصغى بتوتر . اثناء مرسوم الارض ، استرعى نظرى تعبير وجه مندوب من المندوبين جالس غير بعيد عنى . كان رجلا تجاوز عهد الشباب ، فلاحى الهيئة . بسبب الانفعال ، صار وجهه شفافا ، ممتقعا تماما ، وكانت عيناه تشعان ببريق خاص ما» .

تحقق حلم الفلاحين المزمن فى الارض . ومن جراء ذلك ، توطد التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين .

وفى وضع خارق الصعوبة شرع شغيلة روسيا السوفييتية فى بناء الحياة الجديدة . وقد تلخصت هذه المصاعب قبل كل شىء فى واقع ان روسيا القيصرية كانت دولة متأخرة . وجاءت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) تدفع اقتصاد روسيا ابعد الى الوراء . وعانت روسيا خرابا

اقتصاديا شديدا . وواجهت البلاد المعضلة التالية : اما الهلاك ، واما وضع مصيرها فى يد الطبقة الاوفر ثورية لاجل الانتقال باكبر قدر من السرعة والحزم الى اسلوب اعلى للانتاج .

واضطرت البلاد الى تحمل التأخر الاقتصادى ، والتدخل الاجنبى المسلح ، والحرب الاهلية ، والحصار الاقتصادى وكثير من المحن الاخرى . وكان المطلوب من الطبقة العاملة ، من الحزب الشيوعى انتهاج سياسة حكيمة ، والانضباط والتنظيم ، والايمان الراسخ بقواهما . وقد كان الشعب السوفييتى فى مستوى هذه المهمة التاريخية .

ذات مرة شبه لينين بناء الحياة الجديدة بالصعود الى جبل عال جدا ، شديد الانحدار ، وغير مدروس ؛ وبين بصورة مجازية نضال البلاد السوفييتية المتفانى من اجل تذليل المصاعب الهائلة ؛ ورسم كذلك الاعداء الذين كانوا يتوقعون ، بأمل خفى ، ان تسقط الجمهورية الفتية فى الهاوية . كتب لينين : «بعضهم يشمتون على المكشوف ، ويهللون ، ويصيحون : سيسقط الآن ، وهذا جزاء له ، فلا لزوم

للجنون !» انهم اعداء سافرون . «وبعض آخر . . . يجزعون رافعين عيون الحزن . واحسرتاه ، ان مخاوفنا تتحقق ! أولسنا نحن الذين امضينا حياتنا كلها على اعداد خطة معقولة للصعود الى هذا الجبل ، وطالبنا تأجيل الصعود طالما لم ينته اعداد خطتنا ؟» * .

ولكن حزب الشيوعيين قاد الشعب بلا خوف ولا رهبة الى الهجوم . لقد استرشد الحزب بالخطة اللينينية لبناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى . ومثل المشعل انارت خطة لينين العبقرية امام الشغيلة الطريق الى الاشتراكية ، وعززت ايمانهم فى قضية الحزب العظيمة .

وعندما تحسنت صحة لينين فى كانون الثانى — شباط (يناير — فبراير) ١٩٢٣ بعد مرض خطير ، أملى مقالاته الاخيرة ، وهى «اوراق من دفتر مذكرات» ، «حول التعاون» ، «حول ثورتنا» ، «كيف نعيد تنظيم التفتيش العمالى

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ٤١٦ .

والفلاحى» ، «من الافضل اقل ، شرط ان يكون احسن» . وقد اعتبر لينين ان روسيا تملك كل ما يلزم لاجل بناء المجتمع الاشتراكى . ولا يمكن بناء الاشتراكية الا على اساس الانتاج الآلى الكبير . واوضح ان تصنيع البلاد الاشتراكى ، وتطوير الصناعة الثقيلة بجميع الوسائل ، وكهربة الاقتصاد الوطنى كله ، ان كل هذا سيغير روسيا كليا ، ويجعلها دولة اشتراكية عظيمة . وفى البرنامج اللينينى لبناء الاشتراكية ، كانت تتسم باهمية من الدرجة الاولى خطة الدولة المتخذة فى سنة ١٩٢٠ لكهربة البلاد ــ خطة غويلرو (خطة الدولة لكهربة روسيا) . وانه لمذهل وعميق المضمون قول لينين : «الشيوعية انما هى السلطة السوفييتية مضافة اليها كهربة البلاد بأسرها» * . وهذه الاشارة قامت فى اساس تطوير الدولة الاشتراكية .

وقد حالف النجاح تحويل الزراعة على اسس

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٢ ، ص ١٥٩ .

الاشتراكية ، والثورة الثقافية .

بفضل الكدح البطولى الذى بذله الشعب السوفييتى ، وبفضل جهود الحزب اللينينى الجبارة ، طرأت تغيرات جذرية فى حياة البلد بأسره . ففى آجال وجيزة ، بنيت آلاف المؤسسات الانتاجية ، وفروع برمتها ، لم تكن تعرفها روسيا ما قبل الثورة . ونشأت مدن جديدة ومراكز صناعية جديدة . واستطالت السكك الحديدية آلاف وآلاف الكيلومترات . واشتعلت اضواء المحطات الكهربائية المبنية حديثا . وبدأت المناجم على اختلافها والافران العالية وافران مارتان التى بناها السوفييتيون تعطى الفحم والفلزات المعدنية والحديد الزهر والفولاذ .

والبلاد التى كتب عنها الشاعر الروسى نيقولاى نكراسوف (١٨٢١ — ١٨٧٧) : «انت فقيرة وانت غنية ، انت قوية ، وانت عاجزة ، يا امنا روسيا !» صارت من اقوى دول العالم . وبنى الاتحاد السوفييتى صناعة عالية التطور وزراعة اشتراكية تقدمية بكل معنى الكلمة . وبنى الاتحاد السوفييتى اساسا متينا للاقتصاد

الاشتراكى . وقد جاء فى قرارات الكونفرنس الحزبى السابع عشر الذى انعقد سنة ١٩٣٢ :
«ان انجاز بناء اساس الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى يعنى ان المسألة اللينينية «لمن الغلبة ؟» قد حلت كليا وبلا عودة ضد الرأسمالية وفى صالح الاشتراكية سواء فى المدينة ام فى الريف» .

ومن جراء التحويلات الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى اخذت تسود علاقات الانتاج الاشتراكية. وتغير القوام الطبقى للمجتمع السوفييتى بصورة جذرية . فقد زال منه المستثمرون ـ اى الرأسماليون والتجار والكولاك . ونحو سنة ١٩٢٨ هبط الوزن النسبى للعناصر الرأسمالية حتى ٤,٦ بالمئة ، وفى سنة ١٩٣٧ زالت كليا . وزالت بالتالى جميع الطبقات الاستثمارية ، وقضى الى الابد على استثمار الانسان للانسان .

وبقيت فى الاتحاد السوفييتى طبقتان متصادقتان ـ الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين . علما بان هاتين الطبقتين تغيرتا . وقرب بناء الاشتراكية الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين الكولخوزيين احداهما من الاخرى ، وعزز التحالف

بينهما ، وجعل الصداقة بينهما راسخة لا تنفصم عراها . ومن صفوف الشعب نشأت وكبرت فئة جديدة من المثقفين . ولجميع الشغيلة مصلحة بالقدر نفسه فى انهاض الاقتصاد الوطنى ، فى توطيد النظام الاشتراكى ، فى تطوير الديموقراطية والثقافة . وعلى اساس وحدة المصالح الجذرية للعمال والفلاحين والمثقفين ، تكونت وحدة الشعب السوفييتى الاجتماعية والسياسية والفكرية الثابتة التى لا تتزعزع .

فى النصف الثانى من الثلاثينيات ، جاء فى الوثائق الحزبية استنتاج مفاده ان المجتمع الاشتراكى قد بنى من حيث الاساس فى الاتحاد السوفييتى . وهذه الموضوعة وردت فى دستور الاتحاد السوفييتى لعام ١٩٣٦ .

ما هى الاشتراكية ؟ تعلم الماركسية-اللينينية ان الاشتراكية هى الطور الاول من التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية الشيوعية . وفى هذا الصدد قال لينين ان ما يسمى عادة بالاشتراكية قد سماه ماركس بالطور «الاول» او الادنى من المجتمع الشيوعى ؛ فبما ان وسائل

الانتاج تصبح ملكية عامة ، فان كلمة «الشيوعية» يمكن استعمالها هنا ايضا اذا لم ننس ان المقصود ليس الشيوعية الكاملة .

ان الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج بشكليها — ملكية الدولة والملكية التعاونية — هى اساس الاشتراكية الاقتصادى . ان الاشتراكية انما هى مجتمع كُتب على رايته «كل شيء من اجل الانسان ، لما فيه خير الانسان» . انها مجتمع :

— وسائل الانتاج فيه فى يد الشعب ، وقضى فيه الى الابد على استثمار الانسان للانسان ، والاضطهاد الاجتماعى ، وسلطة الاقلية المتميزة ، وفقر وجهل الملايين من الناس ؛

— انفتح فيه مجال واسع للغاية امام نمو القوى المنتجة نموا زاخما ومنهاجيا ، ويستتبع فيه التقدم العلمى والتكنيكى ارتفاع مستوى حياة الشعب كله باطراد وليس البطالة ؛

— تأمن فيه الحق المتساوى فى العمل ومجازاته وفقا للمبدأ القائل «من كل حسب

كفاءاته ولكل حسب عمله» ، ويتمتع فيه السكان بالنعم الاجتماعية ، ومنها الخدمات الطبية المجانية ، والتعليم ، والمسكن بالحد الادنى من بدل الايجار ؛

— قام وتوطد فيه التحالف الراسخ بين الطبقة العاملة والفلاحين الكولخوزيين والمثقفين ، ويتمتع فيه الرجال والنساء بحقوق متساوية وبضمانات لتحقيقها ، وانفتح فيه امام جيل الشباب طريق مأمون الى الغد ، وتأمن فيه الضمان الاجتماعى لقدماء العمل ؛

— قضى فيه على اللامساواة القومية ، وتأكدت فيه المساواة الحقوقية والفعلية والصداقة والاخوة بين جميع الامم والاقوام ؛

— اقيمت فيه وتتطور الديموقراطية الحقيقية اى السلطة التى يمارسها الشعب بنفسه من اجل الشعب ، وتأمن فيه اشتراك المواطنين اشتراكا واسعا وكامل الحقوق فى تصريف شؤون الانتاج والمجتمع والدولة ؛

— تمتلئ فيه افكار الحرية وحقوق الانسان وكرامة الفرد بمضمون فعلى ، وتتأمن فيه وحدة

الحقوق والواجبات ، وتفعل فيه قوانين وقواعد واحدة للاخلاق ، وانضباط واحد لاجل الجميع وكل فرد ، وتتكون فيه ظروف وشروط انسب فأنسب لاجل تطور الفرد من جميع النواحى ؛

— تسود فيه الايديولوجية الماركسية اللينينية الانسانية حقا ، وينفسح فيه المجال امام الجماهير الشعبية الى جميع ينابيع المعرفة ، وانشئت فيه ثقافة اشتراكية طليعية تنطوى على خير ما فى الثقافة العالمية ؛

— تكون فيه نمط الحياة الاشتراكى القائم على العدالة الاجتماعية ، والجماعية ، والتعاضد الرفاقى ، والذى يعطى انسان العمل الثقة فى الغد ، ويسمو به روحيا واخلاقيا بوصفه مبدع علاقات اجتماعية جديدة ، وسيد مصيره بالذات.

— ترتكز سياسته إلخارجية على مبادئ التعايش السلمى بين الدول بصرف النظر عن نظامها الاجتماعى . وهذه السياسة هى سياسة النضال فى سبيل السلام .

ترقية المجتمع الاشتراكى . لقد اجترح لينين مأثرة عظيمة للغاية فى رسم نظريـــة

الاشتراكية وفى تطبيق الاشتراكية . وقد رأى سلفا ان الاشتراكية ليست نظاما جاهزا ، وانها تمر فى تطورها بدرجات (مراحل ، اطوار) معينة من النضوج .

بعد انتهاء مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى بدأ طور الاشتراكية .

وحلت مرحلة بناء الاشتراكية المتطورة . وقد تبين ان هذه المرحلة اطول بالمقارنة مع المرحلة الانتقالية ؛ فقد دامت زهاء اربعين سنة — من اواسط الثلاثينيات حتى اواسط السبعينيات . الا ان الحرب الوطنية العظمى (١٩٤١ — ١٩٤٥) قطعت حبل بناء الاشتراكية المتطورة . وبعد الحرب ، بدأ بعث البلاد ؛ وبعد ذلك فقط ، شرع المجتمع السوفييتى بكامل قواه يواصل بناء الاشتراكية المتطورة . وفى اواسط السبعينيات ، دخلت البلاد مرحلة الاشتراكية المتطورة .

وهنا تجدر الاشارة ، اولا ، الى ان بناء الاشتراكية المتطورة وترقيتها باطراد يجريان على اساسها بالذات ، اى على اساس علاقات

الانتاج الاشتراكية ، على اساس القوانين والمبادئ الملازمة لها . ثانيا ، الاشتراكية المتطورة انما هى مرحلة مديدة تاريخيا فى تطور الاشتراكية ستكون لها اطوارها ، ودرجات نموها . ثالثا ، ترقية المجتمع الاشتراكى المتطور تعنى فى الوقت نفسه التقدم فى الطريق الى الشيوعية .

وقد اعطى دستور الاتحاد السوفييتى لعام ١٩٧٧ وصفا مسهبا للاشتراكية المتطورة وجوهرها ، واكد ان بناء الاشتراكية المتطورة مرحلة مشروعة ومحتمة فى الطريق الى الشيوعية . وفى هذه المرحلة تتطور الاشتراكية على اساسها بالذات حيث تتكشف بصورة اكمل فأكمل قوى النظام الجديد البناءة ، وافضليات نمط الحياة الاشتراكى الذى يتيح للشغيلة الاستفادة على نطاق اوسع من ثمار المكاسب الثورية .

ان الاشتراكية المتطورة انما هى مجتمع انشئت فيه قوى منتجة جبارة ، وعلم طليعى وثقافة طليعية ، وتتنامى فيه رفاهية الشعب على الدوام ، وتتكون فيه شروط وظروف انسب فأنسب

لاجل تطور الفرد من جميع النواحى .

انها مجتمع العلاقات الاجتماعية الاشتراكية الناضجة الذى تكونت فيه وحدة الناس التاريخية الجديدة — الشعب السوفييتى — على اساس التقارب بين جميع الطبقات وجميع الفئات الاجتماعية ، على اساس المساواة الحقوقية والفعلية بين جميع الامم والاقوام وعلى اساس التعاون الاخوى بينها .

انها مجتمع التنظيم الرفيع والاخلاص الفكرى العالى والوعى السامى لدى الشغيلة ، ذوى النزعة الوطنية والاممية .

انها مجتمع اصبح فيه حرص الجميع على خير كل فرد وحرص كل فرد على خير الجميع قانون حياته .

انها مجتمع الديموقراطية الحقيقية الذى يؤمن نظامه السياسى تصريف جميع شؤون المجتمع بصورة فعالة ، واشتراك الشغيلة بنشاط متزايد ابدا فى حياة الدولة ، واجتماع حقوق المواطنين وحرياتهم الفعلية مع واجباتهم ومسؤوليتهم امام المجتمع .

ان رفع مستوى حياة الشعب المادية والثقافية

باستمرار كان ولا يزال الهدف الاسمى لستراتيجية الحزب الاقتصادية . وبلوغ هذا الهدف فى المرحلة المقبلة يقتضى تسريع التطور الاجتماعى ، والاقتصادى ، والحد الاقصى من تكثيف الانتاج وزيادة فعاليته على اساس التقدم العلمى والتكنيكى . ويتعين رفع القوى المنتجة وعلاقات الانتاج الى درجة جديدة كيفيا ، وتسريع التقدم العلمى والتكنيكى بصورة جذرية ، وتأمين التقدم بسرعة فى الاتجاهات الستراتيجية لتطور الاقتصاد ، وبناء قدرة انتاجية توازى من حيث ابعادها كل القدرة المكدسة فى جميع السنوات السابقة من عهد السلطة السوفييتية .

ان الاشتراكية تعنى درجة عالية من نضوج كل نظام العلاقات الاجتماعية التى تتحول تدريجيا الى علاقات شيوعية . واليوم صار المجتمع السوفييتى مجتمعا ذا اقتصاد عالى التطور . وقد تعاظم الدخل الوطنى فى الاتحاد السوفييتى الى اكثر من ١٦ مرة بالمقارنة مع مستواه ما قبل الحرب ، وازداد انتاج المنتوجات الصناعية الى ٢٤ مرة . والصناعة فى الاتحاد السوفييتى تتطور

بضعفى سرعة تطورها فى الدول الرأسمالية الراقية .
وينتج الاتحاد السوفييتى اكثر من اى دولة اخرى فى العالم من الحديد والزهر والفولاذ والبترول والغاز والاسمنت والاسمدة المعدنية والآلات والجرارات والحاصدات الدارسات وكثير من اصناف المنتوج الاخرى . كذلك انشئت فروع صناعية جديدة ، منها الصناعة الذرية والصناعة الصاروخية الكونية والصناعة الالكترونية ، والصناعة الميكروبيولوجية . وتكونت او تتكون مجموعات انتاجية جبارة . وتغطت البلاد السوفييتية بشبكة متشعبة من خطوط الطاقة الكهربائية وخطوط انابيب البترول والغـــاز .
وعلى آلاف الكيلومترات امتدت القنوات ، وتحولت السهوب الجافة فيما مضى ، وصارت المستنقعات مثمرة ، خصبة . واحرز العلـــم والتكنيك السوفييتى نجاحات بارزة . وفى الاتحاد السوفييتى بنيت اول محطة كهرذرية فى العالم واول كاسحة جليد ذرية فى العالم ، واطلق اول قمر صناعى فى العالم . وكان المواطن السوفييتى يورى غاغارين اول انسان يرى الارض من اعالى المدار الكونى .

واتاح نهوض الاقتصاد بسرعة البدء بانعطاف نحو تلبية حاجات الشغيلة السوفييت بصورة اكمل . ازدادت المداخيل الفعلية بالفرد الواحد من السكان الى اكثر من ٦ امثال ما كانت عليه قبل الحرب . وتطور البناء السكنى على نطاق شاسع . واتسعت شبكة المستشفيات والمستوصفات ، ودور الحضانة وريـــــاض الاطفال .

ان المجتمع السوفييتى اليوم انما هو مجتمع التعليم الرفيع والثقافة العالية . فقبل الحرب لم يكن بين الشغيلة القائمين على الاغلب بالعمل البدنى سوى خمسة من كل مائة يملكون التعليم العالى او الثانوى ؛ اما الآن فقد ارتفعت هذه النسبة الى ٨٢ بكل مئة .

وفى الاتحاد السوفييتى حلت قضايا اجتماعية كبيرة جدا . وتوطد التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين . واكثر فاكثر تمحى الفوارق الجوهرية بين المدينة والريف ، بين العمل البدنى والعمل الفكرى . وازدهار الامم والقوميات يجتمع بصورة عضوية مع التقارب بينها من جميع

النواحى . ونشأت وحدة اجتماعية واممية جديدة لا سابق لها فى التاريخ هى الشعب السوفييتى .

ان المجتمع السوفييتى اليوم هو مجتمع الديموقراطية الحقيقية ، الفعلية ، واحترام كرامة المواطنين وحقوقهم . ويشترك الشغيلة فى شؤون بلدهم ، بصورة اوسع فأوسع وانشط فأنشط ، ويترقى نظام الادارة الذاتية الاشتراكية .

وهكذا يمر الطريق الى المستقبل الشيوعى عبر ترقية الاشتراكية وتحسينها من جميع النواحى ، عن طريق تطبيق. المذهب الذى اكده المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفييتى (سنة ١٩٨٦) لتسريع تنمية المجتمع الاشتراكى على الصعيد الاجتماعى والاقتصادى .

ان السبيل الذى اجتازته البلاد السوفييتية ، ومنجزاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية برهان مقنع على حيوية الماركسية—اللينينية وعلى الطاقة الهائلة الكامنة فى الاشتراكية .

آفاق بناء الشيوعية . اكد لينين : «. . .لا بد للاشتراكية من ان تتطور حتما وبصورة تدريجية

نحو الشيوعية . . .» * ولكن الشيوعية لا تنبع وتتطور من الاشتراكية الا تدريجيا ، عن طريق ترقية الاشتراكية المتطورة وتحسينها من جميع النواحي . وهذا التدرج يجب فهمه بمعنى ان التغيرات النوعية لا تتحقق دفعة واحدة ، بعمل واحد وحيد ، بل تتحقق بلا انقطاع ، باستمرار، عن طريق ترقية وتطوير الحياة الاجتماعية من جميع جوانبها .

ان سيادة الملكية الاجتماعية (العامة) لوسائل الانتاج فى ظل الاشتراكية والشيوعية تشترط فعل قوانين اقتصادية واحدة بالنسبة لهما ونعنى بها : قانون الاشتراكية الاقتصادى الاساسى ، قانون تطور الاقتصاد الوطنى تطورا منهاجيا ، قانون نمو انتاجية العمل بلا انقطاع ، والخ . . ان قانون التطور المنهاجى سيعرب عن الدرجة الشيوعية العليا فى التنظيم المخطط للانتاج الاجتماعى . وبقدر ما تتطور الاشتراكية ، بقدر ما يجتمع

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣١ ، ص ١٨٠

فعل القانون الاقتصادى للتوزيع حسب العمل ، بصورة عضوية اكثر فاكثر ، مع تلبية حاجات الشغيلة من صناديق الاستهلاك الاجتماعية . وفى ظل الشيوعية ، سيخلى هذا القانون المكان لقانون التوزيع حسب الحاجات .

وتطويرا للماركسية–اللينينية تطويرا خلاقا ، خلص الحزب الشيوعى السوفييتى الى القول ان الاتحاد السوفييتى يتواجد فى المرحلة الاولى من الاشتراكية المتطورة التى لا يمكن ان يحدد اطرها التاريخية غير التجربة ، غير الممارسة الحية . ولن يصل المجتمع الجديد الا بعد عدد كبير من السنين ، كما كتب لينين ، «الى ما هو حصيلة مقبلة للشيوعية المتطورة تماما والراسخة تماما والمكتملة والناضجة تماما . . .» *

ان الشيوعية انما هى نظام اجتماعى لاطبقى يتميز بملكية واحدة ، ملكية الشعب بأسره لوسائل الانتاج ، وبالمساواة الاجتماعية التامة

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤١ ، ص ٣٣ .

بين جميع اعضاء المجتمع ، حيث الى جانب تطور الافراد من جميع النواحى تتعاظم القوى المنتجة على اساس العلم والتكنيك المتناميين باستمرار ، وحيث تتدفق جميع ينابيع الثروة الاجتماعية بوفرة وغزارة ويتحقق مبدأ الشيوعية الاساسى : «من كل حسب كفاءاته ولكل حسب حاجاته» .

ان الشيوعية انما هى مجتمع عالى التطور لكادحين احرار وواعين تتوطد فيه الادارة الذاتية الاجتماعية ، ويصبح فيه العمل لخير المجتمع بالنسبة للجميع الحاجة الحيوية الاولى ، وضرورة مدركة ، وتطبق فيه كفاءات كل فرد باكبر نفع للشعب .

ان الشيوعية هى نتيجة منطقية ومحتمة للتاريخ . فان الحياة الاجتماعية للبشرية سترتفع الى مستوى جديد ، اعلى . ان الشيوعية ستصون وتختار خير واثمن ما صنعته اجيال البشر طوال قرون وقرون .

وهكذا تكون الشيوعية محتمة لا مناص منها بحكم مجرى التطور التاريخى بالذات . ولقد كانت الماركسية–اللينينية ولا تزال علما صحيحا ،

وفنا لا يضاهى للقيادة السياسية لابداع الجماهير الثورى .

ان حلول التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية الشيوعية بصورة محتمة محل التشكيلة الرأسمالية يجرى الآن بصورة العملية الثورية العالمية . وهذه العملية نشأت وتطورت ولا تزال تتطور بنجاح على اساس تمازج وتفاعل تيارات العهد المعاصر الثورية الجبارة الثلاثة عنينا بها بلدان الاسرة الاشتراكية ، والطبقة العاملة العالمية ، وحركة التحرر الوطنى .

نظام الاشتراكية العالمى — القوة الحاسمة لتجديد العالم بالسبيل الثورى

جوهر نظام الاشتراكية العالمى ومراحل تطوره وسماته الاساسية . ايقظت الماركسية-اللينينية وحركت قوى التقدم الاجتماعى الجبارة . وبدأ تجديد العالم بالسبيل الثورى . وجاء نشوء نظام الاشتراكية العالمى تجسيدا للنظرية الماركسية اللينينية ، وعملية تاريخية مشروعة ومحتمة .

ونظرا لهذا ، نود لو نسوق حديث لينين مع الصحفى الفرنسى نادو . كان ذلك فى شباط (فبراير) ١٩١٩ فى الكرملين . سأل نادو عمن سيكون له المستقبل ، فأجاب لينين : «مستقبل العالم ؟ انا لست نبيا . ولكن هناك امر يمكن قوله بيقين ... النظام القديم محكوم عليه بالزوال . البشرية تمضى حتما الى الاشتراكية» * .

ان انتصار الثورات الاشتراكية فى عدد من بلدان اوروبا وآسيا واميركا اللاتينية هو اكبر حدث فى التاريخ العالمى بعد اكتوبر ١٩١٧ . فقد تخطت الاشتراكية حدود بلد واحد ، وتحولت الى نظام اجتماعى اقتصادى عالمى . ومنطقة الرأسمالية على خريطة العالم الجغرافية اشبه بجلد محبب . وهذه المنطقة تتقلص بلا انقطاع بسبب ظهور دول فيها تعلن ان بناء الاشتراكية هدفها .

يشمل نظام الاشتراكية العالمى : الاتحاد السوفييتى ، البانيا ، بلغاريا ، بولونيـــــا ،

---

* لينين . اخبار من سيرة الحياة . موسكو ، ١٩٢٥ ، المجلد ٦ ، ص ٤٩٨

تشيكوسلوفاكيا ، جمهورية المانيا الديموقراطية ، جمهورية الصين الشعبية ، جمهورية كوريـــا الديموقراطية الشعبية ، رومانيا ، الفييتنام ، كوبا ، لاوس ، المجر ، منغوليا ، يوغوسلافيا . ومن حيث مساحة الاراضى ، يشغل نظام الاشتراكية العالمى ٣٥,٢ مليون كيلومتر مربع او زهاء ٣٠ بالمئة من مجمل مساحة الارض . ويبلغ عدد سكانه زهاء مليار و٥٠٠ مليون نسمة او اكثر من ٣٣,٧ بالمئة من جميع سكان الارض . ويبلغ نصيبه فى الانتاج الصناعى العالمى ٤٠ بالمئة ، او ٧٠ بالمئة من المنتوج الصناعى فى البلدان الرأسمالية المتطورة اقتصاديا .

ان الاشتراكية العالمية انما هى تشكيلة عالمية جبارة ترتكز على اقتصاد رفيع التطور ، وقاعدة علمية متينة ، وقدرة عسكرية وسياسية مأمونة . وهى اكثر من ثلث البشرية ، وعشرات البلدان والشعوب السائرة فى طريق كشف ثروات الانسان والمجتمع الفكرية والاخلاقية من جميع النواحى . وقد نشأ نمط حياة جديد ، يعتمد على مبادئ العدالة الاشتراكية ، ولا وجود فيه لا للمضطهِدين

ولا للمضطهَدين ، لا للمستثمِرين ولا للمستثمَرين ، وتعود فيه السلطة للشعب . وسماته المميزة هى الجماعية والتعاضد الرفاقى ، وانتصار افكار الحرية ، والوحدة الراسخة التى لا تنفصم عراها بين حقوق وواجبات كل من اعضاء المجتمع ، وكرامة الفرد ، والمسحة الانسانية الحقيقية .

تتبدى ثلاث مراحل فى نشوء وتطور نظام الاشتراكية العالمى . المرحلة الاولى (١٩٤٥ — ١٩٤٩) ارست اساس التعاون الاقتصادى والسياسى والايديولوجى والثقافى بين البلدان الاشتراكية . وقد عقدت معاهدات للصداقة والتعاون بين الاتحاد السوفييتى وبلدان الديموقراطية الشعبية ، كما عقدت معاهدات بين هذه البلدان ذاتها . وفى تلك المرحلة اتسمت المعاهدات والاتفاقيات اساسا بطابع ثنائى .

المرحلة الثانية (١٩٤٩ — ١٩٥٩) تتصف بالنجاحات الكبيرة فى بناء الاشتراكية ، واقامة علاقات اقتصادية وسياسية وثقافية متينة بين البلدان الاشتراكية ، الامر الذى اشترط الانتقال من العلاقات الثنائية الى التعاون المتعدد الاطراف.

وعلى امتداد المرحلة الثانية ، استمر تلاحم البلدان الاشتراكية فى الميدان السياسى ، الامر الذى انعكس فى معاهدة فرصوفيا للصداقة والتعاون المعقودة فى ١٤ ايار (مايو) ١٩٥٥ ووقعتها بلغاريا والمجر وجمهورية المانيا الديموقراطية وبولونيا ورومانيا والاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا والبانيا (وفيما بعد خرجت البانيا رسميا من منظمة معاهدة فرصوفيا فى سنة ١٩٦٨) . وقد عقدت هذه المعاهدة الدفاعية كمقابل لكتلة الناتو (منظمة معاهدة الاطلسى الشمالى) العدوانية . وفيما بعد ، انشئت اللجنة الاستشارية السياسية لمنظمة معاهدة فرصوفيا وهى هيئة دولية جماعية تضم قادة الاحزاب الشيوعية والعمالية ، ورؤساء الحكومات ووزراء الخارجية ووزراء الدفاع فى البلدان المشتركة فى المعاهدة .

المرحلة الثالثة من تطور نظام الاشتراكية العالمى (١٩٦٠ — حتى الوقت الحاضر) تتصف بالنجاحات الكبيرة فى توطيد الاشتراكية وفى ترقيتها باطراد . وفى الاتحاد السوفييتى بنى المجتمع الاشتراكى المتطور ؛ وشرعت

جملة من البلدان الاشتراكية الاوروبيــــة فى بناء الاشتراكية المتطورة ؛ وفى بعض البلدان يحالف النجاح ارساء اسس النظام الاشتراكى ؛ ويستمر تعميق التعاون بين البلدان الاشتراكيــة فى جميع الميادين .

وانخرطت جمهورية كوبا فى طريق بناء الاشتراكية . ومن جراء انتصار القوى الديموقراطية الشعبية تم توحيد الفييتنام الشمالية والفييتنام الجنوبية على اسس الاشتراكية . وانضمــــت جمهورية لاوس الديموقراطية الشعبية الى الاسرة الاشتراكية المتآخية .

اما السمات الاساسية الملازمة لنظــــام الاشتراكية العالمى فهى التالية . اولا ، تلازمه احادية نموذج الاساس الاقتصادى ، اى سيادة الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج بشكليها — شكل ملكية الدولة او ملكية الشعب بأسره ، وشكل الملكية التعاونية–الفئوية ؛ وكذلك النظام الاشتراكى لادارة الاقتصاد . وهنا تفعل فعلها القوانين الاقتصادية الملازمة للاشتراكية ، وينبثق نظام علاقات الانتاج الاشتراكية فى داخل الدول

الاشتراكية ، وتتطور العلاقات الاقتصادية الدولية سواء فى ميدان الانتاج ام فى ميدان التوزيع والتبادل . وعلى اساس الوحدة الاقتصادية ، تنشأ قوانين اقتصادية خاصة ، متميزة ، بينها قانون تساوى مستويات التطور الاقتصادى فى البلدان الاشتراكية ، وقانون التقريب بين الاقتصادات الوطنية على صعيد التطور فى اتجاه بناء الاقتصاد الاشتراكى العالمى الواحد ، وقانون التكامل الاقتصادى .

ثانيا ، يتصف نظام الاشتراكية العالمى باحادية نموذج السلطة السياسية وبوحدة الايديولوجية . فان القوة القائدة والموجهة فى دول نظام الاشتراكية العالمى انما هى الاحزاب الماركسية اللينينية التى توحد وتربى وتنظم جميع الشغيلة حول طليعة الطبقة العاملة وتوجه نشاط الجماهير الشعبية الى اداء مهمات البناء الاشتراكى .

ومن تجربة تحويل العالم بالسبيل الثورى فى عهدنا ينبع درس مهم مفاده ان انتصارات شيوعيى البلدان الاشتراكية ترتبط بعرى لا انفصام لها بتطبيق الماركسية-اللينينية تطبيقا خلاقا ومبدئيا

فى النشاط العملى . اما الاخطاء والهفوات والنواقص والاخفاقات والتأخر والمماطلة فى تطور هذه او تلك من بلدان الاشتراكية ، فانها نتيجة لمعرفة الماركسية—اللينينية معرفة سيئة ، واما نتيجة للانحراف عنها تحت ضغط الافكار الانتهازية او تحت ضغط النزوات القومية ، واما نتيجة للتأخر فى تطوير النظرية ، وللاستعاضة عنها بتفسير جامد للموضوعات اللينينية ، واما ، اخيرا ، نتيجة لتطبيق الافكار والمبادئ الاساسية فى الماركسية—اللينينية بدون مهارة وبدون حزم .

ثالثا ، من السمات المميزة الملازمة لنظام الاشتراكية العالمى ، وحدة المصالح فى الدفاع عن المكاسب الثورية ، والهدف المشترك من نضال شغيلة البلدان الاشتراكية فى سبيل بناء المجتمع الشيوعى فى كل بلد ، وتوطيد نظام الاشتراكية العالمى بمجمله ، والنضال من اجل انتصار الشيوعية على الصعيد العالمى .

كل هذا يدل على ان نظام الاشتراكية العالمى يملك افضليات هائلة يتفوق بها على الرأسمالية . وفيه يتركز تقدم البشرية فى كل

مرحلة تطوره . ولا بد لهذا النظام من ان يحل محل نظام الرأسمالية المتعفن ويتوطد فى عموم الكرة الارضية .

ان سمات الاشتراكية العالمية تتبدى بصورة قوانين فى جميع ميادين العلاقات بين البلدان الاشتراكية : الاقتصادى ، والعلمى والتكنيكى والسياسى وفى ميدان الايديولوجية والثقافة .

وفى الوقت نفسه توجد فى تطور نظام الاشتراكية العالمى ملابسات وتعقيدات لا يستهان بها ، بل تقع احيانا الاخطاء . فان تطور نظام الاشتراكية العالمى عملية متعددة الجوانب مرتبطة بتذليل القضايا الكبيرة والصغيرة ذات الطابع الموضوعى والذاتى .

ان العلاقات والتعاون تنضبط بين بلدان ذات مستويات اقتصادية مختلفة ، وتقاليد وعلاقات تاريخية وثقافية مختلفة ، وبنيات اجتماعية مختلفة ، والخ . . ولكن نظـــام الاشتراكية العالمى يتصف بكونه ينفى اضطهاد شعب لشعب آخر . ومرد ذلك الى غياب التناقضات الطبقية التناحرية فى العلاقات بين

البلدان الاشتراكية . وقد سبق ان كتب كارل ماركس : «لكى تتمكن الشعوب من الاتحاد فعلا ، لا بد ان تكون عندها مصالح مشتركة . ولكى تكون مصالحها مشتركة ، يجب القضاء على علاقات الملكية القائمة ، لان علاقات الملكية القائمة تشترط استثمار شعوب من قبل شعوب اخرى . . . ان انتصار البروليتاريا على البرجوازية يعنى فى الوقت نفسه تذليل جميع النزاعات القومية والصناعية التى تخلق فى الوقت الحاضر العداء بين الشعوب» * .

ان الاممية الاشتراكية القائمة فى اساس العلاقات بين البلدان الاشتراكية تعنى الجمع بين مصالح كل بلد ومصالح الاسرة جمعاء ، وتنسيق المبدأ الوطنى والمبدأ الاممى ، وتطوير التعاون والتعاضد فى جميع ميادين الاقتصاد والسياسة والايديولوجية . ان الاممية الاشتراكية تفترض تطبيق مبادئ المساواة فى الحقوق والنفع

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ، ٤ ، ص ٣٧١

المتبادل بين جميع بلدان الاشتراكية وسيادتها واستقلالها ، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية تطبيقا دائبا . وهذه المبادئ تكتمل بالتعاون الرفاقى والتضامن البروليتارى والنضال المشترك من اجل الاشتراكية والشيوعية .

الاسرة الاخوية . ان الاسرة الاخوية التى تضم دول نظام الاشتراكية العالمى تتسم بالأهمية الرائدة والمحددة لاجل تطور هذا النظام . فهى لا تعرب عن حالة الوحدة الموضوعية بين البلدان الاشتراكية وحسب ، بل تعرب ايضا عن وجود علاقات وثيقة ، ودية ، مقامة ومضبوطة عن وعى بينها على صعيد الحزب والدولة وعن وجود اعمال تضامنية منسقة معا فى المسرح العالمى والدولى ، وعن وجود التعاون الواسع فى جميع ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة . والعلاقات بين الدول ، الملازمة لطبيعة الاشتراكية ، مجسدة باكمل نحو فى الاسرة الاشتراكية . وهذه الاسرة هى صورة مجسدة للطراز الجديد ، الاشتراكى ، للعلاقات الدولية بين دول سيدة ، متساوية فى

الحقوق ، ترصها وحدة المصالح والاهداف الجذرية ، والايديولوجية الماركسية اللينينية ، وتشدها بعضها الى بعض عرى التضامن والتعاضد الرفاقى والتعاون فى جميع الميادين .

والى هذه الاسرة تنتسب الآن الدول الاعضاء فى مجلس التعاون الاقتصادى (م‌ت‌ا) الذى تأسس عام ١٩٤٩ . وهذا المجلس يضم : بلغاريا ، المجر ، الفييتنام ، جمهورية المانيا الديموقراطية ، كوبا ، منغوليا ، بولونيا ، رومانيا ، الاتحاد السوفييتى ، تشيكوسلوفاكيا . ولجميع البلدان المنضمة الى م‌ت‌ا ، تمثيل متساو ، وصوت متساو بصرف النظر عن مساحة اراضيها وعدد سكانها . ان م‌ت‌ا ، مع بقائه منظمة مفتوحة ، يتعاون بنشاط مع يوغوسلافيا ، ويطور اتصالاته مع جمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ، وانغولا واثيوبيا . والبلدان المشتركة فى م‌ت‌ا تتعاون مع اكثر من ٩٢ دولة نامية ، وتقيم علاقات مع ٦٠ هيئة دولية .

والهدف الرئيسى الذى يبتغيه م‌ت‌ا ، بموجب ميثاق هذه المنظمة الدولية ، هو الاسهام ،

عن طريق توحيد وتنسيق جهود دول م‌ت‌ا ، فى تطوير اقتصاداتها الوطنية بصورة منهاجية ، وتعجيل التقدم العلمى والتكنيكى ، ورفع مستوى تصنيع البلدان ، وانماء انتاجية العمل بلا انقطاع ، ورفع مستوى رفاهية الشعوب بلا انقطاع .

وعند تأسيس م‌ت‌ا ، تنبأ له الساسة والاقتصاديون البرجوازيون بالفشل ، والتشوش ، وقلة الفعالية . ولكنهم اخطأوا وخابت آمالهم .

والاسرة الاشتراكية هى اليوم عبارة عن مركب اقتصادى جبار . ففى بلدان م‌ت‌ا يعيش ٤٥٥ مليون نسمة اى زهاء عشر سكان الكرة الارضية ، ولكن هذه البلدان تنتج زهاء ٢٥ بالمئة من الدخل الوطنى العالمى و٣٣ بالمئة من المنتوج الصناعى العالمى . ويبلغ نصيب بلدان م‌ت‌ا ثلث الطاقة العلمية والتكنيكية العالمية . وفى سنة ١٩٨٤ ازداد الدخل الوطنى فى البلدان اعضاء م‌ت‌ا الى اكثر من ٨,٦ مرات بالقياس الى سنة ١٩٥٠ وازداد حجم انتاجها الصناعى الى ١٤ مرة .

ان الاسرة الاشتراكية انما هى تحالف من

طراز جديد تماما . فهى لم تتأسس على وحدة مصالح دول عدد من البلدان وحسب ، بل هى أيضا عبارة عن عائلة اخوية من شعوب تقودها احزاب ماركسية لينينية ، وترصها عقيدة مشتركة ، واهداف سامية مشتركة ، وعلاقات التضامن الرفاقى والدعم المتبادل . ان الاسرة الاشتراكية انما هى تحالف يعتمد على وحدة ثابتة دائبة فى المواقف والافعال ، الامر الذى يمنح كلا من المشتركين فيه قوة اضافية لاجل حل القضايا الوطنية ويزيد مرارا عديدة وزنها وتأثيرها الاجمالى فى الشؤون العالمية .

كيف يقوم التعاون الاقتصادى فى م‌ت‌ا ؟

انه يقوم قبل كل شيء على مبادئ التقسيم الاشتراكى الدولى للعمل ، الذى ينشأ ويتكون ويتطور نتيجة لقيام وتوطد الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج ، ولفعل القوانين الاقتصادية الملازمة للاشتراكية فى داخل كل من البلدان وعلى صعيد النظام الاشتراكى العالمى . وفى ظل الاشتراكية يتميز التقسيم الدولى للعمل بمبدأ المنهاجية الذى يؤمن لكل من البلدان الاشتراكية

المشتركة فى مت‌ا ضمان تصريف اصناف المنتوجات التى يختص فى انتاجها ، كما يؤمن له الحصول فى الوقت المناسب على ما يلزمه من التجهيزات والآلات والخامات والمواد وسائر وسائل الانتاج من الدول الاشتراكية الاخرى . ان التقسيم الاشتراكى الدولى للعمل يحسن الاستفادة من الموارد الوطنية من الايدى العاملة والمواد ، ويسهم فى زيادة الانتاج فى كل بلد ، وفى تخفيض كلفة المنتوجات ، وكذلك فى رفع مستوى نوعية العمل وفى انماء انتاجية العمل . وبالنتيجة ، يتم التوصل الى توزيع القوى المنتجة بصواب وعقلانية فى الاقتصاد الاشتراكى العالمى والى اقامة انفع النسب الاقتصادية .

وعلى اساس التقسيم الاشتراكى الدولى للعمل بين البلدان الاشتراكية الاعضاء فى مت‌ا ، يتطور تكاملها الاقتصادى . ان الحزب الشيوعى السوفييتى ينادى بمواصلة تعميق التكامل الاقتصادى الاشتراكى بوصفه القاعدة المادية لتلاحم بلدان الاشتراكية . وهو يعلق اهمية خاصة على توحيد جهود البلدان الشقيقة بانسجام ومثابرة فى الاتجاهات

الاساسية لتكثيف الانتاج وتسريع التقدم العلمى والتكنيكى ، لاجل التوصل الى حل مشترك للمهمة التاريخية الشأن القاضية ببلوغ الخطوط الامامية فى ميدان العلم والتكنيك بغية رفـــع مستوى حياة شعوبها لاحقا وتوطيد امنها .

ما هو التكامل الاقتصادى الاشتراكى ؟ انه عبارة عن عملية تضبطها الاحزاب الشيوعية والعمالية وحكومات البلدان اعضاء م‌ت‌ا ، بصورة واعية ومنهاجية ، للتقريب بين اقتصاداتها ، ولتكوين بنية عصرية وعالية الفعالية للاقتصادات الوطنية ، والتقريب والتسوية بين مستويات تطورها الاقتصادى بصورة تدريجية . ان هذه العملية تجرى على اساس تكوين علاقات عميقة وثابتة تكوينا واعيا فى الفروع الاساسية من الاقتصاد والعلم والتكنيك ، وتوسيع وتوطيد السوق الدولية لهذه البلدان ، وترقية العلاقات البضاعية النقدية .

ان اتسام الحياة الاقتصادية بالسمة الدولية ، اى موضوعية قيام وتوسع وتعمق التبعية الاقتصادية المتبادلة بين الدول من جراء تعمق واتسام الانتاج بالسمة الاجتماعية ، يشكل الاساس

المادى للتكامل الاقتصادى الاشتركى . ان التكامل الاقتصادى الاشتراكى عملية مديدة ومعقدة . وهو يفترض القدرة على ايجاد اصوب الحلول التى تتجاوب ، لا مع مصالح بلد بعينه وحسب ، بل ايضا مع مصالح جميع المشتركين فى التعاون . وهو يقتضى الاسترشاد الثابت باحدث منجزات العلم والتكنيك ، واصناف الانتاج الاكثر ريعية والطليعية من الناحية التكنيكية .

ان التكامل الاقتصادى الاشتراكى يتعمق ويتسع على الدوام . وفى الوقت الحاضر ، تركز البلدان اعضاء م‌ت‌ا انتباهها على حل قضايا بالغة الاهمية ؛ منها تطوير صناعة توليد الطاقة الكهربائية ؛ وزيادة موارد الوقود والخامات ، والاستفادة العقلانية منها ؛ ورفع نوعية منتوجات صناعة بناء الآلات ومستواها التكنيكى ؛ وتعزيز التعاون فى انتاج الاصناف التقدمية من الآلات والتجهيزات ؛ وتوسيع اصناف بضائع الاستهلاك وتحسين نوعيتها . والى هذا ترمى برامج التعاون الهادفة الطويلة الاجل التى ترسمها بلدان م‌ت‌ا

بصورة مشتركة .

في السنوات الاخيرة عكفت البلدان اعضاء م‌ت‌ا على وضع خطة منسقة من اجراءات تكاملية متعددة الجوانب ، وعلى وضع برامج بعيدة المدى للتخصص والتعاون فى الانتاج فى سنوات ١٩٨١ — ١٩٩٠ . واقرت البرنامج الشامل المشترك للتقدم العلمى والتكنيكى للبلدان اعضاء مجلس التعاون الاقتصادى حتى سنة ٢٠٠٠ . وفى جدول الاعمال ترد مسائل متنوعة منها التقريب بين بنيات الآليات الاقتصادية ، والاستمرار فى تطوير العلاقات المباشرة بين الوزارات والاتحادات والمؤسسات المشتركة فى التعاون ، وتأسيس شركات مشتركة ؛ ومن الممكن ايضا قيام اشكال اخرى لتوحيد الجهود والموارد .

يساعد التكامل الاقتصادى الاشتراكى البلدان اعضاء م‌ت‌ا فى حل مسائل تطورها الاقتصادى حلا ناجحا ، وفى تعميق وزيادة فعالية جميع اشكال التعاون الاقتصادى . ويولى اهمية خاصة حل القضايا المتعلقة بنقل الاقتصاد بخطوات

متسارعة الى طريق التطور المكثف ، وزيادة فعاليته ، وتأمين نمو الانتاج الاجتماعى باطراد ، بوصفه الاساس لتوطيد القاعدة المادية والتكنيكية للمجتمع الاشتراكى ولانماء رفاهية الشعب ، ورفع نوعية المنتوج ، ولتطوير الانتاج المعد للتصدير ، وتوزيع القوى المنتجة بمزيد من الصواب .

ان التقريب التدريجى بين شعوب وبلدان الاشتراكية يتسم بطابع شامل ، متعدد الاصعدة . ففى ميدان الاقتصاد ، يعنى هذا تطوير التكامل الاقتصادى الاشتراكى . وفى الميدان الاجتماعى والسياسى ، يعنى هذا تطوير وترقية النظام الاشتراكى . وفى ميدان السياسة الخارجية ، يعنى هذا السير على نهج متفق عليه ، منسق ، يرمى الى توطيد السلام والصداقة بين الشعوب ، وتعميق الانفراج الدولى . وفى ميدان الايديولوجية ، يعنى هذا توطيد العقيدة الماركسية اللينينية باطراد . وجميع جوانب هذه العملية مترابطة فيما بينها .

وفى العلاقات بين البلدان الاشتراكية يمر ما يشبه خطين متفاعلين . من جهة ، يسعى

كل من هذه البلدان الى توطيد استقلاله السياسى وسيادته الوطنية ، والى تطوير اقتصاده الوطنى وثقافته . ومن جهة اخرى ، تدفع الحياة هذه البلدان الى التعاون والتقارب اكثر فاكثر فيما بينها . وان الجمع المتناسق بين هاتين العمليتين ، والجمع الوثيق بين الاهداف الوطنية والاهداف الاممية يتجاوبان سواء مع مصالح كل من البلدان ام مع مصالح الاسرة الاشتراكية جمعاء .

ان التعاون والتقارب بين البلدان الشقيقة فى مختلف الميادين ينبعان من المقتضيات الموضوعية بتطور النظام الاشتراكى . والاحزاب الشيوعية الحاكمة هى التى تنظمهما وتوجههما على اساس معرفة قوانين الاشتراكية العالمية معرفة عملية . ان نظام الاشتراكية العالمى هو القوة الحاسمة فى النضال ضد الامبريالية ، وحصن السلام والديموقراطية والتقدم الاجتماعى .

الحركة الشيوعية والعمالية العالمية

الحركة الثورية للطبقة العاملة . تمارس الطبقة

العاملة المسلحة بالماركسية-اللينينية التأثير الحاسم فى مجرى التاريخ وتعجله . وتتحقق كليـــا استنتاجات ماركس وانجلس ولينين بصدد دور الطبقة العاملة التاريخى . فقد اثبتت الطبقة العاملة فى الواقع قدرتها على خوض النضال ضد نظام الاستثمار الرأسمالى ، وترؤس نضال الشعب من اجل الحرية والمساواة ، وتأمين انتصار الاشتراكية ، بالاعتماد على الخبرة التاريخية الهائلة المكدسة فى المعارك الطبقية .

ان الحركة العمالية بوصفها قوة سياسية مستقلة قد انبثقت على التخوم بين الثلث الاول والثلث الثانى من القرن التاسع عشر ، عندما بلغ النضال الطبقى بين البروليتاريا والبرجوازية درجة كبيرة من الحدة . وفى السبيل الثورى احرزت الطبقة العاملة نجاحات تاريخية . وجاء انشاء وتوطيد نظام الاشتراكية العالمى تتويجا لنضالها . وتحولت الطبقة العاملة الحاكمة الى قوة جبارة للتقدم الاجتماعى .

فى البلدان الرأسمالية المتطورة ، تشكل الطبقة العاملة القوة الثورية الاساسية . وقـــد

قدر لينين رفيع التقدير بروليتاريا الدول الصناعية واشار الى انها «أملنا الرئيسى ، سندنا الرئيسى . . .» *

ولهذا يتسم بأهمية كبيرة فى العملية الثورية العالمية المعاصرة نضال الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية دفاعا عن مصالحها الاقتصادية والسياسية والثقافية اليومية ، وعن الحقوق والحريات الديموقراطية ، ومن اجل دك الرأسمالية وبناء المجتمع الاشتراكى .

وفى عهد الامبريالية يستمر الميل الى نمو صفوف الطبقة العاملة ، وتحولَ ذوى العمل الفكرى وجميع السكان الى بروليتاريين . ففى اواسط القرن الماضى ، كانت الطبقة العاملة تتألف اجمالا من ٩ ملايين شخص ، وفى اوائل القرن العشرين من قرابة ٣٠ مليون شخص ؛ اما فى اوائل الثمانينيات ، فقد بلغ تعدادها اكثر من ٦٠٠ مليون شخص . وتشكل الطبقة

---

* لينين المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٧ ، ص ٣٦٣

العاملة ثلثى السكان العاملين فى البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا . ولكن العدد لا يبت فى الامر ، كما اشار ماركس ، الا اذا شمل التنظيم الجماهير وقادتها المعرفة .

فما هى العوامل الموضوعية التى تقرر سلفا اشتداد نضال الطبقة العاملة باطراد فى سبيل تجديد العالم على اسس الاشتراكية ؟

اولا ، يصبح العمل والانتاج فى ظل الرأسمالية اجتماعيين اكثر فاكثر من حيث طابعهما ، بينما يظل امتلاك نتاج العمل المشترك خاصا . قال لينين : «فالرأسمالية فى مرحلتها الامبريالية توصل رأسا الى اعطاء الانتاج صبغة اجتماعية شاملة ، وهى تجر الرأسماليين ، ان امكن القول ، رغم ارادتهم وادراكهم ، الى نظام اجتماعى جديد ، انتقالى من حرية المزاحمة التامة الى الاصطباغ التام بالصبغة الاجتماعية» * . ان الرأسمالية تحاول ان تتكيف

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ٣٢٠ — ٣٢١ .

للظروف المتغيرة ، وتفتش عن اشكال جديدة لسيادتها ، وتغير تلاوينها . ولكنها عاجزة عن التملص من تناقضها الاساسى .

ثانيا ، يشتد التناحر بين العمل والرأسمال . ترتفع درجة استثمار الطبقة العاملة ، ويتفاقم الفرق بين مستوى اجور الشغيلة وارباح الاحتكارات . ان البرجوازية الاحتكارية تحاول ان تنتزع من الشغيلة حتى تلك المكاسب التى تم الحصول عليها فى غمرة النضال المديد والعنيد والتى تعكس الحاجات الحيوية للجماهير الشعبية .

ثالثا ، تسهم تناقضات النظام الرأسمالى فى نمو الوعى الطبقى والميول المعادية للامبريالية ، وتسفر فى آخر المطاف عن بعث النشاط السياسى لدى الجماهير وفى المقام الاول منها الطبقة العاملة .

ان اشتداد نضال الطبقة العاملة وجميع الشغيلة فى بلدان الرأسمالية يجد تعبيرا ساطعا فى نهوض الحركة الاضرابية . وفى الوقت الحاضر بلغ هذا النضال مستوى عاليا جدا . وفى الثمانينيات اتسمت المعارك الطبقية بسمة

مميزة هى ان حلقة المطالب السياسية للطبقة العاملة قد اتسعت كثيرا . ويزداد عدد المشتركين فى الاعمال السياسية بوتائر اسرع من ازدياد عدد المضربين لاسباب اقتصادية . وفى سنوات ١٩٨٠ — ١٩٨٤ اشترك سنويا فى النزاعات السياسية الطابع ، بالمتوسط ، زهاء ٤٤ مليون شخص ، بينما اشترك فى سنوات ١٩٧٥ — ١٩٧٩ اكثر من ٣١ مليون شخص بقليل . ومع هذه الزيادة تنمو نسبة الافراد المشتركين فى المصادمات السياسية مع البرجوازية ، فى مجمل عدد المضربين . وفى سنوات ١٩٧٥ — ١٩٧٩ ، بلغ هذا المؤشر ٥٥ بالمئة ، وفى سنوات ١٩٨٠ — ١٩٨٤ بلغ اكثر من ٧٠ بالمئة .

وفى الظروف الراهنة لنهوض نضال البروليتاريا ما تنفك مواقع الاحزاب الشيوعية تتوطد وتترسخ .

الحركة الشيوعية . الحركة الشيوعية هى المعبر عن المصالح الجذرية للطبقة العاملة وجميع الشغيلة . وهى قوة سياسية يرتكز نشاطها على

النظرية العلمية ، نظرية الماركسية اللينينية ، ويتناسب مع قوانين التقدم الاجتماعى الموضوعية . وقد بيّن التاريخ ان الاحزب الشيوعية وحدها هى التى تستطيع ان ترسم السبيل الصحيح للتحويلات الاجتماعية ، وتلهم وتشجع الجماهير على الابداع الثورى .

تعرب الحركة الشيوعية عن النظرات الاكثر تقدما ، وتوجه النضال من أجل تحقيق حلم البشرية المزمن — من اجل الشيوعيـــــة .

لقد بدأ تاريخ الحركة الشيوعية من المنظمة الشيوعية الاولى التى اسسها ماركس وانجلس سنة ١٨٤٧ — عصبة الشيوعيين — ومن وثيقتها البرنامجية الاولى الصادرة سنة ١٨٤٨ — وهى بيان الحزب الشيوعى . وبدأ تطور الحركة الشيوعية العالمية العاصف بعد انتصار ثورة اكتوير الاشتراكية العظمى . ففى سنة ١٩١٨ ، كان فى العالم ١٠ احزاب شيوعية وعمالية فقط ، وفى سنة ١٩٢٨ ارتفع عددها الى ٤٦ ؛ وفى الوقت الحاضر تقوم الاحزاب الشيوعية فى ٩٥ بلدا . وفى غضون ٦٥ سنة (١٩١٧ — ١٩٨٢)

ازداد عدد الشيوعيين اكثر من ٢٠٠ مرة — من ٣٠٠ الف الى زهاء ٧٨ مليونا ، وذلك رغم الضحايا الفادحة التى تكبدتها الاحزاب الشيوعية والعمالية فى النضال ضد الرجعية والفاشية .

ان تعاظم دور الحركة الشيوعية العالمية قانون موضوعى من قوانين التطور الاجتماعى المعاصر . ومرد هذا ، اولا ، الى ان الشيوعيين ، بتحقيقهم حلم البشرية المزمن فى مجتمع خال من الاستثمار ، قد طبقوا نظرية الشيوعية العلمية فعلا فى ممارسة بناء الاشتراكية والشيوعية ؛ ثانيا ، الى ان الاحزاب الشيوعية فى العالم اجمع ، التى تجمع بينها وحدة الاهداف ، تبرز وتعمل كقوة سياسية واحدة ، متراصة ؛ ثالثا ، الى ان الاممية والنضال الدائب فى سبيل السلام يؤمنان للحركة الشيوعية العالمية الدور الطليعى فى الحركة العمالية ، والحركة الديموقراطية ، وحركة التحرر الوطنى ، يسترعيان انتباه جميع قوى السلام . والاحزاب الشيوعية والعمالية مناضلة نشيطة من اجل حقوق الشغيلة ، من اجل السلام وأمن الشعوب .

ان الماركسية–اللينينية هى ينبوع بالغ الاهمية لقوة الحركة الشيوعية وحيويتها . ولقد قدم تاريخ المذهب الماركسى على مدى قرن مضى منذ نشوئه البرهان المقنع على انه كان المذهب الوحيد القادر على ان يحدد بصورة صحيحة السبل العامة والقوى المحركة للتقدم الاجتماعى . وعلى اساس تحليل قوانين التطور العامة تحليلا نظريا ، يوجه الشيوعيون الطبقة العاملة فى جميع الظروف الملموسة ايا كانت . وهم يجدون ، حتى فى اصعب الاوضاع ، الجواب الصحيح عن المسائل التى تطرحها الحياة . ان الاحزاب الشيوعية انما هى القوة الوحيدة فى العالم التى تملك ستراتيجية وتكتيكا معللين علميا للنضال فى سبيل الثورة ، فى سبيل انتصار الاشتراكية والشيوعية .

ان الحركة الشيوعية حركة اممية . فكل حزب تربطه عرى القرابة الطبقية ، ووحدة المبادئ الايديولوجية واهداف النضال النهائية بالحركة جمعاء . وفى الوقت نفسه يتصرف كل حزب فى وضع خاص ، متميز .

ولقد اشار مؤسسو الماركسية–اللينينية غير مرة الى انه ينبغى للشيوعيين ان لا يغيب عن بالهم ابدا مبدأ اممية الحركة العمالية . وقد اعتبروا ان الاسس المبدئية لسياسة الحركة العمالية الثورية وستراتيجيتها وتكتيكها ، المنطلقة من معرفة القوانين العامة لتطور الثورة ولبناء الاشتراكية ترتبط بالاممية البروليتارية بعرى لا انفصام لها . ولهذا يجمع الشيوعيون هذه المعرفة ، بالاعتماد على القوانين الموضوعية لتطور المجتمع ، مع مراعاة الظروف والتقاليد الملموسة فى كل بلد بمفرده . وهم لا يجيزون ، لا استعظام الخصائص الوطنية والقومية ، ولا استصغارها . وهم يخطون كلا من خطواتهم آخذين بعين الاعتبار الاوضاع فى العالم بمجملها ، ومدركين مسؤوليتهم امام حركة التحرر العالمية .

وفضلا عن ذلك ، دافع مؤسسو الماركسية – اللينينية عن الوحدة الاخوية بين الشغيلة من ابناء جميع الامم والعروق ، ونبذوا كل معارضة لشعب (او لمجموعة من الشعوب) بشعب آخر (او بمجموعة من الشعوب الاخرى) . وان ماركس

هو الذى قال : «ان شعبا يستعبد شعبا آخر يصنع سلاسله بالذات» * .

ان الحركة الشيوعية العالمية هى عبارة عن تحالف كفاحى اخوى بين احزاب شيوعية مستقلة ، متميزة ، تخوض نضالا مشتركا نشيطا من اجل تجديد العالم بالسبيل الثورى ، من اجل مصالح الكادحين الجذرية ، انطلاقا من مبادئ الماركسية–اللينينية والاممية البروليتارية .

وقد قال الامين العام للمجلس الوطنى للحزب الشيوعى الهندى راو انه لا يوجد غير ايديولوجية واحدة حية الى الابد هى الماركسية – اللينينية ، وغير اشتراكية واحدة تأخذ بالحسبان الخصائص الوطنية والقومية ، وغير اممية واحدة هى الاممية البروليتارية .

الفصائل الاساسية فى الحركة الشيوعية

يمكن تقسيم الحركة الشيوعية العالمية من حيث

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ١٦ ، ص ٤٠٧ .

ظروف النضال وطابع المهمات التى تواجه الاحزاب الى بضع فصائل . واقوى فصائلها هى الاحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان الاشتراكية .

وبينها يعود الدور الريادى الى الحزب الشيوعى السوفييتى بوصفه الاول بين انداده . فهو الحزب الماركسى اللينينى الجماهيرى الاوفر تجربة ، الحزب الذى يشرف على ترقية الاشتراكية المتطورة فى الاتحاد السوفييتى ويسير فى طليعة العملية الثورية العالمية .

ان الحزب الشيوعى السوفييتى يضم اكثر من ١٩ مليون شيوعى . والرئيسى فى نشاطه ، رسم الافق العام لتطور المجتمع السوفييتى ، والسياسة الداخلية والخارجية ، وتنظيم الشغيلة من اجل تطبيق هذه السياسة . ان قيادة المجتمع قيادة علمية من جانب الحزب الشيوعى السوفييتى تشمل صياغة الاهداف والمهمات الاساسية التى تتفق مع الحاجات الاجتماعية الملحة ومع مصالح الكادحين الحيوية . والحزب يأخذ بالحسبان متطلبات قوانين التطور

الاجتماعى الموضوعية ويعتمد على امكانيات المجتمع المادية والروحية الفعلية . وهو يوجه قوته العملاقة الى تحسين الاشتراكية المتطورة وترقيتها باطراد . وقد اثبت دستور الاتحاد السوفييتى شرعا وقانونا ان الحزب الشيوعى السوفييتى هو القوة القائدة والموجهة للمجتمع السوفييتى ونواة نظامه السياسى ومؤسسات الدولة والمنظمات الاجتماعية (المادة ٦) .

توحد الاحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان الاشتراكية عشرات الملايين من الشيوعيين وتمثل اكبر فصيلة فى الحركة الشيوعية من حيث التعداد والنفوذ . وهى فى بلدانها القوة القائدة والموجهة فى النضال من اجل الاشتراكية والشيوعية . وهى تحل مهمات معقدة ومسؤولة تتعلق بتأمين تقدم الاقتصاد ، وترقية العلاقات الاجتماعية الجديدة ، وتطوير نمط الحياة الاشتراكى ، وتعزيز تربية الشغيلة بروح الشيوعية ، وضمان الدفاع الاكيد عن مكاسب الاشتراكية ، والخ . .

وهناك فصيلة اخرى كبيرة جدا بين فصائل الحركة الشيوعية ، هى الاحزاب الشيوعية فى

البلدان الرأسمالية ، وبينها احزاب كثيرة مرت بمدرسة كبيرة من المعارك الطبقية ، وصارت قوة نافذة فى الحياة السياسية . وهى اذ تعمل فى قلاع الامبريالية تنطلق من ان الطبقة العاملة هى القوة المحركة والمعبئة للنضال الثورى . وللفلاحين ، والمثقفين الديموقراطيين ، والمستخدمين البسطاء ، وفئات البرجوازية الصغيرة فى المدن ، اى اغلبية الامة ، علاوة على البروليتاريا ، مصلحة حيوية فى تصفية سيادة احتكار الرأسمال .

وفى عداد الموضوعات البرنامجية التى تقدمت بها الاحزاب الشيوعية فى البلدان الرأسمالية المتطورة والتى تتعلق بالتحويلات الديموقراطية العميقة ترد الموضوعات التالية :

— انتهاج سياسة السلام والتعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ؛ العمل على وقف سباق التسلح والانتقال الى نزع السلاح ؛ تنمية التعاون المتبادل النفع والتفاهم بين الدول والشعوب ؛

— حماية السيادة الوطنية والمصالح الوطنية من الامبريالية الاجنبية وفى المقام الاول من

الامبريالية الاميركية ، ومن تطاولات الاحتكارات المتخطية للحدود الوطنية ومختلف اتحادات الدولة الاحتكارية ؛

— تأميم اهم فروع الاقتصاد وتأمين الرقابة الديموقراطية من جانب الجماهير ومنظمات الكادحين الجماهيرية على المؤسسات المؤممة وغيرها من المؤسسات ؛

— تحقيق تحويلات زراعية عميقة فى مصلحة كادحى الريف ؛

— تحقيق اصلاحات فى انظمة رعاية الصحة ، والتعليم والتأمين الاجتماعى وسائر الميادين الاجتماعية فى مصلحة الشغيلة ؛

— حماية وتطوير الثقافة الوطنية وجعلها ملك الشعب الكادح ؛

— توسيع مشاركة الشغيلة ومنظماتهم الجماهيرية فى جميع ميادين حياة المجتمع وفى جميع المستويات — من المؤسسات بمفردها الى المستوى الوطنى العام ؛

— توسيع الحقوق والحريات الديموقراطية الفردية والجماعية ؛ الغاء القوانين القمعية الموجهة

ضد الحركة العمالية والديموقراطية ؛ الرد على الارهاب السياسى ، والخ . .

ان نضال الاحزاب الشيوعية الحازم من اجل هذه المطالب يرفع مكانة الشيوعيين بين جماهير الكادحين الواسعة ، ويزيد نفوذهم فى الطبقة العاملة . ولم يبق بمستطاع الاوساط البرجوازية الحاكمة فى فرنسا وايطاليا والبرتغال واسبانيا واليابان وكثير من البلدان الرأسمالية الاخرى ان تقوم باية اعمال مهمة نوعا ما دون مراعاة مواقف الاحزاب الشيوعية . وتبدى الرجعية الداخلية والخارجية مقاومة عنيدة فى وجه اشتراك الشيوعيين فى الحكومات . وهذا يدل على تعاظم اهمية الاحزاب الشيوعية فى حياة البلدان الرأسمالية ، وعلى شعبيتها ونفوذها بين الجماهير الواسعة . كذلك يعزز الشيوعيون فى الدانمارك والنمسا وبلجيكا وجمهورية المانيا الاتحادية والنروج وعدد من بلدان اوروبا الغربية واميركا نفوذهم بين الجماهير .

وعزز الحزب الشيوعى الايطالى ووسع مواقعه فى جو الازمة الشديدة السائدة فى البلاد ،

وفى جو من تزايد نشاط القوى اليمينية المتطرفة ، الفاشية الجديدة . ويضم الحزب زهاء مليون و٨٠٠ الف عضو . وهو ممثل على نطاق واسع فى هيئات السلطة المحلية . وحيث تعود الاغلبية فى هيئات السلطة التنفيذية الى الشيوعيين وحلفائهم ، يعيش اكثر من نصف سكان البلاد .

والحزب الشيوعى الفرنسى قوة سياسية كبيرة . وهو يضم اكثر من ٧٠٠ الف عضو . وهناك ٢٧ الف منظمة حزبية اولية ، قاعدية ، فى المؤسسات الانتاجية الكبيرة جميعها عمليا ؛ وهناك منظمات حزبية فى كل مدينة فرنسية وفى كثير من القرى . ويتمتع الشيوعيون بنفوذ كبير فى الحركة النقابية ، وفى مختلف المنظمات الجماهيرية .

ان حركة الشيوعيين قد غدت اوسع القوى السياسية نفوذا فى العهد المعاصر . وهى تعبّئ الشعوب ، والقوى الثورية ، فى النضال ضد الامبريالية .

وهناك فصيلة اخرى من فصائل الحركة الشيوعية ، عنينا بها الاحزاب الشيوعية فى

البلدان النامية فى آسيا وافريقيا ، وقد برهنت هذه الاحزاب انها تناضل حقا وفعلا من اجل انجاز تحرر بلدانها الوطنى . وهى تسعى بدأب والحاح الى القضاء نهائيا على الاستعمار وعواقبه ، وتناضل من اجل انشاء وتوطيد جبهة واسعة معادية للامبريالية ومعادية للاقطاعية ، من اجل تحقيق تحويلات اجتماعية عميقة بمثابرة واطراد .

واكثر فاكثر يتعاظم نفوذ فصائل الشيوعيين الكفاحية فى اميركا اللاتينية وحوض الكاريب . وقد نمت الاحزاب الشيوعية فى هذه المنطقة وصارت قوة سياسية كبيرة . وفى غمار الاشتباكات الضارية مع الرجعية الاجنبية والداخلية يتمرس شيوعيو اميركا اللاتينية ويصلب عودهم ، ويهيئون المقدمات لاجل الثورات المعادية للامبريالية والمعادية للاقطاعية .

والصراع هنا يتعقد ويتفاقم لان الانظمة الرجعية ، العسكرية فى عدد من البلدان تعترض طريق الشعوب الساعية الى حياة جديدة . وغالبا ما يضطر الشيوعيون الى العمل فى السر ، وهم دائما يعرضون حياتهم للخطر بمجرد انتسابهم

الى الحزب الشيوعى . والاحزاب الشيوعية فى الارجنتين وباناما وفينيزويلا وكوستاريكا وكولومبيا والاوروغواى تعزز مواقعها . والشيوعيون فى التشيلى يعبئون الجماهير لمقاومة النظام الديكتاتورى . وفى الباراغوى ، يواصل الشيوعيون النضال فى ظروف العهد السرى الشاقة .

مبادئ ستراتيجية وتكتيك الشيوعيين .

الماركسية-اللينينية هى الاساس العقائدى والمنهاجى والعملى لنشاط الاحزاب الشيوعية والعمالية . وهى تتيح فرز وابراز مسائل النشاط الرئيسية ، ومراعاة العمليات الفعلية فى الحياة الاجتماعية والنضال الطبقى فى العهد المعاصر مراعاة عميقة ومن جميع النواحى ؛ والجمع بمرونة بين النضال فى سبيل اقرب الاهداف والنضال فى سبيل الاهداف النهائية ؛ وتحديد اتجاه الضربة الرئيسية تحديدا صحيحا وفى الوقت المناسب ؛ وتطبيق اشكال ووسائل النضال المتنوعة والمتعددة بمهارة تبعا للوضع الملموس والاهداف المرسومة ؛ واستغلال التناقضات والخلافات فى صفوف

الاعداء الطبقيين ، والاقدام ، عند الاقتضاء ، على مساومات موقتة دون التنازل عن المبادئ الرئيسية .

وتتسم المؤتمرات العالمية واللقاءات الاقليمية والوثائق المرسومة والمتخذة فيها بصورة مشتركة باهمية كبيرة لاجل تطوير الحركة الشيوعيـــــة وتوطيدها .

من ١٤ الى ١٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٧ انعقد مؤتمر ممثلى الاحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان الاشتراكية وصاغ واقر اعلانا . ومن ١٦ الى ١٩ تشرين الثانى ١٩٥٧ ، انعقد مؤتمر ممثلى الاحزاب الشيوعية والعمالية فى ٦٤ بلدا ، واقر بيان السلام . وقد اعطـــى الاعلان وصفا للعهد المعاصر ، وتحليلا للتغيرات فى نسبة القوى على المسرح العالمى ، ولقضايا الحرب والسلم ، وصاغ القوانين الاساسية للثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكى ، اى القوانين العامة ، المشتركة بالنسبة لجميع البلدان .

وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٠ ، انعقد مؤتمر جديد لممثلى الاحزاب الشيوعية والعمالية .

وقد اشتركت فيه وفود ٨١ حزبا . اتخذ المؤتمر البيان والنداء الى شعوب العالم اجمع . وقد وردت فى البيان استنتاجات مهمة بصدد تعاظم دور النظام الاشتراكى العالمى بوصفه عاملا للتطور العالمى ، وبصدد سبل نضال جميع القوى التقدمية فى العهد المعاصر من اجل درء نشوب حرب عالمية جديدة ، ومن اجل تأمين التعايش السلمى بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية ، وبصدد آفاق ثورات التحرر الوطنى بعد انهيار نظام العبودية الاستعمارية ، وبصدد الامكانيات الجديدة والمهمات الجديدة التى تواجه الاحزاب الشيوعية والعمالية فى النضال من اجل السلام والاستقلال الوطنى والديموقراطية والاشتراكية .

فى حزيران (يونيو) ١٩٦٩ ، انعقد مؤتمر عالمى ضم ممثلى ٧٥ حزبا شيوعيا وعماليا . وقد صاغ المؤتمر واقر الوثيقة «مهمات النضال ضد الامبريالية فى المرحلة الراهنة ووحدة عمل الاحزاب الشيوعية والعمالية وجميع القوى المعادية للامبريالية» ، والرسالة «لمناسبة

الذكرى المئوية لميلاد فلاديمير ايليتش لينين» . ووجه المؤتمر الى الشعوب النداء بصدد : «الاستقلال والحرية والسلام للفييتنام» و«النداء دفاعا عن السلام» .

صاغت وثائق المؤتمر مبادئ العلاقات المتبادلة بين الاحزاب الشيوعية فى المرحلة الراهنة . واهم هذه المبادئ هى التالية :

— الامانة للماركسية-للينينية ؛ الوحدة الفكرية على اساس الماركسية-اللينينية هى اس اسس تلاحم الحركة الشيوعية ؛

— الاممية البروليتارية ، الحرص على رص صفوف الحركة الشيوعية بجميع الوسائل ، تنسيق النضال المشترك من اجل الاهداف المشتركة ، تقيّد كل حزب شيوعى طوعا واختيارا بالتقييمات والاستنتاجات الموضوعة بصورة مشتركة والمتعلقة بالمهمات المشتركة فى النضال ضد الامبريالية ، ومن اجل السلام والديموقراطية والاستقلال الوطنى والاشتراكية ؛ استقلال الاحزاب الماركسية اللينينية والمساواة بينها فى الحقوق ؛ كل حزب يرسم سياسته انطلاقا من ظروف بلده

الملموسة ، واسترشادا بمبادئ الماركسية–اللينينية ؛ وكل حزب مسؤول امام الطبقة العاملة والكادحين فى بلده وامام الحركة الشيوعية والعمالية العالمية ؛

— التقيد الدقيق بالقواعد اللينينية لبناء الحزب والحياة الحزبية ؛

— الحيلولة دون النشاط التكتلى فى صفوف الحركة الشيوعية ؛

— النضال بلا هوادة ضد الانتهازية اليمينية و«اليسارية» ، وضد التحريفية ، والجمود العقائدى والتعصب القومى ؛

— حل الخلافات الناشبة بين الاحزاب الشيوعية عن طريق اللقاءات الرفاقية والمشاورات .

ثم اسهم مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية الاوروبية (برلين ، حزيران — يونيو ١٩٧٦) بقسط كبير فى قضية تلاحم الحركة الشيوعية والعمالية . وقد اعلن المشتركون فى هذا المؤتمر انهم «سيطورون تعاونهم وتضامنهم الطوعى الرفاقى الاممى على اساس افكار ماركس وانجلس ولينين العظيمة ومع التقيد الدقيق بالمساواة فى الحقوق وبالاستقلال التام لكل حزب ،

وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية ، واحترام حرية اختيار مختلف السبل فى النضال من اجل التحويلات الاجتماعية التقدمية ومن اجل الاشتراكية . ان نضال كل حزب فى سبيل الاشتراكية فى بلده ومسؤوليته امام طبقته العاملة وشعبه يرتبطان بالتضامن المتبادل بين شغيلة جميع البلدان ، وجميع الحركات التقدمية والشعوب فى النضال من اجل الحرية وتوطيد الاستقلال ، من اجل الديموقراطية والاشتراكية والسلام فى العالم اجمع» * .

واعطى لقاء الاحزاب الشيوعية والعمالية الاوروبية فى باريس سنة ١٩٨٠ حافزا جديدا فى النضال ضد خطر الحرب ، واسهم فى تنشيط نضال الجماهير الشعبية فى اوروبا ضد الخطر الجدى المخيم على اوروبا بسبب قرار

---

* فى سبيل السلام والامن والتعاون والتقدم الاجتماعى فى اوروبا . اضواء على نتائج موئمر الاحزاب الشيوعية والعمالية الاوروبية . برلين ، ٢٩ — ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٧٦ ، ص ٣١ .

حلف الناتو بتوزيع صواريخ اميركية جديدة ذات شحنات نووية فى اوروبا الغربية .

كذلك اتسمت بأهمية كبيرة لاجل تحسين نشاط الاحزاب الشقيقة وتنسيق جهودها المؤتمرات الاقليمية التى عقدتها فى النصف الثانى من السبعينيات واوائل الثمانينيات الاحزاب الشيوعية فى اميركا اللاتينية (سنة ١٩٧٥) ، واميركا الوسطى والمكسيك (سنة ١٩٧٤ وسنة ١٩٨٠) والبلدان العربية (سنوات ١٩٧٦ ، ١٩٧٨ ، ١٩٨١) . وفى ايلول (سبتمبر) ١٩٨١ انعقد لقاء ممثلى الاحزاب الشيوعية والعمالية فى بلدان القسم الشرقى من البحر الابيض المتوسط والشرقين الادنى والاوسط ومنطقة البحر الاحمر . وفى سنة ١٩٧٨ جرى اول لقاء فى تاريخ افريقيا بين الاحزاب الشيوعية فى افريقيا الاستوائية وجنوب افريقيا .

ان اتساع الاتصالات والعلاقات الثنائية بين الاحزاب الشيوعية هو انعكاس للتعاون النشيط بينها . وفى كثير من الاحوال ، تتحقق هذه الاتصالات فى جميع المستويات — من

الخلايا الحزبية والمنظمات المحلية الى هيئات الحزب المركزية . وتتسم باهمية خاصة اللقاءات بين قادة الاحزاب . ثم ان الاشتراك المتبادل فى عمل المؤتمرات الحزبية يسهم فى تطوير العلاقات الاممية بين شيوعيى مختلف البلدان .

وفى صفوف الاحزاب الشقيقة تحظى بشعبية كبيرة مجلتها النظرية والاعلامية الجماعية «قضايا السلم والاشتراكية» . وفى مجلس تحرير المجلة يتمثل زهاء ٦٠ حزبا شيوعيا . وتصدر المجلة بـ٣٤ لغة وتوزع فى اكثر من ١٤٠ بلدا .

ان تلاحم الاحزاب الشيوعية ، واعمالها الجماعية ، التضامنية ، قد ساعدت فى احراز انتصارات فى النضال من اجل السلام والديموقراطية والاشتراكية خلال السنوات الاخيرة . وابدا ودائما يحرص الحزب الشيوعى السوفييتى وسائر الاحزاب الشقيقة على تدعيم الوحدة الاممية الكفاحية فى الحركة الشيوعية .

وفى العهد المعاصر ، عهد التضاد بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى ، يتسم باهمية كبيرة تعاون الشيوعيين مع القوى السياسية

الاخرى — مع الاشتراكيين ، والاشتراكيين — الديموقراطيين ، ومنظمات الكادحين المؤمنين ، وغيرها . وعلى الدوام تعرب الاحزاب الشيوعية والعمالية عن استعدادها لتوحيد جهودها مع اية من القوى السياسية التى تناضل من اجل حل القضايا الدولية الحادة حلا سلميا وبنّاء ، مع بقائها متمسكة بالمواقف الصلبة على اساس ايديولوجية الماركسية—اللينينية .

والشيوعيون توحدهم ايديولوجية مشتركة هى الماركسية—اللينينية ، ولهم عدو مشترك هو الامبريالية ، وهدف مشترك هو الاشتراكية والشيوعية . وهذه مقدمات موضوعية للنجاح فى النضال من اجل تلاحم الحركة الشيوعية العالمية .

ان الاخلاص للماركسية—اللينينية ، والاممية البروليتارية ، وخدمة مصالح الشعب والقضية المشتركة ، قضية الاشتراكية ، بتفان واخلاص ، — كل هذا شرط ضرورى لفعالية الاعمال الموحدة التى تقوم بها الاحزاب الشيوعية والعمالية ولتوجيه هذه الاعمال توجيها صحيحا ، وضمانة للنجاح فى بلوغها اهدافها التاريخية .

حركة التحرر الوطنى

ازمة وانهيار نظام الامبريالية الاستعماري .

ان حركة التحرر الوطنى التى تشمل مناطق شاسعة من العالم هى جزء مكون لا يتجزأ من العملية الثورية العالمية . فان الامبريالية قد فرضت النير الاستعماري بهذا الشكل او ذاك على الاغلبية الساحقة من سكان الارض ؛ وانشأت النظام الاستعماري الذى تكوّن نهائيا نحو أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين وشمل نحو الاربعينيات بلدانا يبلغ عدد سكانها بالاجمال قرابة ٦٦٠ مليون نسمة ، اى ٣٠,٦ بالمئة من سكان الكرة الارضية .

ان النير الاستعماري هو اقسى وجوه الاستثمار الامبريالى . فان كرامة الشعوب المستعبدة تداس ، ويعلنونها شعوبا «ناقصة» ، وامما من «المستوى الادنى» . وثروات هذه البلدان تتعرض للنهب الوحشى ، وشعوبها للاضطهاد القاسى . ومصائر عشرات وعشرات من البلدان المستعمرة والتابعة لم تكن تقررها شعوب هذه البلدان ، بل كان يقررها المستعمرون فى لندن

وباريس وبروكسل وروما وواشنطن وليشبونة ولاهاى وبرلين ومدريد .

الا ان الشعوب المستبعدة لم تستسلم يوما لوضعها ، بل ناضلت بشجاعة ضد العبودية الاستعمارية . ولهذا السبب بالذات تعنى حركة التحرر الوطنى المقاومة الفعالة فى وجه الاضطهاد الوطنى والقومى وتستهدف العمل على تصفيته .

ولقد كان تفاقم التناقضات بين البرجوازية الامبريالية فى المتروبولات وشعـــــوب البلدان المستعمرة والتابعة شرطا موضوعيا للازمة العميقة التى عاناها نظام الامبريالية الاستعمارى . وجاءت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى تدشن بداية ازمة نظام الامبريالية الاستعمارى . وفى هذا الصدد كتب جواهرلال نهرو «ان الثورة السوفييتية قد دفعت المجتمع البشرى اشواطا كبيرة الى الامام واشعلت لهيبا ساطعا يستحيل اطفاؤه ، وارست اساس تلك الحضارة الجديدة التى يمكن ان يسير العالم نحوها» * .

* Jawaharlal Nehru. The Discovery of India. London, Meridian, 1951, p. 14.

من يشترك فى حركة التحرر الوطنى ؟

البروليتاريا — هى القوة الاشد حزما ومثابرة فى مقارعة الاضطهاد الاستعمارى ، والمناضل الاشد ثباتا من اجل التحرر الوطنى . وهى لا تبتغى اية اهداف انانية ، وهى تعرب بأكمل نحو عن المصالح الحيوية لكل شعب البلد المستعبد . ان الطبقة العاملة تعانى الآلام القاسية من الاستثمار والاضطهاد العرقى من جانب الرأسماليين الاجانب .

والطبقة العاملة فى بعض البلدان ، وبخاصة فى افريقيا ، قليلة التعداد نسبيا . ففى القارة الافريقية ، زهاء ٤ ملايين من العمال الصناعيين ، علما بان مجمل عدد السكان يبلغ ٢٥٠ مليون نسمة . ورغم هذا ، استطاعت الطبقة العاملة فى بعض الاحوال ان تسير على رأس نضال التحرر الوطنى . والبروليتاريا اكثر تطورا فى عدد من الدول الآسيوية وفى بلدان اميركا اللاتينية . فهى هنا تتكون منذ عقود وعقود ، وتنامت وصارت فى كثير من الاحوال قوة وطنية نافذة ومنظمة . وفى اميركا اللاتينية يوجد الآن زهاء

٢٥ مليونا من العمال الصناعيين والزراعيين ، وفى آسيا زهاء ٦٠ مليونا . ويستفاد من معطيات هيئة الامم المتحدة ان عدد العاملين فى صناعة البلدان المتخلفة اقتصاديا قد ازداد ١٥٠ بالمئة فى غضون السنوات الـ٢٥ الاخيرة .

الفلاحون ، القوة الجماهيرية الاساسية فى حركة التحرر الوطنى والحليف الرئيسى للبروليتاريا . ويشكل الفلاحون اكثر من ثلثى السكان فى البلدان النامية ؛ وبمقدورهم القيام باعمال ثورية جدية . ان الحرمان من الارض ، والاضطهاد الاقتصادى ، والتعسف الذى يسلطه صنائع المستعمرين الجدد ، واستبداد الاقطاعيين والمرابين فى الريف — كل هذا يدفع الفلاحين الى الاشتراك فى حركة التحرر .

وتضطلع البرجوازية الصغيرة فى المدن بدور فعال فى حركة التحرر الوطنى فى كثير من البلدان . وهى مرتبطة بالملكية الخاصة ، ومن جراء هذا ، تميل احيانا كثيرة الى البرجوازية . ولكنها ، من جهة اخرى ، تشترك مباشرة ، كقاعدة ، فى عملية العمل ؛ ووضعها المادى

اسوأ بكثير من وضع البرجوازى . ونير المستعمرين الجدد ، والاستثمار ، والمزاحمة المدمرة من جانب الشركات الاجنبية ، وكذلك من جانب البرجوازية الكومبرادورية ، — كل هذا يستحثها على النضال من اجل الحرية الوطنية .

كذلك تعانى البرجوازية الوطنية ، ويعانى المثقفون الوطنيون من اعباء نير المستعمرين الجدد . صحيح ان عدد المثقفين الوطنيين قليل فى كثير من البلدان ، ولكن كثيرين من قادة حركة التحرر الوطنى خرجوا من صفوفهم .

هذه هى القوى الاجتماعية التى تشترك فى حركة التحرر الوطنى . ان شعوب البلدان المستعمرة والتابعة ، اذ تناضل فى سبيل الحرية الوطنية ، انما تناضل فى الوقت نفسه ضد اسس النظام الاستثمارى ذاتها ، وتتحول الى «عامل فعال فى السياسة العالمية وفى تحطيم الامبريالية تحطيما ثوريا . . .» *

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ٥ .

ان ازمة نظام الامبريالية الاستعماري سمة مهمة من سمات الازمة العامة للرأسمالية . ففي المرحلة الاولى من هذه الازمة ، قامت اعمال ونضالات ثورية كبيرة في المستعمرات واشباه المستعمرات ، نجمت قبل كل شيء عن النضال العنيد الذي خاضته شعوب البلدان التابعة للامبريالية من اجل استقلالها الوطني وحريتها . وبعد الحرب العالمية الثانية التي اسهم الشعب السوفييتي خلالها بالقسط الحاسم في النصر على المانيا الهتلرية واليابان العسكرية ، تفاقمت ازمة نظام الامبريالية الاستعماري ، واخلت المكان لانهياره . وفي هذه المرحلة تمت تصفية الامبراطوريتين الايطالية واليابانية . وتبين ان انجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا التي اضعفتها الحرب عاجزة عن التنكيل بنضال التحرر الوطني في مستعمراتها ، فاضطرت الى الاعتراف بالاستقلال السياسي لعدد من بلدان آسيا وافريقيا . وبدأ انهيار نظام الامبريالية الاستعماري في كل مكان .

ونظرا لضعف الامبريالية العام ، ونشوء

وتطور نظام الاشتراكية العالمى ، ونهوض الحركة العمالية والديموقراطية الجبار ، تصدع نظام اضطهاد الشعوب الاستعمارى الذى بنته الرأسمالية ، وانهار تحت ضربات ثورات التحرر الوطنى المعادية للامبريالية . وفى السبعينيات انتهت عمليا تصفية الامبراطوريات الاستعمارية . ومن جراء انتصار ثورات التحرر الوطنى المعادية للاستعمار ، كانت قد تأسست ١١٥ دولة جديدة نحو سنة 1985 ، بينها فى افريقيا ٥٠ دولة مستقلة . وفى البلدان التى تحررت ، يعيش اكثر من ٧٠ بالمئة من سكان العالم الرأسمالى .

ان انهيار نظام الامبريالية الاستعمارى هو ، من حيث اهميته التاريخية ، العملية الثورية الاكبر شأنا بعد تشكل نظام الاشتراكية العالمى ، وعامل بالغ الضخامة من عوامل تجديد العالم .

فيم تكمن اسباب هذا الانهيار السريع لنظام الامبريالية الاستعمارى ؟

اولا ، تعاظم الى ما لا سابق له بأس الاشتراكية ومكانتها ، والتأثير الهائل الذى مارسه النظام الاشتراكى العالمى . وتقدم بلدان الاسرة

الاشتراكية دعما مباشرا هائلا لحركة التحرر الوطنى وتجمد بوجودها القوى الرئيسية لدى الامبريالية ، وآلتها الحربية .

ثانيا ، منيت الامبريالية بخسارة مادية وفكرية وسياسية فادحة . فقد انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة اشد فصائلها عدوانية ، وكذلك بضعف خطير اصاب اغلبية الدول الاستعمارية الرأسمالية .

ثالثا ، اتسعت الحركة المعادية للامبريالية ، المعادية للاستعمار ، اتساعا شاسعا ، وشملت اوسع فئات السكان فى البلدان المستعبدة . وفى سنوات الحرب ، نمت الطبقة العاملة كثيرا فى عدد من المستعمرات واشباه المستعمرات . وقامت الاحزاب الشيوعية بنشاط بالغ ، ونشطت المنظمات الوطنية الثورية .

رابعا ، عززت الفصائل الطليعية للطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية المعارك الطبقية ضد الامبريالية فى مراكزها . وعارضت قطعا سياسة الامبرياليين الاستعمارية ، ووسعت حملة التضامن مع المناضلين فى سبيل التحرر الوطنى .

خامسا ، ازدادت العلاقات بين حركات التحرر الوطنى فى مختلف البلدان وثوقا ، واشتد التضامن بين الشعوب التى تناضل ضد الامبريالية والاستعمار .

ما هو الاستعمار الجديد ؟ الاستعمار الجديد ، انما هو نظام كامل من العلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها من العلاقات ، تبنيه الامبريالية لاجل استثمار الدول الوطنية الفتية عن طريق الاستفادة من تأخرها الاقتصادى ، ومن وضعها التابع ، غير المتكافئ ، فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى . وهدف الاستعمار الجديد ، الحيلولة بجميع الوسائل دون الدول الجديدة ودون انتهاج سياسة داخلية وخارجية مستقلة فعلا ، وعرقلة بناء اقتصاد مستقل ، وابقاء هذه البلدان فى اطار النظام الرأسمالى العالمى ، والاحتفاظ بها بمثابة ذيول خامية ومناطق مفيدة لتوظيف الرساميل واسواق للتصريف ، والحيلولة دون اتجاهها صوب الاشتراكية .

رغم ان البلدان النامية احرزت الاستقلال السياسى والحرية السياسية ، لم تسلم الامبريالية بهزيمتها . فبعد انهيار النظام الاستعمارى ، لا يزال نهب الثروات الطبيعية واستثمار السكان فى البلدان المتحررة سمة ثابتة من سماته . لقد استطاعت الامبريالية ان تنشئ وتضبط نظاما للاستثمار الاستعمارى الجديد فى منتهى التفنن ، وان تربط بنفسها بمزيد من الوثوق عددا كبيرا من الدول المتحررة . وعواقب ذلك فاجعة . فان البلدان النامية التى يعيش فيها اكثر من مليارى شخص امست عمليا مناطق للفقر الشامل . وفى اوائل الثمانينيات ، كان مستوى المداخيل بالفرد الواحد من السكان فى البلدان الرأسمالية يوازى احد عشر مثل ما هو عليه فى البلدان المتحررة . وعلى امتداد العقود الثلاثة الاخيرة من السنين ، لا يقل هذا الفرق ، بل يتفاقم . والمسألة هنا ليست مسألة الفقر النسبى بل مسألة الجهل والامية ، وسوء التغذية المزمن ، والجوع المزمن ، والنسبة الرهيبة من وفيات الاطفال ، والاوبئة التى تصيب مئات

الملايين من الناس .

فما هى طرائق الاستعمار الجديد ؟

ان تصدير الرأسمال ، ولاسيما رأسمال الدولة ، الى البلدان الضعيفة التطور من الناحية الاقتصادية ، هو من اوسع الطرائق استعمالا . فان هذا يتيح ، بدون الفتح السياسى ، ابقاء وحتى تقوية التبعية الاقتصادية للبلدان النامية حيال الدولة مصدّرة الرأسمال . وعادة يجرى تصدير رأسمال الدولة بصورة «مساعدة» ، و«هبات» ، وقروض ، بينما تبنى الاحتكارات العالمية فروعا لها فى هذه البلدان بحجة الاسهام فى تصنيعها ، عاملة فى فروع الانتاج الاساسية الكاسبة ، علما بانها تفضل استغلال البلدان الغنية بالبترول وغير ذلك من الموارد الطبيعية ، وكذلك الدول التى سارت على نهج يرمى الى حفز العلاقات الرأسمالية والى التشارك مع الرأسمال الاجنبى . ان متوسط معدل الربح من توظيفات الاحتكارات الغربية فى البلدان النامية يربو ٥٠ ــ ١٠٠ بالمئة تقريبا عما فى بلدانها .

ان «المساعدة» التى يقدمها الغرب للبلدان النامية تسهم بقسط لا يؤبه له فى تطوير قواها المنتجة . والمقصود ان يضطر البلد ، بعد انفاق القروض والاموال المقدمة له ، الى طلب الجديد من القروض والاموال ، علما بانه لا يندر تقديم «المساعدة» بفوائد عالية جدا ، الامر الذى يزيد التبعية المالية التى يعانيها الكثير من الدول النامية . فنحو عام ١٩٨٤ بلغ دينها الخارجى العام اكثر من ٨٠٠ مليار دولار . والفوائد السنوية المدفوعة بموجب هذه الديون تبلغ وحدها رقما فلكيا — ١٦٠ — ١٧٠ مليار دولار . وينبثق ضرب من «حلقة مفرغة» ، حين تضطر دول كثيرة الى اخذ قروض جديدة ، لا لاجل تطورها الاقتصادى بالذات ، بل لاجل دفع الفوائد المتراكمة بموجب الديون السابقة . وفى هذه الظروف تجد الدول الامبريالية فى ايديها روافع جبارة للتهويل والابتزاز الاقتصادى والضغط السياسى .

وفى عداد طرائق الاستعمار الجديد يأتى كذلك اشراك البلدان النامية فى آسيا وافريقيا

واميركا اللاتينية فى سباق التسلح . ونحو عام ١٩٨٢ بلغ نصيب البلدان النامية ١٦ بالمئة من مجمل النفقات العسكرية العالمية (مقابل ٧,٢ بالمئة فى عام ١٩٧٠) . وتضم جيوش الدول المتحررة ١٥ مليون رجل او ٦٠ بالمئة من جميع العسكريين فى العالم . وهذه البلدان تبتلع حاليا زهاء ٧٥ بالمئة من مستوردات السلاح العالمية . ومن سنة ١٩٧٨ الى سنة ١٩٨٢ ازدادت النفقات للاغراض العسكرية : فى الشرق الادنى ١٨ مليار دولار ؛ فى جنوب افريقيا ٨ مليارات دولار ؛ فى اميركا اللاتينية ٧,٥ مليارات دولار .

يشغل التبادل التجارى غير المتكافئ مكانا مهما فى نظام الاستعمار الجديد .

كذلك يستغل امبرياليو الولايات المتحدة الاميركية طريقة مجربة ، هى طريقة غرس الانظمة العميلة ، الديكتاتورية فى البلدان النامية ، علما بانهم يلجأون فى هذه الحال الى شراء ورشوة الساسة والعسكريين ، والمؤامرات ، والانقلابات ، واغتيال القادة التقدميين . وحين

تهب الجماهير الشعبية الى النضال ضد الحكام العملاء ، يحاول الامبرياليون ، بذريعة الدفاع عن «الحرية والديموقراطية» ، ان يقمعوا حركات التحرر ، ولا يندر لهم ان يلجأوا حتى الى التدخل المسلح المباشر . ومن الامثلة الجلية على هذا ، الحرب الهمجية التى شنتها الامبريالية الاميركية فى الفييتنام ، واقتحام غرينادا ، وما الى ذلك .

ان الاستعمار الجديد الذى يطبقه الامبرياليون يرمى الى كبح التطور الاجتماعى والاقتصادى فى البلدان التابعة ، وتكييف اقتصادها لحاجات الرأسمالية الاحتكارية ، واخضاع هذه البلدان لمصالحهم ، وتوجيه تطورها فى الطريق الرأسمالى .

طريق التطور الرأسمالى . بعد الظفر بالاستقلال السياسى ، ينفتح امام شعوب البلدان المتحررة طريقان للتطور — الطريق الرأسمالى والطريق اللارأسمالى . ذلك ان البلدان التى تتحرر من النير الاستعمارى تختلف بعضها عن بعض اختلافا شديدا ؛ فان بعضها قد سار بعد التحرر فى الطريق

الديموقراطى الثورى ، بينما ترسخت فى بعضها الآخر العلاقات الرأسمالية .

وفى البلدان التى تسود فيها العلاقات الرأسمالية ، من الصعب عمليا تذليل التخلف الاقتصادى والتبعية حيال الدول الامبريالية ، لانها مقيدة فى حقها فى التصرف بقسم كبير من الموارد فى مصلحة اقتصادها الوطنى . وان الظاهرات الازمية المتنوعة ، وتفاقم التناقضات الاجتماعية والاقتصادية فى العالم الرأسمالى ، تنعكس بصورة سلبية فى تطور اقتصاد البلدان السائرة فى الطريق الرأسمالى .

لنأخذ ، مثلا ، بلدان اميركا اللاتينية . فان الرأسمالية فى هذه المنطقة قد بينت عجزها عن تأمين الرفاه والعدالة الاجتماعية للشعوب . ورغم جميع نجاحات التطور الصناعى ، تعيش الجماهير الكادحة فى ظروف شاقة ، لا تطاق . فان نصيب ٨٠ بالمئة من سكان البرازيل لا يبلغ سوى ٣٣ بالمئة من الدخل الوطنى .

ان فقر وعوز اغلبية السكان ، واللامساواة

الكبيرة فى توزيع المداخيل ، والجور الاجتماعى الصارخ — كل هذا هو اليوم سمة عضوية ، ثابتة ، من سمات الرأسمالية الاميركية اللاتينية ، هذه الرأسمالية التى تقوم فى المنطقة الاكثر تطورا بين مناطق البلدان النامية ، والتى سبقت غيرها .

منذ امد قريب ، كانت نيجيريا «عملاقة افريقيا» ، واجهة الرأسمالية الافريقية . فان نيجيريا بلد يبلغ عدد سكانه ٧٥ مليونا ، ويشغل المرتبة الاولى فى افريقيا من حيث استخراج البترول ، ومقادير التبادل التجارى الخارجى ، وحجم التوظيفات . وقد كانت منجزات نيجيريا الاقتصادية — نتيجة «ألبوم» (الازدهار) البترولى — موضع غيرة وحسد فى كثير من بلدان «القارة السوداء» . وقد اقتضى الامر قليلا من الوقت لكى يظهر وراء واجهة الرفاه النيجيرى مظهر قبيح جدا . وقد كتب صحفى اميركى : «ان زهاء ٨٠ بالمئة من الانتاج الصناعى فى نيجيريا انما هى فروع تنتج بضائع الاستهلاك . وفى المقام الاول

يأتى انتاج المشروبات ، ثم يأتى النسيج ومشتقات البترول ، والمنتوجات الغذائية . وقد جرت توظيفات ضخمة فى بناء مؤسسات جمع السيارات وانتاج السلع الكهربائية ؛ وهذه المؤسسات رهن فى عدد من الاحوال بنسبة ٩٠ بالمئة بالعناصر المستوردة» * . وفى سنة ١٩٨٣ بلغ عجز الميزانية النيجيرية ٨,٢ مليارات دولار ، وبلغ الدين الخارجى ١٤ مليار دولار ** .

وماذا كان بالفعل ما يسمى «بالديموقراطية» النيجيرية التى صوروها بصورة مثال ونموذج لاجل افريقيا بأسرها ؟ كان النيجيرى العادى مستعبدا لحفنة من الناس تتلخص مصلحتهم الرئيسية ، لا فى تخليد سلطتهم بأى ثمن كان وحسب ، بل ايضا فى تقاسم ثروات البلد بينما كان المواطنون البسطاء يغرقون اكثر فاكثر فى لجة الفقر والبؤس .

---

* "International Herald Tribune", 17-18. XII, 1983, p. 13.

** "Jeune Afrique", 11. I. 1984.

بلدان الوجهة الاشتراكية . لقد رأى أعلام الماركسية–اللينينية سلفا ان الشعوب والبلدان المتخلفة تستطيع فى ظروف تاريخية معينة ان تنتقل الى الاشتراكية ، متجنبة المرحلة الرأسمالية من التطور . وقد وصف لينين وصفا عميقا الشروط الاساسية التى تؤمن التطور فى هذا الطريق فى الظروف التاريخية الجديدة . والمقصود بهذه الشروط فى المقام الاول وجود دول اشتراكية مستعدة وقادرة على ان تقدم المساعدة الضرورية والمساندة اللازمة للبلدان الضعيفة التطور من الناحية الاقتصادية ، وتبين لها فى التجربة كيف يصح بناء المجتمع الجديد .

ان افكار الماركسية–اللينينية عن التطور اللارأسمالى تطبق فى ممارسة تجديد العالم بالسبيل الثورى . وفى السنوات العشرين الاخيرة تشكلت فى آسيا وافريقيا منطقة شاسعة من دول الوجهة الاشتراكية (او التوجه الاشتراكى) يبلغ عدد سكانها ١٣٠ مليون نسمة . واكبر عدد من هذه الدول هو حاليا من نصيب

افريقيا . ويبلغ نصيب هذه الدول ٢٦ بالمئة من اراضى افريقيا وزهاء ٢٢ بالمئة من سكانها .

فيم يتجلى جوهر الوجهة الاشتراكية ؟

يفهم بالوجهة الاشتراكية عملية هادفة مديدة لتوفير المقدمات الاجتماعية والسياسية والمادية والتكنيكية والروحية الضرورية فى البلدان المتحررة لاجل الانتقال الى بناء اسس الاشتراكية ، وتوفيرها بقيادة الاحزاب الديموقراطية الثورية . اما القوة المحركة فى هذه العملية ، فهى كتلة واسعة من الطبقات ومن الفئات الاجتماعية ، تشمل العمال والفلاحين وأوساط المثقفين التقدميين ، والطلاب ، وممثلى الجيش ، والمستخدمين ، والبرجوازية الصغيرة الوطنية ، والشرائح شبه البروليتارية من سكان المدن .

ان برنامج الديموقراطية الثورية الفكرى والسياسى يرتكز على معاداة الامبريالية ، ومعاداة الاقطاعية ، وعلى الديموقراطية العميقة ، وعلى بعض موضوعات الاشتراكية العلمية . وبقدر ما يتحقق هذا البرنامج فى مجرى الثورة الوطنية الديموقراطية ، يتزايد التقارب بين الديموقراطية الثورية

والماركسية—اللينينية .

ان البلدان النامية التى تسلك سبيل الوجهة الاشتراكية توجه جهودها فى الاتجاهات الاساسية المتقاربة ، رغم تميز كل من هذه البلدان ببعض الخصائص . والمقصود بهذه الاتجاهات القضاء تدريجيا على مواقع الاحتكارات الامبريالية والبرجوازية الكبيرة المحلية والاقطاعيين ؛ تأمين المركز القيادى فى الاقتصاد للدولة الشعبية ، والانتقال الى تطوير القوى المنتجة تطويرا مخططا ؛ تشجيع الحركة التعاونية فى الريف ؛ زيادة دور الجماهير الكادحة فى الحياة الاجتماعية ؛ دعم جهاز الدولة تدريجيا بالملاكات الاهلية المخلصة للشعب ؛ اتسام السياسة الخارجية فى هذه البلدان بطابع العداء للامبريالية .

ان تأميم المؤسسات التى تخص الدول الامبريالية والاحتكارات العالمية هو اجراء مهم . وهذا الاجراء له ما يبرره تماما لان ملكية الاحتكارات انما هى القيمة الزائدة المحولة الى رأسمال ، التى انتجتها شعوب البلدان المستعمرة . وقد حالف النجاح التأميم ،

مثلا ، فى الجزائر وسوريا واثيوبيا وغيرها من البلدان . وفى الجزائر ، تنتج مؤسسات الدولة ٩٠ بالمئة من المنتوج الصناعى . وفى اثيوبيا ، تم تأميم جميع المؤسسات الانتاجية الخاصة الكبيرة واغلبية المؤسسات المتوسطة .

تصبح المؤسسات المؤممة ملك الدولة . وعلاوة على ذلك يشمل قطاع الدولة (القطاع العام) ما تبنيه الدولة حديثا ، من مؤسسات الانتاج والمصارف ، ومؤسسات صناعة الاستخراج وصناعة التحويل ، وهيئات التجارة الخارجية ، والخ . . ويبلغ نصيب ملكية الدولة فى انتاج الدخل الوطنى فى بلدان الوجهة الاشتراكية ٣٠ ــ ٥٠ بالمئة ، علما بانه يتبدى ميل ثابت الى زيادة دور القطاع العام تدريجيا فى الانتاج والتوظيفات الاساسية ، والاستخدام (العمالة) ، وفى تطوير فروع الاقتصاد الوطنى التقدمية .

ان القطاع العام هو فى اغلبية بلدان الوجهة الاشتراكية قوة موجهة ضد الامبريالية والاقطاعية وعنصر الملكية الخاصة . وهو يضطلع بدور

تقدمى لانه يتيح تركيز واستغلال الموارد المادية والمالية والايدى العاملة فى مصلحة البلد بأسره ، ويسهم فى تعجيل وتائر التطور الاقتصادى ورفع مستواه .

ومن الاتجاهات الرئيسية ، تصنيع البلدان النامية اى زيادة دور الصناعة فى الاقتصاد الوطنى وتحديث المشاريع الصناعية القائمة وبناء مشاريع جديدة ، ونقل جميع الفروع ، بما فيها الزراعة ، الى اساس تكنيكى عصرى . ففى جمهورية الكونغو الشعبية ، مثلا ، بلغت وتائر نمو الانتاج الصناعى فى السنوات العشر الاخيرة ١٢ — ١٧ بالمئة فى السنة . ولكن هذا لا يعنى انه يتعين على كل بلد ، سواء كان صغيرا ام كبيرا ، ان يبنى مجموعة صناعية شاملة . فمن العقلانى تطوير تلك الفروع الصناعية التى هى الاكثر فعالية بالنسبة لهذا البلد او ذاك .

ان تحقيق الاصلاحات الزراعية فى مصلحة جماهير الفلاحين الواسعة هو اتجاه مهم فى تطور البلدان السائرة فى طريق الوجهة الاشتراكية .

والمقصود هنا تصفية الاشكال القديمة لملكية الارض واشكال تسيير الاقتصاد الشائخة المرتبطة بها ، واحالة الارض الى الفلاحين ، وتزويد الانتاج الزراعى بالمعدات والآليات الحديثة ، وتطوير التعاون واستثمارات الدولة .

ففى اثيوبيا ، مثلا ، انشئت قرابة ٢٥ الف رابطة فلاحية تضم اكثر من ٥ ملايين شخص . والارض التى كانت تخص الاريستقراطية ، الاقطاعيين ، احيلت كلها الآن الى الفلاحين . والعمل المأجور ممنوع فى الريف . وتنشأ تعاونيات انتاجية فلاحية يتحد فيها الفلاحون لاجل الانتفاع الجماعى من الارض وادوات العمل .

لقد عللت الماركسية–اللينينية علميا جملة من القوانين المهمة لتطور بلدان الوجهة الاشتراكية. فما هى هذه القوانين ؟ فى عدادها تأتى القوانين التالية :

— وصول الديموقراطية الثورية الى الحكم ، وانتقالها تدريجيا الى مواقع الاشتراكية العلمية ؛

— بناء دولة ديموقراطية ثورية ، وزيادة

دور الشغيلة فيها ؛

— انشاء منظمات جماهيرية للشغيلة ، وزيادة دورها فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية ؛

— تحقيق تحويلات زراعية عميقة فى مصلحة الفلاحين الكادحين ، وبمشاركتهم المباشرة ، وانتهاج سياسة التعاون بدأب ومثابرة ؛

— تأميم الملكية الخاصة الاجنبية والمحلية ، الكبيرة والمتوسطة ، وانشاء قطاع عام متين ؛

— تطوير الاقتصاد تطويرا مخططا يرمى الى تكوين المقدمات المادية والتكنيكية الضرورية لاجل بناء اسس الاشتراكية ، والى رفع مستوى حياة الشغيلة ؛

— القيام بثورة ثقافية تعنى مكافحة الامية ، وانشاء فئة جديدة من المثقفين ، وتربية الشغيلة لاجل اداء مهمات الوجهة الاشتراكية ، ونشر الايديولوجية العلمية ؛

— السياسة الخارجية المعادية للامبريالية ، الصداقة والتعاون الوثيق مع بلدان الاشتراكية .

ان الوجهة الاشتراكية عملية مديدة ومعقدة . ومن الخطأ خلطها مع بناء الاشتراكية المباشر

الذى لا يمكن ان يجرى الا فى اطار دولة ديكتاتورية البروليتاريا ، بقيادة حزب من الطراز الماركسى اللينينى ، وفى حال توفر المقدمات المادية الضرورية .

ان الوجهة الاشتراكية ليست عملية عفوية ، بل عملية موجهة عن وعى ، لها مراحل فى تطورها . فان بعض الدول قد اختار طريق الوجهة الاشتراكية منذ امد قريب ، بينما بعضها الآخر يحقق التحويلات التقدمية ذات الابعاد الاشتراكية منذ عدة سنين ، وبعض ثالث سلك هذا السبيل فى العقد الثانى من التطور .

ان التجربة الفائقة الغنى التى كدسها الاتحاد السوفييتى وسائر البلدان الاشتراكية تمارس تأثيرا مثورا هائلا فى تطور دول الوجهة الاشتراكية . ان الاشتراكية هى البديل الوحيد امام البلدان النامية فى نضالها من اجل الاستقلال الاقتصادى .

التعاون بين البلدان المتحررة والبلدان الاشتراكية .

ان العلاقات الاقتصادية بين البلدان الاشتراكية والبلدان المتحررة انما هى نموذج جديد من العلاقات الاقتصادية قائم على التعاون المتكافئ المتبادل النفع والاسهام فى تذليل التأخر التاريخى.

وللمساعدة الاقتصادية والتكنيكية ، والمساعدة فى اعداد الملاكات ، والدعم المالى ، والخ . ، مكان مهم فى عملية التعاون بين البلدان الاشتراكية وبلدان الوجهة الاشتراكية . وفى الوقت الحاضر ، يجرى التعاون الاقتصادى والعلمى والتكنيكى بين الاتحاد السوفييتى وسائر البلدان الاشتراكية الاعضاء فى مجلس التعاون الاقتصادى وبين ٩٠ من البلدان النامية . وبمساهمة البلدان الاشتراكية ، بنى او يبنى اكثر من ٤٥٠٠ مؤسسة صناعية وزراعية ، وتم اعداد اكثر من مليون اختصاصى فى البلدان النامية .

ان التجارة المتكافئة والمتبادلة النفع شكل مهم من اشكال التعاون بين الدول الاشتراكية والبلدان النامية . وتقوم التجارة على اساس معاهدات دولية طويلة الاجل علما بان الاتحاد

السوفييتى قد الغى كليا الرسوم الجمركية عن المستوردات من البلدان النامية . وتمضى الى البلدان النامية ٩٠ بالمئة من صادرات الآلات والتجهيزات . وتصدر آلات من النوع الافضل ، وذات المواصفات الخاصة التى تراعى الاحوال المناخية المعنية .

وتمنح البلدان الاشتراكية البلدان النامية قروضا طويلة الاجل — لمدة ١٠ — ١٢ سنة — بفائدة سنوية مقدارها ٢ او ٢,٥ بالمئة . والبلدان الاشتراكية لا تشترط المساعدة الاقتصادية باية مطالب سياسية او غيرها من المطالب ؛ وهذه المساعدة لا تستعمل الا فى اغراض الانتاج . ان قرابة ثلثى المساعدة التى تقدمها البلدان الاشتراكية تخصص لتطوير الصناعة الوطنية فى هذه البلدان . وهكذا تسهل قروض البلدان الاشتراكية على المستعمرات السابقة بناء اقتصاد مستقل خاص بها ، ناهيك بان شروط منح القروض لا تمس كرامة البلد المستقرض الوطنية . والبلدان الاشتراكية لا تشترك فى ادارة وفى ارباح المؤسسات التى بنيت بمساعدتها .

وبطيبة خاطر ومجانا تقدم تجربتها فى حقل البناء الاقتصادى . وبشروط مهاودة يبنى الاتحاد السوفييتى وسائر الدول الاشتراكية مجموعات صناعية كاملة ، مساعدة شعوب البلدان النامية فى بلوغ الاستقلال الاقتصادى .

ان الاتحاد السوفييتى وسائر البلدان الاشتراكية الاعضاء فى مجلس التعاون الاقتصادى ، اذ توسع وتعمق العلاقات الاقتصادية الخارجية مع الدول المتحررة فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، انما تنطلق من الموضوعة اللينينية القائلة ان هذه الشعوب ستطلب مساعدتنا علنا او سرا ، بوعى او بلاوعى ، ولكنها ستعتاد ادراك الضرورة الاقتصادية القاضية بالتحالف مع روسيا السوفييتية ضد الامبريالية العالمية .

ان الاتحاد السوفييتى وسائر البلدان الاشتراكية ترد ردا حازما على السياسة العدوانية التى تنتهجها الرجعية الامبريالية حيال البلدان والشعوب التى تسعى وراء الظفر بالحرية والاستقلال الوطنى . ونظرا للنسبة الجديدة بين القوى ، لم تتجاسر الامبريالية فى عدد من الاحوال على التدخل

على المكشوف فى شؤون شعوب آسيا وافريقيا .
ان توطيد مواقع نظام الاشتراكية العالمى لم يسهم فى نهوض حركة التحرر الوطنى وحسب ، بل وفر كذلك الشروط التى تسمح لشعوب العديد من البلدان التى كانت فيما مضى خاضعة للسيادة الاستعمارية بان تظفر بالاستقلال الوطنى بطرائق اقل ايلاما ، بدون الكفاح المسلح .

وعلى هدى افكار الاممية ، يقدم الاتحاد السوفييتى وسائر البلدان الاشتراكية المساعدة الاقتصادية والتكنيكية للبلدان النامية . وعند الاقتضاء تساعدها فى تعزيز قواتها المسلحة وفى تقوية قدرتها الدفاعية . ان التحالف بين قوى الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى مقدمة مهمة للنجاح فى النضال ضد الامبريالية ، من اجل الحرية والاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى .

الماركسية–اللينينية وقضايا الحرب والسلم

ستراتيجية التعايش السلمى . ان القوة

الرئيسية الملازمة للماركسية–اللينينية تتلخص في كونها تسلح الشغيلة بافكار بناء الحياة الجديدة ، الشيوعية . ثم ان الماركسية–اللينينية هي ايضا سلاح جبار في النضال من اجل انقاذ البشرية من الكارثة النووية ، من اجل الاستمرار في اكثار القوى القادرة على تأمين السلام والحرية لجميع الشعوب .

وقد سبق ان بيّن ماركس ان الجذور الاجتماعية للحروب تكمن في التناحر الملازم بصورة عضوية للمجتمع الطبقي القائم على استثمار الانسان للانسان . ان سبب الحرب في ظل الرأسمالية هو ركض البرجوازية وراء الربح . ففي سبيله «تلعب على وتر الاوهام القومية وتريق دماء الشعب وتبذر ثروته في حروب لصوصية» * .

وقد اثبتت الماركسية–اللينينية ان المجتمع الاستثماري القديم مع بؤسه الاقتصادي وجنونه

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ١٦ ، ص ١١

السياسى سيحل محله حتما نظام اجتماعى جديد سيكون مبدؤه العالمى السلام لانه سيكون لكل شعب السيد نفسه اى العمل ! ان التحالف بين العمال من جميع البلدان «سيستأصل الحروب على انواعها من جذورها» ؛ وستصبح القوانين الانسانية البسيطة للاخلاق والعدالة المبادئ العليا للعلاقات بين الشعوب . وقد اكد ماركس ان النضال من اجل مثل هذه السياسة الخارجية «هو جزء من النضال العام من اجل تحرير الطبقة العاملة» * .

ومن خارق الدلالة ان مرسوم السلام الذى اقره مؤتمر السوفييتات الثانى فى ٢٦ اكتوبر — تشرين الاول (٨ نوفمبر — تشرين الثانى) ١٩١٧ حسب تقرير لينين كان اول وثيقة تقرها السلطة السوفييتية . اليكم كيف يصف احد المشتركين فى المؤتمر كيفية اقرار هذه الوثيقة العظيمة : «قلوب الذين تحملوا الكثير من البلايا كانت تتحرق الى السلام . كان المندوبون غالبا

---

* المصدر نفسه .

ما يسألون : «ماذا يا اخى ، أيحل الهدوء ام لا ؟»

اخيرا حلت اللحظة التى نهض فيها لينين وبدأ يتكلم عن هذا . بعض الكلمات المشجعة الاولى استحوذت فى الحال على الجميع : ان مسألة السلام مسألة حادة ، مسألة ملحة . . . قيل وكتب عنها الكثير وانتم ، بالتأكيد ، بحثتموها كثيرا .

صاح احدهم :

— نفكر ونحكى عن السلام فقط . . . انت على حق ، يا رفيق لينين !

اجاب لينين : — ولهذا اسمحوا لى بالانتقال الى تلاوة الاعلان . . .

وحين تلا «مرسوم السلام» ، ساد سكون مطلق كأنما الناس كفوا عن التنفس . ثم كأن الصالة كلها تنفست الصعداء — واثر هذا ، عاصفة واعصار من التصفيق وصيحات الفرح . . .»

اعلن مرسوم السلام الحرب «أفدح جريمة بحق البشرية» واعرب امام الملأ عن العزم على التوقيع فورا على صلح بشروط عادلة

واحدة بالنسبة لجميع الشعوب ، بدون الحاقات وغرامات . ان الشعب الذى اخذ السلطة فى يده قد بدأ قبل كل شىء النضال من اجل السلام ، والهم بمثاله البشرية جمعاء .

وفى الوقت نفسه اعلنت اول حكومة للعمال والفلاحين امام العالم اجمع ان روسيا الجديدة خصم متشدد للعدوان ، خصم للحروب الاغتصابية ، وانها فى الوقت نفسه نصير دائب ومنسجم للسلام والصداقة بين الشعوب .

وقد رسم لينين اسس السياسة الخارجية السلمية ومبادئ التعايش السلمى بين البلدان المختلفة من حيث نظامها الاجتماعى والاقتصادى — النظام الاشتراكى والنظام الرأسمالى . فماذا يعنى هذا ؟ ان التعايش السلمى يعنى نبذ الحرب كوسيلة لحل المسائل المختلف عليها بين الدول ، وحلها عن طريق المفاوضات ؛ المساواة فى الحقوق والتفاهم والثقة بين الدول ، مراعاة مصالحها بصورة متبادلة ؛ عدم التدخل فى الشؤون الداخلية ، الاعتراف لكل شعب بالحق فى الفصل بصورة مستقلة فى جميع

قضايا بلده ؛ الاحترام الدقيق لسيادة جميع البلدان وحرمة اراضيها ؛ تطوير التعاون الاقتصادى والثقافى على اساس التكافوء التام والنفع المتبادل .

وقد بيّنت اللينينية الصلة الوثيقة التى لا تنفصم عراها بين سياسة التعايش السلمى والبناء الاشتراكى السلمى . ففى ظل السلام ، يذلل التأخر الموروث عن العالم القديم ويتحقق ازدهار الاقتصاد والثقافة ، وتتكشف افضليات النظام الاشتراكى ، وذلك بأسرع بألف مرة . وحددت اللينينية العوامل التى تجعل التعايش السلمى ممكنا . وبين هذه العوامل تتسم باهمية خاصة :

طبيعة النظام الاشتراكى حيث لا وجود لفئات طبقية او لفئات اجتماعية لها مصلحة فى الحروب ؛

تعاظم بأس الاشتراكية الاقتصادى والسياسى والعسكرى الذى يكبح جماح العدوان الامبريالى ؛

تطابق السياسة السلمية للاشتراكية مع مصالح شعوب الكرة الارضية ؛

نمو النشاط والوعى السياسى لدى الجماهير

الكادحة فى الدول الرأسمالية والمستعمرات والبلدان التابعة ، واستعدادها المتعاظم للذود عن قضية السلام والصداقة بين الشعوب ؛

التناقضات بين الدول الامبريالية ، والتناقضات بين الاحتكارات ، التى تصعب على الامبرياليين شن الحرب ضد الاشتراكية ؛

مصلحة اوساط برجوازية معينة فى علاقات الاعمال مع البلدان الاشتراكية .

ولكن التعايش السلمى لا يعنى البتة «اقناع» الامبرياليين ، ودعوتهم الى ان «يكونوا طيبين» . ان سياسة التعايش السلمى ليست سياسة «اقناع» الامبرياليين وليست بالاحرى سياسة «تهدئة» الامبرياليين . ان مغزى سياسة التعايش السلمى اللينينة ليس فى توسل السلام من الدول الامبريالية ، بل فى فرض السلام عليها باعمال فعالة مشتركة تقوم بها قوى السلام .

ان التعايش السلمى لا يمس غير العلاقات بين الدول . ولهذا لا تناقض البتة بين السياسة الخارجية للاشتراكية ، الرامية الى توطيد هذا المبدأ فى العلاقات مع الدول الرأسمالية ،

وبين تضامن شعوب البلدان الاشتراكية مع الشعوب الاخرى فى نضالها من اجل الحرية والتقدم . ولا يمكن للتعايش السلمى ان يلغى الصراع الفكرى بين الاشتراكية والرأسمالية .

ان المبدأ اللينينى للتعايش السلمى. بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة يوحد حول الشيوعيين اوسع جماهير الشعب ، ويشل القوى الامبريالية الميالة الى القتال والحرب ، ويصعّب تصدير الثورة المضادة ، ونضال الرجعية ضد حركات التحرر .

ان التعايش السلمى انما هو حاجة موضوعية من حاجات التطور العالمى ، واساس استقرار كل نظام العلاقات الدولية المعاصرة . ولا بديل عن التعايش السلمى (اى لا وجـــود لحل ما آخر يقبله الجميع) . ان التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ليس مجرد غياب الحرب . فهو نظام دولى يسود فى ظله حسن الجوار والتعاون وليس القوة المسلحة ، ويجرى فيه تبادل واسع لمنجزات العلم والتكنيك ولقيم الثقافة

فى صالح جميع الشعوب . ومن شأن الخلاص من انفاق موارد طائلة على الحاجات الحربية ان يوجه ثمار العمل الى اهداف العمران بوجه الحصر ؛ وان يقى الدول التى تسلك سبيل التطور المستقل من الاعتداءات من الخارج ، الامر الذى يسهل تحركها فى طريق النهوض الوطنى والاجتماعى ؛ وان يكشف امكانيات وفرصا ملائمة لاجل حل القضايا الكونية ايضا بتضافر جهود جميع الدول . ان التعايش السلمى يتجاوب مع مصالح جميع البلدان ، جميع الشعوب .

ولقد وضع المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفييتى (سنة ١٩٨٦) اسسا مبدئية لنظام شامل عام للأمن الدولى . وهذا النظام ينطوى :

١ — فى الميدان الحربى

— على امتناع الدول النووية عن شن الحرب بعضها ضد بعض او ضد دول ثالثة ، سواء منها الحرب النووية او الحرب العادية ؛

— على الحيلولة دون سباق التسلح فى

الفضاء الكونى ، ووقف جميع تجارب السلاح النووى وتصفيته كليا ، ومنع وابادة السـلاح الكيماوى ، والامتناع عن صنع وسائل اخرى للابادة الشاملة ؛

— على تخفيض مستويات القدرات الحربية لدى الدول حتى حدود الكفاية المعقولة تخفيضا خاضعا للمراقبة الدقيقة ؛

— على حل الكتل الحربية ، وكخطوة الى هذا ، الامتناع عن توسيعها وعن تشكيل كتل جديدة ؛

— على تخفيض الميزانيات الحربية تخفيضا نسبيا ومتوازنا .

٢ — فى الميدان السياسى

— على احترام حق كل شعب فى ان يختار بكل سيادة سبل واشكال تطوره احتراما لا قيد فيه ولا شرط فى الممارسة الدولية ؛

— على تسوية الازمات الدولية والنزاعات المنطقية تسوية سياسية عادلة ؛

— على رسم مجموعة من التدابير الرامية الى توطيد الثقة بين الدول والى توفير ضمانات

فعلية دون الهجوم عليها من الخارج ، والى ضمان حرمة حدودها ؛

— على رسم طرائق فعالة لدرء الارهاب الدولى ، تشمل سلامة الاستفادة من المواصلات العالمية ، الارضية منها والجوية والبحرية .

٣ — فى الميدان الاقتصادى

— على نفى جميع اشكال التمييز من الممارسة الدولية ؛ والعدول عن سياسة الحصار الاقتصادى والعقوبات الاقتصادية ، اذا كانت توصيات المجتمع العالمى لا تنص على ذلك صراحة ؛

— على البحث المشترك عن سبل لتسوية معضلة الديون تسوية عادلة ؛

— على اقامة نظام اقتصادى دولى جديد يضمن الامن الاقتصادى الواحد لجميع الدول ؛

— على رسم المبادئ للاستفادة فى صالح المجتمع العالمى ، ولاسيما منه البلدان النامية ، من قسم من الاموال التى ستتحرر نتيجة لتخفيض الميزانيات الحربية ؛

— على توحيد الجهود فى دراسة الفضاء

الكونى واستخدامه للاغراض السلمية ، وفى حل القضايا الكونية التى تتوقف عليها مصائر الحضارة .

٤ — فى الميدان الانسانى

— على التعاون فى نشر افكار السلام ونزع السلاح والامن الدولى ؛ ورفع مستوى الاعلام الموضوعى العام ، واطلاع الشعوب بصورة متبادلة على حياة بعضها بعضا ؛ وتوطيد روح التفاهم والوفاق فى العلاقات بينها ؛

— على استئصال الابادة الجماعية والتمييز العرقى والدعوة للفاشية ولكل استثنائية عرقية او قومية او دينية اخرى وكذلك تمييز الناس على هذا الاساس ؛

— على توسيع التعاون الدولى فى تحقيق حقوق الانسان الاجتماعية والسياسية والشخصية مع احترام قوانين كل بلد ؛

— على حل مسائل جمع العائلات وعقد الزواجات حلا انسانيا وايجابيا ، وتطوير الاتصالات بين الناس ، بين المنظمات ؛

— على توطيد التعاون والبحث عن اشكال

جديدة للتعاون فى ميادين الثقافة والفن والعلم والتعليم والطب .

ان هذه الاسس تنبع بصورة منطقية من موضوعات برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى . وهى تتطابق كليا مع المبادرات السوفييتية الملموسة فى حقل السياسة الخارجية . وعلى هداها يمكن السعى الى ان يصبح التعايش السلمى المبدأ الكلى الاسمى للعلاقات بين الدول .

التنافس الاقتصادى بين النظامين . ان التعايش السلمى هو اساس المباراة الاقتصادية بين الاشتراكية والرأسمالية . والمباراة الاقتصادية بين النظامين هى قانون موضوعى من قوانين العهد المعاصر .

ان الانتاج المادى هو المجال الحاسم فى المباراة الاقتصادية ، وهو الذى يقرر فى آخر المطاف تطور جميع الجوانب من حياة المجتمع ، علما بان المباراة الاقتصادية مع الرأسمالية تتسم بطابع النضال الطبقى الحاد والمتوتر . فان الرأسمالية العالمية لا

تتنازل عن مواقعها بدون مقاومة . وتتسم المباراة الاقتصادية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية بالاهمية الحاسمة في المباراة الاقتصادية بين النظامين المتضادين .

لقد نشأت منطلقات المباراة الاقتصادية مع الولايات المتحدة الاميركية بصورة غير ملائمة للاتحاد السوفييتي في كثير من النواحي . فقبل ثورة ١٩١٧ كانت روسيا بلدا زراعيا متأخرا . وبعد الحرب الاهلية والتدخل الاجنبي المسلح من قبل البلدان الرأسمالية (١٩١٨ — ١٩٢٢) ، كانت البلاد السوفييتية تنتج من المنتوجات الصناعية ما يقل ٤٥ — ٥٠ مرة عما تنتجه الولايات المتحدة الاميركية . وتسببت الحرب العالمية الثانية بخسائر فادحة جدا للاقتصاد السوفييتي . وتقدر الخسارة المادية الاجمالية من جراء الحرب برقم هائل بالنسبة لذلك الزمن — زهاء ٢٦٠ مليار روبل . فقد ابيد زهاء ٣٠ بالمئة من ثروة البلد الوطنية . وهلك اكثر من ٢٠ مليونا من السوفييتيين ، في حين بلغ عدد ضحايا الحرب العالمية

الثانية ٥٠ مليونا . والى هذا الرقم يجب ان نضيف قيمة المدن والقرى والمؤسسات الصناعية ، الخ . ، المدمرة فى الاتحاد السوفييتى .

ورغم هذا ، استطاع الاتحاد السوفييتى ، باستغلال افضليات الاشتراكية ومزاياها ، ان يحرز ، فى اجل تاريخى قصير ، نجاحات هائلة فى تطوير الاقتصاد والعلم والثقافة . ان وتائر نمو الانتاج المادى ، نمو الصناعة ، هى مؤشر مهم جدا بين مؤشرات المباراة الاقتصادية بين النظامين . وهذه الوتائر اعلى فى الاتحاد السوفييتى مرارا مما فى الولايات المتحدة الاميركية ، وقد تجاوز الاتحاد السوفييتى من حيث حجم الانتاج الصناعى اكبر بلدان اوروبا الغربية — جمهورية المانيا الاتحادية وبريطانيا وفرنسا مجتمعة .

وفى الوقت الحاضر يسبق الاتحاد السوفييتى الولايات المتحدة الاميركية فى كثير من اهم مؤشرات مستوى حياة السكان (العمل المضمون ، الخدمات الطبية المجانية ، التعليم المجانى ، نظام التأمين الاجتماعى والضمان الاجتماعى

فى جميع الميادين ، الراحة ، الرياضة ، وغير ذلك) . وشعوب البلدان الاشتراكية لا تعرف الاستثمار والبطالة والازمات والتمييز العرقى او اى تمييز آخر من حيث دفع اتعاب العمل ؛ وهى واثقة فى الغد . ولا وجود فى اى بلد رأسمالى لمثل هذا النظام الشامل لحماية المواطنين على الصعيد الاجتماعى كما فى الاتحاد السوفييتى .

ان التقدم العلمى والتكنيكى هو مؤشر مهم بين مؤشرات المباراة الاقتصادية . وقد سبق ان اشار لينين الى الاهمية الحاسمة لتطور العلم والتكنيك فى المباراة الاقتصادية مع الرأسمالية . فقد قال : «. . . يتغلب ذاك الذى عنده تكنيك عظيم ، وتنظيم ، وانضباط ، وآلات افضل . . .» * ان القاعدة المادية والتكنيكية التى يملكها الآن النظام الاشتراكى العالمى للاقتصاد بمجمله ، تتيح للبلدان

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ١١٦

الاشتراكية ان تؤمن للتقدم العلمى والتكنيكى وتائر اسرع . وفى آخر المطاف ، يمكن التغلب على الرأسمالية وسيتم التغلب عليها لان الاشتراكية تكشف حوافز جديدة لنمو القوى المنتجة والعلم والتكنيك والثقافة ليست فى منال النظام البرجوازى ، وتخلق انتاجية عمل جديدة ، اعلى بكثير .

ويقينا ان احدا لا يستطيع ان يتنبأ بصورة مفصلة بمجرى الاحداث فى هذه الحقبة او تلك من التطور المقبل . ولكن اذا تناولنا المسألة ، لا من حيث التفاصيل او من حيث الصدف الممكنة ، او ، كما قال لينين ، «اذا اخذنا الامر على مقياس هائل ، فان الجزئيات والصغائر تزول ، بينما تتضح القوى المحركة الاساسية التى تقرر التاريخ العالمى» * . واذا عرفنا قوى التاريخ المحركة الاساسية ، واذا استوضحنا اتجاهات التطور

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٠ ، ص ١٦٧ .

التاريخى الرئيسية ، اتضح لنا الحاصل النهائى للصراع بين النظامين العالميين — انتصار الشيوعية على الصعيد العالمى .

السلام ، مثال الاشتراكية الاعلى . ان نشوء الاشتراكية قد عنى ان البروليتاريا المنظمة كدولة قد اعترضت بقوتها الجبارة طريق الحروب الامبريالية . وقد غدت الاشتراكية قاعدة مأمونة للنضال من اجل السلام . ان الاشتراكية التى تنبذ وترفض الانظمة الاستثمارية ، تصدر حكمها كذلك على وليدتها ، الحرب . وقد اكد لينين ان «وضع حد للحروب ، والسلام بين الشعوب ، والكف عن النهب والعنف — كل هذا انما هو بالضبط مثلنا الاعلى . . .» *

ان النضال فى سبيل السلام هو من اعظم الافضليات والمزايا التى تتفوق بها الاشتراكية على الرأسمالية . ان الدولة السوفييتية قد وجهت

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٦ ، ص ٣٠٤ .

سياستها كلها ، على كل امتداد وجودها ، الى الحيلولة دون جر الشعوب الى الحرب ، الى وضع حد للحرب ، الى توفير ظروف وشروط متينة للسلام . وقد سبق ان قال لينين فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ : «والآن بدأ النضال من اجل السلام . هذا النضال صعب . وان من يظن انه من السهل بلوغ السلام ، وانه حسبنا ان نلمح الى السلام حتى تحمله البرجوازية الينا على طبق ، انما هو انسان ساذج تماما» * .

ان قضية صيانة السلام وتوطيده هى فى الوقت الحاضر قضية البشرية جمعاء . وذلك ان الحرب الحرارية النووية لن ترحم اية قارة . ان الادارة الاميركية تشن «حربا صليبية» ضد الاتحاد السوفييتى ، وتعد بتحويل الشيوعية الى رماد وانقاض . وقد جعلت الاوساط الحاكمة الاميركية من اهدافها بلوغ ما يستحيل

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٥ ، ص ١١٦

بلوغه ، اى اقامة حاجز فى طريق التغيرات التقدمية فى العالم ، واعادة عجلة التطور التاريخى الى الوراء .

وينفق الامبرياليون الاميركيون اموالا طائلة على الاعداد للحرب ، بادئين جولة جديدة من سباق التسلح بالسلاح الحرارى النووى وغير ذلك من اسلحة ابادة الناس بالجملة . ويصرفون مئات المليارات من الدولارات على مواصلة اكثار القوات الهجومية الستراتيجية وعلى صنع سلاح الضربة النووية الاولى ، وعلى تكديس الاحتياطيات من السلاح الكيماوى وصنع مجموعات كونية ضاربة ، والخ . . وقد نصبت الولايات المتحدة الاميركية فى بلدان اوروبا الغربية صواريخ نووية للضربة الاولى من طراز «برشينغ-٢» وصواريخ مجنحة ؛ وهى تخلق خطرا اضافيا يتهدد امن الاتحاد السوفييتى وحلفائه .

ان النهج الاميركى الرامى الى عسكرة الفضاء الكونى يشكل خطرا فادحا على قضية السلام . والولايات المتحدة الاميركية تنفق

عشرات المليارات من الدولارات على صنع منظومة مضادة للاقمار الصناعية ، تستعمل فى الاغلب لاغراض حربية .

ويهيئ الامبرياليون الاميركيون حربا حرارية نووية يمكن ان يهلك فى نارها مليارات من الناس ، وان تزول الحياة فى الارض . وقد قالت القيادة السوفييتية : «نحن نرى جيدا الخطر الذى تخلقه بالنسبة للبشرية الاعمال الطائشة ، المغامرة التى تقوم بها القوى الامبريالية العدوانية ، ونتحدث عن هذا بملء الصوت لافتين انتباه شعوب الارض قاطبة الى هذا الخطر . نحن لا نريد التفوق العسكرى ، ونحن لا نعتزم املاء اراداتنا على الغير ، ولكننا لا نسمح بتحطيم التوازن العسكرى الراهن . ألا لا يبقّين اى شك عند احد فى اننا سنحرص فى المستقبل ايضا على توطيد قدرة بلدنا الدفاعية ، وعلى ان يكون عندنا ما يكفى من الوسائل التى يمكن بها تبريد الرؤوس الساخنة للمغامرين الميالين الى الحروب» .

ان شعوب العالم تعرف على نطاق واسع

برنامج السلام الذى رسمه الشيوعيون السوفييتيون . وهذا البرنامج ينص فى المقام الاول على المهمات التالية .

— توطيد وحدة الدول الاشتراكية الشقيقة بلا انقطاع والاستمرار فى تطوير التعاون الشامل بينها فى بناء المجتمع الجديد ، وزيادة قسطها الفعال فى توطيد السلام ؛

— السعى الى وقف سباق التسلح المتفاقم والخطر على مصير العالم ، والانتقال الى تخفيض الاحتياطيات المكدسة من الاسلحة ، والى نزع السلاح ؛

— فعل كل ما يمكن لاجل تعميق الانفراج الدولى وتجسيده فى اشكال ملموسة من التعاون المتبادل النفع بين الدول ؛ السير بنشاط على خط يرمى الى تطبيق الوثيقة الختامية لمؤتمر السلام والامن الاوروبى فى هلسنكى سنة ١٩٧٥ تطبيقا تاما ، وتطوير التعاون السلمى فى اوروبا ؛

— السير بالامور الى ضمان الأمن فى آسيا على اساس تضافر جهود دول هذه القارة ؛

— السعى الى عقد معاهدة عالمية بشأن الامتناع عن استخدام القوة فى العلاقات الدولية ؛

— اعتبار القضاء التام على جميع بقايا نظام الاضطهاد الاستعمارى ، نظام دوس استقلال الشعوب ومساواتها فى الحقوق مهمة من اكبر المهام العالمية ؛

— التوصل الى الغاء التمييز وشتى العقبات المصطنعة فى حقل التجارة العالمية ، وتصفية جميع مظاهر اللامساواة فى الحقوق ، والتحكم والاستثمار فى العلاقات الاقتصادية العالمية .

ويتسم تعهد الاتحاد السوفييتى بان لا يكون البادئ فى استعمال السلاح النووى بأهمية هائلة بالنسبة لمصائر العالم المعاصر . وقد لقى هذا التعهد الصدى الحى والتحبيذ من جميع قوى السلام فى العالم . وفى عداد مقترحات الاتحاد السوفييتى الملموسة المهمة ، المقترحات بصدد اعداد برنامج لنزع السلاح النووى واقراره وتطبيقه تدريجيا ، وبصدد الحد من الاسلحة الستراتيجية فى اوروبا وتخفيضها ،

وبصدد منع تجارب السلاح النووى منعا تاما وعاما ، وبصدد درء انتشار السلاح النووى لاحقا ، وبصدد منع السلاح الكيماوى وتصفيته ، وبصدد منع نشر السلاح من اى نوع كان فى الفضاء الكونى ، وبصدد الحد من الاسلحة العادية والقوات المسلحة وتخفيضها ، وبصدد تخفيض الميزانيات الحربية ، والامتناع عن استخدام الاكتشافات والمنجزات الجديدة فى ميدان العلم والتكنيك لاغراض حربية ، وغير ذلك من المقترحات . ان تطبيق هذه المجموعة من التدابير الخارقة الاهمية من شأنه ان يتيح للبشرية توفير موارد مادية طائلة ، وبالتالى تعجيل وتائر التقدم الاجتماعى تعجيلا جوهريا والاهم درء خطر الكارثة النووية .

ان النضال فى سبيل السلام ليس حيلة تكتيكية من الشيوعيين ، كما يزعم الايديولوجيون البرجوازيون ، بل اساس السياسة الخارجية التى ينتهجها الاتحاد السوفييتى وسائر البلدان الاشتراكية . ان سياسة السلام ، انما هى الخط العام للسياسة الخارجية التى تسير عليها

البلدان الاشتراكية . والاتحاد السوفييتي ينادى بحل جميع المسائل المختلف عليها عن طريق المفاوضات ، ولكن ، بالطبع ، على اساس واحد فقط ، هو المساواة ، والامن الواحد ، المتساوى ، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية . ان خط الاتحاد السوفييتي فى حقل السياسة الخارجية ، والمبادرات العديدة من جانب الحزب الشيوعى السوفييتي والحكومة السوفييتية تلقى التحبيذ والتأييد من جانب الرأى العام الشغوف بالسلام فى الارض قاطبة .

نفى الحرب من حياة المجتمع . صيانة السلام . ان فكرة اقرار السلام الوطيد فى الارض تستحوذ من قديم الزمان على عقول الناس . ففى القرن الرابع قبل الميلاد ، مثلا ، حلم الفيلسوف اليونانى افلاطون (٤٢٧ — ٣٤٧) فى حل جميع الخلافات حلا سلميا . وبنى المفكر الفرنسى جان جاك روسو خطة بوسعها تأمين السلام الوطيد وتجنب الحروب . ولكن «**الحرب** كانت قد سبقت السلام فى

اتخاذ اشكال متطورة . . .» * ، كما كتب ماركس .

ولكن هذا لا يعنى انه يتعين على السلام ان يبقى مستقبلا ، كما من قبل ، فى حالة ربيب ، فى حالة منبوذ ، ولا يعنى انه يتعين على العالم ان يتنحى باستكانة امام غول الحرب النهم الذى كان فى جميع الازمنة الماضية يبدأ زحفه الدموى فى المعاطف العسكرية المطرزة بالذهب وينهيه باكوام من الجماجم . بل بالعكس . فمن طابع الحضارة العالمية بالذات ، ومن قوانين تطورها ينجم ان علاقات حسن الجوار بين الشعوب والدول هى الشرط الوحيد لوجود البشرية وبقائها .

ومع الاتحاد السوفييتى وسائر البلدان الاشتراكية يقف اليوم الى جانب السلام فريق كبير من الدول غير المنحازة التى ليست لها هى ايضا مصلحة فى شن الحروب والتى تحتاج الى

---

* ماركس انجلس . المؤلفات ، المجلد ٤٦ ، الجزء الاول ، ص ٤٦ .

السلام لاجل اداء مهمات البعث الوطنى . ان ضرورة صيانة السلام تدركها كذلك فئات اجتماعية واسعة فى الدول الامبريالية ، بما فيها الساسة ذوو التفكير الواقعى من المعسكر البرجوازى .

ان مسألة نفى الحرب من حياة الشعوب مهمة حيوية وفعلية وواقعية تماما . ان الحرب لم تهدد يوما الشعوب بمثل البلايا التى تتهددها بها الآن . ولكن لم يكن ثمة يوما من قبل قوى جبارة تنادى بالسلام كما هو الحال اليوم . ان النظام الاشتراكى العالمى هو اهم عوامل صيانة السلام . وتعاظم جبروته ، ونمو القوى المنتجة نموا مطردا ، والنجاحات فى ترقية الاشتراكية المتطورة ، وتعزيز الدفاع — كل هذا انما يعنى النضال الفعال من اجل السلام .

ان الحركة العمالية والشيوعية العالمية قوة مهمة لصيانة السلام ودرء الكارثة النووية . وقد رأى اعلام الماركسية-اللينينية رسالة الطبقة العاملة التاريخية ، لا فى القضاء على الفقر والاستثمار والبؤس والاستبداد وحسب ، بل ايضا فى تخليص البشرية من الحروب الدموية .

ولا يمكن للطبقة العاملة ان تقبل وتسلم بان تتمكن القوى المحكوم عليها بالهلاك والزوال من ان تجر معها الى القبر مئات الملايين من الناس . ولذلك تناضل بكل حزم من اجل السلام .

ان الطبقة العاملة هى الطبقة الطليعية سياسيا . وهى تدرك افضل واعمق من غيرها الاسباب الحقيقية التى تولد الحروب ، وتستطيع بالتالى ان تعرض اصح طرائق النضال لاجل درء الحرب . والبروليتاريا افضل تنظيما واشد تراصا ؛ وهى تناضل بدأب وثبات ضد الحروب . وتتميز الطبقة العاملة بمزية تفوق التقدير مفادها انها تسير بقيادة الاحزاب الشيوعية والعمالية التى تسترشد بالنظرية العلمية الطليعية — نظرية الماركسية—اللينينية .

والآن ليس ثمة مهمة اشد حيوية من مهمة درء نشوب حرب عالمية جديدة . وفى العالم اجمع تتسع الحركة المعادية للحرب ؛ وهذه الحركة بلغت فى الثمانينيات قوة لا سابق لها .

ان الحركة المعاصرة المعادية للحرب هى حركة جماهير شعبية واسعة جدا تناضل فى جميع القارات ضد الامبريالية وسياستها ، سياسة العدوان والاضطهاد ، ومن اجل السلام . ان درء الموت النووى هو قضية مئات ومئات الملايين من الناس فى الشرق والغرب ، فى الشمال والجنوب . انهم يختلفون من حيث النظرات السياسية والعقائد الدينية والفلسفية ، ولكن يجمع بينهم فهم ضرورة تحقيق اسمى حقوق الانسان ، الحق فى الحياة .

فى تطور الحركة المعاصرة المعادية للحرب ، التى نشأت على تخوم السبعينيات والثمانينيات ، تتبدى بجلاء مرحلتين مترابطتين بوثوق . الاولى استمرت حتى اواخر سنة ١٩٨٣ ، حين جرى انشاء ائتلاف عالمى لقوى السلام ، وقام البحث عن وسائل فعالة للاعراب عن احتجاج الجماهير على الحرب وعلى خطط الولايات المتحدة الاميركية والناتو لنشر السلاح الصاروخى النووى الاميركى الجديد للضربة الاولى فى بعض بلدان اوروبا الغربية . وفى هذه المرحلة ،

هزت موجات النضالات والاعمال المهيبة المعادية للحرب اوروبا واميركا الشمالية واليابان . وقد تراوح عدد المشتركين فى مظاهرات المناضلين من اجل السلام بين ١٠٠ الف شخص ومليون شخص فى جمهورية المانيا الاتحادية وبلجيكا وهولندا واسوج والدانمارك . وللمرة الاولى فى تاريخ هذه البلدان صارت الاعمال المناهضة للحرب اكبر الاحداث جماهيرية واوسعها ابعادا . وقد اسفر هذا النهوض الذى لا سابـــــــق له فى النضال ضد الحرب عن حاصل فى غاية الاهمية ، هو ان مسائل الحرب والسلم فى العصر النووى شغلت مكان الصدارة من اهتمام بسطاء الناس الذين ادركوا ضرورة اشتراك كل امرىء فى الحركة من اجل انقاذ حياته بالذات ، ومن اجل انقاذ الحضارة فى الارض .

ومنذ اواخر ١٩٨٣ ، حين ظهرت فى القارة الاوروبية الصواريخ الاميركية «برشينغ-٢» والصواريخ المجنحة ، دخلت الحركة المعادية للحرب مرحلة جديدة فى تطورها . فان هذه الحركة الجماهيرية قد وجهت جهودها الرئيسية

لوقف نشر الصواريخ الاميركية وسحب الموزع منها ، ولاعادة الوضع الذى كان قائما فى غرب وشرق اوروبا قبل نشرها ، ولانشاء مناطق خالية من السلاح النووى ، وتجميد الترسانات النووية ، ومنع السلاح البيولوجى والكيماوى ، وعقد معاهدة بامتناع كل دولة عن ان تكون البادئة فى استعمال السلاح النووى ، ودرء عسكرة الفضاء الكونى .

وفى الحركة المعاصرة المعادية للحرب ، تضطلع بالدور الاساسى الطبقة العاملة ولجان المصانع ، والنقابات ، والاحزاب الشيوعية والعمالية . فهى التى تسير فى الصفوف الاولى من الذين يشجبون العسكرية الامبريالية ، ويشتركون فى مظاهرات ومسيرات الاحتجاج على سباق التسلح المنفلت ، وعلى محاولات نقله الى رحاب الكون . وهى التى تسهم بالقسط الحاسم فى رص صفوف جميع قوى السلام فى العالم ، وفى تعبئتها للنضال من اجل السلام والتقدم ، وصيانة البشرية .

وفى وعى الشعوب يقوى الاقتناع بانه

من الممكن عمليا بناء عالم بدون حروب واسلحة ، وكذلك بان الحرب العالمية ليست امرا محتما لا مناص منه . وقد اكدت الصيغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعى السوفييتى انه «من الممكن درء الحرب ووقاية البشرية من الكارثة . وفى هذا ، تقوم الرسالة التاريخية للاشتراكية وجميع قوى التقدم والسلام فى كوكبنا الارضى» .

ان كل مجرى التطور العالمى يؤكد صحة التحليل الماركسى اللينينى لطابع العهد المعاصر ومضمونه الاساسى . انه عهد الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية والشيوعية ، عهد المباراة التاريخية بين النظامين الاجتماعيين السياسيين العالميين ، عهد الثورات الاشتراكية وثورات التحرر الوطنى ، عهد انهيار الاستعمار ، عهد النضال الذى تخوضه القوى المحركة الرئيسية للتطور الاجتماعى — اى الاشتراكية العالمية ، والحركة العمالية والشيوعية ، وشعوب الدول المتحررة ، والحركات الديموقراطية الجماهيرية — ضد الامبريالية وسياستها ، سياسة

العدوان والاضطهاد ، ومن اجل السـلام والديموقراطية والتقدم الاجتماعى .

ان تطور العملية الثورية العالمية ، وبناء الاشتراكية الناجح ، وتوطد استقلال البلدان المتحررة السياسى والاقتصادى ، كل هذا يجرى فى ظروف دفعت فيها الامبريالية الجنس البشرى الى شفير حرب عالمية جديدة ، الامر الذى يختم بخاتمه حل القضايا الحيوية جميعها عمليا ، القضايا التى تواجه شعوب الدنيا . ان النضال فى سبيل السلام يصبح العنصر الرئيسى فى نشاط الحركة الشيوعية العالمية . ولقد كان الشيوعيون على الدوام مناضلين ضد اضطهاد واستثمار الانسان للانسان ، واليوم يناضلون كذلك من اجل صيانة الحضارة البشرية ، من اجل حق الانسان فى الحياة .

معجم وجيز بالمصطلحات

الاخلاق — مجمل قواعد واصول سلوك الناس فى علاقتهم بالناس الآخرين وبالمجتمع اجمالاً .

الازمة العامة للرأسمالية — ازمة شاملة لنظام الرأسمالية العالمى يشمل الاقتصاد والسياسة والايديولوجية على السواء ؛ حالة للنظام الرأسمالى العالمى تتصف بانهيار اسلوب الانتاج الرأسمالى وتأكيد النظام الجديد ، الاشتراكى .

ازمة فيض الانتاج الاقتصادية فى ظل الرأسمالية — فيض فى انتاج البضائع يتكرر عبر حقبات معينة من الزمن ، وذلك بكميات لا يمكن بيعها بسبب مداخيل السكان المنخفضة نسبيا . السبب الرئيسى — تناقض الرأسمالية الاساسى بين صفة الانتاج الاجتماعية والاسلوب الخاص لامتلاك الخيرات

المادية .

الاستثمار (الاستغلال) — استملاك مالكى وسائل الانتاج ، بلا مقابل ، لمنتوجات العمل الزائد ، واحيانا لمنتوجات قسم من العمل الضرورى الذى يقوم به المنتجون المباشرون .

الاستعمار — سياسة تنتهجها الدول الامبريالية لاجل استعباد شعوب البلدان المتأخرة اقتصاديا استعبادا سافرا .

الاستعمار الجديد — سياسة للدول الامبريالية ترمى الى ابقاء السيادة الاستعمارية الاقتصادية والسياسية والايديولوجية ، او بعثها بصورة جديدة ، فى البلدان النامية فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .

الاستيراد — استجلاب البضائع والرساميل من الخارج لاجل تصريفها وتوظيفها فى سوق البلد المستجلب الداخلية

اسلوب الانتاج — اسلوب معين تاريخيا لتحصيل الخيرات المادية الضرورية للناس من اجل الاستهلاك الانتاجى والاستهلاك الشخصى ، ومن اجل انتاج وسائل الانتاج وسلع الاستهلاك . وهو وحدة القوى المنتجة وعلاقات الانتاج .

الاشتراكية — الطور الاول من التشكيلة الاجتماعيـــة

الاقتصادية الشيوعية المرتكزة على الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج وعلى العمل الحر من الاستثمار يقوم به أعضاء المجتمع المتساوون فى الحقوق .

الاشتراكية الطوباوية — مذاهب اشتراكية تبنى الخطط لتحويل المجتمع بمعزل عن شروط وظروف الحياة الفعلية والنضال الطبقى .

الاشتراكية المتطورة — مرحلة مديدة منطقية ومحتمة موضوعيا فى الطور الاول من التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية الشيوعية تتصف بمستوى رفيع لتطور القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ؛ تتوطد فيها كليا الاسس الجماعية للاشتراكية . فى هذه المرحلة تتحقق من جميع النواحى مزايا وافضليات الاشتراكية ، وتلبى اكثر فاكثر حاجات الناس وتتوفر الشروط لاجل تطورهم من جميع النواحى .

الامبريالية — الرأسمالية الاحتكارية ، المرحلة العليا والاخيرة فى تطور الرأسمالية ، عشية الثورة الاشتراكية .

الاممية البروليتارية — عقيدة تؤكد المساواة فى الحقوق والتكافؤ بين جميع الشعوب بصورة مستقلة عن قومياتها وانتمائها العرقى . تتطلب وحدة الاعمال

والتضامن بين جميع البلدان فى نضالها ضد الاستثمار والاضطهاد والظلم الاقتصادى والاجتماعى .

انتاجية العمل ــ قدرة العامل على انتاج كمية معينة من المنتوجات فى سياق وقت عمل معين (ساعة ، يوم عمل ، وما شاكل) .

الاوليغاركية ــ شكل من اشكال الحكم فى الدولة الاستثمارية تعود فى ظله السلطة كلها الى جماعة صغيرة من اغنى الاغنياء .

الايديولوجية ــ نظام من نظرات فلسفية وسياسية ودينية واخلاقية وجمالية يعرب فى آخر المطاف عن مصالح الطبقات الاجتماعية .

البرجوازية ــ الطبقة السائدة فى المجتمع الرأسمالى والمالكة لاهم وسائل الانتاج والعائشة بفضل استثمار العمل المأجور .

البضاعة ــ نتاج العمل المعد للبيع وليس للاستهلاك الشخصى .

البطالة ــ ظاهرة ملازمة داخليا للرأسمالية لا يستطيع فيها قسم من السكان القادرين على العمل ان يجد لنفسه عملا ، فينضم الى الجيش الاحتياطى للعمل

البناء التحتى ــ مجمل علاقات الانتاج ، البنيان

الاقتصادى للمجتمع ، الذى يتطابق مع تشكيلة اجتماعية اقتصادية معينة .

البناء الفوقى ــ مجمل العلاقات السياسية والحقوقية والاخلاقية والدينية التى تطابقها مؤسسات معينة (الدولة ، الاحزاب ، المنظمات الاجتماعية ، وما الى ذلك) واشكال الوعى الاجتماعى (السياسة ، الحق ، العلم ، الفلسفة ، الاخلاق ، الفن) ، يحدده البناء التحتى ويؤثر بدوره فيه .

التأميم ــ نقل الملكية الخاصة للارض والمؤسسات الصناعية والمصارف ووسائط النقل ، وما ماثل ، الى ملكية الدولة .

تجديد الانتاج ــ تكرار عملية صنع وسائل العيش من قبل الانسان ، وتجديدها بلا انقطاع .

التحريفية ــ تيار انتهازى فى الحركة العمالية يحاول تشويه الماركسية-اللينينية بذريعة اعادة النظر ، «التحريف» ، «التجديد» .

تردى اوضاع البروليتاريا المطلق ــ هبوط مستوى حياة البروليتاريا فى ظل الرأسمالية هبوطا يتجلى فى انخفاض درجة تلبية حاجات العمال المادية والروحية المتنامية .

تردى اوضاع البروليتاريا النسبى ــ املاق العمال بالمقارنة

مع البرجوازية المغتنية بسرعة (يقل نصيب العمال فى عموم ثروة المجتمع الرأسمالى ، التى يخلقونها بعملهم) .

التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية — درجة من التطور الاجتماعى تتصف بنظام اقتصادى محدد تاريخيا وببناء فوقى مناسب له .

التصدير — نقل البضائع والرساميل والخدمات الى السوق الخارجية

التقسيم الاجتماعى للعمل — فرز لمختلف اصناف العمل فى المجتمع يتخصص فى ظله المنتجون فى صنع المنتوج فى فروع معينة من الاقتصاد الوطنى (الصناعة ، الزراعة ، النقليات ، والخ .) .

التقسيم الدولى للعمل — التوزيع الاقليمى لانتاج مختلف اصناف المنتوجات بين البلدان التى تتخصص فى صنع اصناف معينة من المنتوحات .

التكامل الاقتصادى الاشتراكى — توحيد جهود البلدان الاشتراكية وتنسيقها بصورة منهاجية لاجل تحسين عملية التقسيم الدولى للعمل ، ولاجل التقريب والتساوى بين مستويات تطورها الاقتصادى .

التناقض الديالكتيكى — وحدة وتفاعل جوانب وميول متضادة ، متصارعة فى جميع الاشياء والظاهرات ؛

مصدر تطور كل ما هو موجود

التناحر — تناقض يبلغ احدّ الاشكال وينحل عادة بالقضاء على احد الضدين المتناضلين .

الثورة — انقلاب جذرى ، اسلوب للانتقال من تشكيلة اجتماعية اقتصادية استنفدت قواها تاريخيا الى تشكيلة اكثر تقدما .

الثورة الثقافية — جزء لا يتجزأ من الثورة الاشتراكية ، عملية امتلاك الايديولوجية الاشتراكية والثقافة الاشتراكية من قبل جماهير الكادحين الواسعة وخلق نموذج جديد ، اعلى من نماذج الثقافة هو الثقافة الاشتراكية .

الحزب — منظمة سياسية تعرب عن المصالح العامة ، الجذرية لهذه الطبقة او الفئة الاجتماعية او تلك وتقود نشاطها السياسى .

الحق — مجمل قواعد ومعايير السلوك المعبر عنها فى قوانين وقرارات سلطة الدولة والتى تضبط العلاقات الاجتماعية فى مصلحة الطبقة السائدة فى المجتمع المعنى .

الحقيقة المطلقة — المعرفة التى تستنفد كليا الموضوع المدروس ولا يمكن دحضها فى سياق تطور العرفان لاحقا .

الدخل الوطنى — القيمة المنتوجة حديثا فى البلاد خلال مرحلة معينة من الزمن (عادة فى غضون سنة واحدة) .

الدولة — الاداة الاساسية للسلطة السياسية فى المجتمع الطبقى .

الديالكتيك — علم اعم قوانين تطور الطبيعة والمجتمع والتفكير . يكشف المصدر الداخلى لكل تطور— وحدة ونضال الاضداد

ديكتاتورية البروليتاريا — سلطة دولة الطبقة العاملة ، التى تقام فى زمن الثورة الاشتراكية . تستعمل لاجل احراز النصر فى هذه الثورة ، وقمع الطبقات الاستثمارية المقلوبة ، وبناء الاشتراكية

الرأسمال — قيمة تعود بالقيمة الزائدة عن طريق استثمار قوة العمل المأجور .

الرأسمالية — اسلوب لانتاج الخيرات المادية قائم على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج واستثمار العمل المأجور

رأسمالية الدولة الاحتكارية — شكل عصرى للرأسمالية الاحتكارية يتميز بجمع قوة الاحتكارات الى بأس الدولة البرجوازية لاجل صيانة النظام الرأسمالى ، ولاجل حصول الرأسمال المالى على اكبر قدر من

الارباح ، ولاجل قمع الحركة العمالية الثورية وحركة التحرر الوطنى ، ولاجل النضال ضد بلدان نظام الاشتراكية العالمى .

السيادة — الاستقلال السياسى واستقلال الدولة فى حقل السياسة الداخلية والخارجية ، لا تجيز التدخل الاجنبى

السياسة — مجال للنشاط يرتبط بالعلاقات بين الطبقات والامم وسائر الفئات الاجتماعية . مضمون هذه العلاقات الرئيسى الظفر بسلطة الدولة والحفاظ عليها ، والاستفادة منها فى مصلحة هذه الطبقة او تلك ، هذه الامة او تلك ، هذا الحزب او ذاك .

الشارتية (من الكلمة الانكليزية charter تشارتر — الميثاق ، الشرعة) — انصار الشارتية — وهى حركة ثورية جماهيرية للعمال الانكليز من اواسط الثلاثينيات الى اوائل الخمسينيات من القرن التاسع عشر .

الشيوعية — تشكيلة اجتماعية اقتصادية تحل محل الرأسمالية . تتألف من طورين — الاشتراكية (الطور الاول) والشيوعية (الطور الثانى)

الشيوعية (الاشتراكية) العلمية — احد الاقسام المكونة للماركسية-اللينينية ، علم نضال البروليتاريا الطبقى والثورة الاشتراكية ، والقوانين الاجتماعية والسياسية

لبناء الاشتراكية والشيوعية والعملية الثورية العالمية بمجملها .

الطبقات (الاجتماعية) — جماعات كبيرة من الناس تتميز من حيث مكانها فى نظام معين تاريخيا للانتاج الاجتماعى ، وقبل كل شئ ، من حيث علاقتها بوسائل الانتاج .

العداء للشيوعية — ايديولوجية البرجوازية الامبريالية وسياستها اللتان تعاديان النظرية الشيوعية والتطبيق الشيوعى ، وتشوهان مذهب الماركسية–اللينينية .

العقيدة — مجمل نظرات وتصورات عن العالم وقوانينه ، نظام من نظرات يعرب فيها الانسان عن موقفه من الواقع المحيط به ، من ظاهرات الطبيعة والحياة الاجتماعية .

علاقات الانتاج — العلاقات التى تقوم بين الناس فى سياق انتاج وتبادل وتوزيع واستهلاك الخيرات المادية والتى تشكل البناء التحتى الاقتصادى للمجتمع .

العمل — نشاط هادف يقوم به الانسان ويغير فى سياقه ويكيف اشياء الطبيعة لاجل تلبية حاجاته .

فوضى الانتاج — العفوية ، التشوش ، انعدام التناسب فى التطور فى ظل الفعل العفوى لقوانين الانتاج

البضاعى الاقتصادية القائم على الملكية الخاصة .

القانون — الصلة الداخلية ، الجوهرية ، الثابتة ، المتكررة ، الضرورية بين الظاهرات . الهدف الاساسى للعلم ، كل علم ، هو معرفة القوانين الموضوعية .

القوانين الاقتصادية — قوانين موضوعية تسيّر انتاج وتوزيع وتبادل واستهلاك الخيرات المادية فى مختلف درجات تطور المجتمع البشرى .

قوة العمل — قدرة الانسان على العمل ، مجمل القوى البدنية والروحية التى يستغلها الانسان فى سياق انتاج الخيرات المادية .

القوى المنتجة — ادوات الانتاج التى تنتج بها الخيرات المادية ؛ الناس الذين يحركون ادوات الانتاج ويقومون بانتاج الخيرات المادية بفضل خبرة انتاجية معينة ومهارات معينة فى العمل .

القيمة الزائدة — القيمة التى يصنعها عمل العمال المأجورين علاوة على قيمة قوة العمل ويستملكها الرأسماليون مجانا ، بلا مقابل .

اللاادرية (agnosticisme) — مذهب ينكر كليا او جزئيا امكانية معرفة العالم .

اللينينية (باسم مؤسسها فلاديمير ايليتش لينين) —

مرحلة جديدة فى تطور الماركسية ، ماركسية عهد الامبريالية والثورات البروليتارية ، عهد انهيار الاستعمار وانتصار حركات التحرر الوطنى ، عهد انتقال البشرية من الرأسمالية الى المجتمع الشيوعى .

المادة — مقولة فلسفية لاجل الاشارة الى الواقع الموضوعى الذى يوجد بصورة مستقلة عن الوعى وينعكس فيه .

المادية — اتجاه من الاتجاهين الرئيسيين فى الفلسفة ، يعطى جوابا صحيحا عن المسألة الاساسية فى الفلسفة . على نقيض المثالية ، تعتبر المادية ان المادة هى الاولى ، والروح الثانية .

المادية التاريخية — جزء لا يتجزأ من الفلسفة الماركسية اللينينية ، نظرية سوسيولوجية عامة ، علم اعم قوانين تطور المجتمع وقواه المحركة .

المادية الديالكتيكية — فلسفة الماركسية-اللينينية ، عقيدة علمية ، طريقة عامة لعرفان العالم ، علم اعم قوانين تطور الطبيعة والمجتمع والتفكير .

الماركسية-اللينينية — نظام علمى متكامل من نظرات فلسفية واقتصادية واجتماعية وسياسية تؤلف عقيدة الطبقة العاملة ، علم قوانين تطور الطبيعة والمجتمع ، علم الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا ، علم انتصار الاشتراكية ، علم بناء المجتمع الشيوعى .

المثالية ــ احد الاتجاهين الفلسفيين الرئيسيين ؛ اتجاه مناهض ومقابل للمادية فى حل المسألة الاساسية فى الفلسفة . تنطلق المثالية من اولوية الروح وثانوية المادة . والمثالية على نوعين ــ المثالية الذاتية والمثالية الموضوعية . المثالية الموضوعية تعتبر ان الاولى هو الروح ، الفكرة المطلقة ، الرب . اما المثالية الذاتية ، فتعتبر ان الاولى هو الوعى الفردى

المركب الحربى الصناعى ــ تحالف احتكارات الصناعة الحربية والطغمة العسكرية وبيروقراطية الدولة فى البلدان الرأسمالية ، تحالف ينادى بسباق التسلح لاجل توطيد سيادة الرأسمال الاحتكارى .

المزاحمة ــ نضال تناحرى بين منتجى البضائـــع الخصوصيين من اجل افيد شروط انتاج وتصريف البضائع

المسألة الاساسية فى الفلسفة ــ مسألة علاقة الوعى بالوجود ، (بالمعيشة) ، علاقة المثالى بالمادى ، لها جانبان : ١ ــ ما هو الاولى ــ المادة ام الوعى و٢ ــ هل يمكن معرفة العالم .

المصادرة ــ حرمان طبقة اجتماعية لطبقة اخرى من الملكية بالقسر والاكراه (بتعويض او بغير تعويض) .

مثلا ، تأميم ملكية الاحتكارات الاجنبية فى كثير من البلدان النامية

الملكية — علاقات الناس فيما بينهم بصدد استملاك وسائل الانتاج والخيرات المادية المصنوعة بواسطتها .

الميتافيزياء — طريقة للتفكير مضادة للديالكتيك . تنكر التطور او تحصره فى تغيرات كمية بسيطة ، لا ترى المصدر الداخلى لتطور الظاهرات (تناقضاتها) .

النتاج الاجتماعى الاجمالى — مجمل الخيرات المادية المنتوجة فى المجتمع خلال مرحلة معينة من الزمن (عادة خلال سنة)

النضال الطبقى — النضال بين طبقتى المستثمِرين والمستثمَرين المتعاديتين وهو القوة المحركة الاساسية فى جميع التشكيلات الاجتماعية الاقتصادية التناحرية .

نظام الاشتراكية العالمى — اسرة اجتماعية واقتصادية وسياسية من دول حرة ، سيدة ، متساوية فى الحقوق تجمعها وحدة المصالح والاهداف وتسير فى طريق الاشتراكية

النظام الاقطاعى — تشكيلة اجتماعية اقتصادية تناحرية حلت محل نظام الرقّ . اساس الاقطاعية هو ملكية الاقطاعى للارض وتبعية الفلاحين للاقطاعى

اى الفلاحين الذين يسيّرون اقتصادا صغيرا فى الارض التى تخص الاقطاعى .

النظام الرأسمالى العالمى ــ مجمل العلاقات الاقتصادية العالمية بين الاقتصادات الوطنية لبلدان العالم غير الاشتراكى . تكون فى مرحلة الامبريالية ، يتصف باستثمار البلدان الضعيفة التطور من الناحيـــــة الاقتصادية من قبل الدول الرأسمالية المتطـــورة صناعيا ، وبالتوسع الاستعمارى الجديد .

النظام العبودى (نظام الرقّ) ــ اول تشكيلة اجتماعية اقتصادية تناحرية فى تاريخ البشرية . اسلوب الانتاج العبودى يرتكز على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وللمنتج نفسه ــ العبد ، على استثمار الانسان للانسان ، على تناحر الطبقات (طبقتى العبيد ومالكى العبيد) .

الوجود ــ الواقع الموجود خارج وعى الانسان وبصورة مستقلة عنه .

وسائل الانتاج ــ مجمل الوسائل والاشياء التى يستعملها الناس فى سياق انتاج الخيرات المادية (الادوات ، الآلات ، البذور ، الوقود ، وما شاكل) .

وسائل العمل ــ الآلات والتجهيزات والادوات التى يحرث بها الانسان الارض ، ويؤثر فى الطبيعة ، لاجل انتاج وسائل العيش .

محتويات

مبادئ المعارف الاجتماعية السياسية

تشتمل سلسلة «مبادئ المعارف الاجتماعية السياسية» على الكتب التالية :